لوكنت

تريد الحياة

إضاءات بشرية

سيد عبد النبي محمد

الكتاب: لو كنت تريد الحياة.. إضاءات بشرية

الكاتب: سيد عبد النبي محمد

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

محمد ، سيد عبد النبي

لو كنت تريد الحياة.. إضاءات بشرية / سيد عبد النبي محمد

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٩٩ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٩ – ٥٩ – ٦٧٧٤– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٤٦٧٠ / ٢٠٢٠

لوكنت

تريد الحياة

إضاءات بشرية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

كثيرة هي المواقف التي تصدمك في أشخاص بعينهم، كنت تظن فيهم خيرًا، إلا أنهم لم يكونوا عند حسن ظنك، ولم ينته الأمر عند ذلك الحد، بل وجدتهم يتخلون عنك، وربما يغدرون بك، أو في أحيانٍ أخرى يسعون لإيذائك رغم كل ما قدمته لهم وفعلته معهم... فلا تتعجب ياعزيزي هي ليست ندالة، وخِسة، وحسب، إنما هو مرض نفسي.

هي الحياة بما تحمله من تناقدات مختلفة لسمات، وشخصية الناس، والأفراد الذين يعيشون فيها ، فالكون يحمل بين طياته الطيب، والشرس، والقبيح، والندل، والفاجر، والفهلوي ، والجدع، واللئيم، والكريم، والكذاب، والشجاع، والشهم، والراجل، والغادر، والغبي، وأيضا الثرثار.

كلها صفات، وسمات لأشخاص يعيشون فيها، وبيننا، ويحملون تناقدات، واختلافات واضحة، وإذا دققت فيها ربما يقودك التفكير إلى التساؤل ماذا يحدث؟ ولماذا كل هذه الاختلافات؟.

هي الحياة، وهي التعاملات فلو لم يتم خلق، أو اكتساب كل هذه الصفات سواء الحميدة، أو الخبيثة، أو المزمومة لما عاشت الفضيلة، وحاربتها الرزيلة، ولما وجد فى الكون الإنسان السوى، والشخص المريض، والفرق بين الاثنين واضح، فالأول يمثل الفطرة، والثاني يمثل العادات، والصفات المكتسبة.

الكون يا أخي يحمل بين طياته صفات، وسمات لبشر تختلف تبعا لتغيرات الزمان، والمكان، والظروف، وهو ما يطلق عليه الصفات المكتسبة، والتي تأخذ صبغتها من البيئة التي تحيا فيها، فعصور ماقبل التاريخ، وعصور الجاهلية، والعصور الوسطى، والعصور الحديثة فيها ما يكفيها من إناس، وبشر يختلفون في سماتهم عن الواقع الذي يعيشون فيه.

وأصارحك القول أنه مازالت حتى اليوم قبائل في جنوب إفريقيا، وفي الأمازون، وبلدان أخرى تحيا بيننا تعيش، وتتمتع بأكل لحوم البشر، وما زالت بلدان أخرى تعيش بشريعة الغابة ما بين عبيد، وأسياد، وفي الوقت الذي تصدعت فيه آذاننا، وأمتلأ الأثير بالحديث عن الحرية الديمقراطية، والاشتراكية، ومازالت بعض القوى الكبرى تحارب الصغرى بحروب الجيل الرابع، أو الخامس بما يعرف بالحروب الداخلية التي تتمثل في تغيير ،أو تغييب الفكر، والثقافة وبالتالي السيطرة على المجتمع بتشكيل هوية، أو سمات، أو صفات أخرى، وهو ما يعرف بالسيطرة، أو الاستعمار الجديد.

وأختفت الحروب المسلحة، والنووية، وحروب الإبادة؛ لتحل محلها حروب السيطرة، وتغيير الثقافات، وأصبح التنافس حاليا في قدرة بعض الدول الكبرى على تغيير سلوك، وصفات، وسمات بلدان أخرى لاحتلالها، أو السيطرة عليها بغير حروب مدمرة، أو سلاح فتاك.

ويوضح الدكتور أحمد هارون، استشاري العلاج النفسي، أن سوء التعامل مع الناس، وعدم إقامة علاقات سوية بينهم، وتدهور هذه العلاقات إذا ما قامت أصلًا، إنما لا يرجع إلى مجرد صفات اجتماعية نصفهم بها كالندالة،

والغدر، وإنما هي تصل لحد المرض النفسي اللعين، والداء الاجتماعي العتيق، إنه السيكو باتية.

ويتابع هارون: "موجهًا كلامه إلى الجميع بشكل عام : "إن كنت قد أكثرت فى قراءة العديد من المقالات الصحفية، واللقاءات العلمية التي تتناول شدة خطورة هذا الاضطراب النفسي الاجتماعي، وضررهُ اللاحق بأفراد المجتمع المتعاملين مع المصاب به، فيجب من الضرورة تصحيح المفاهيم المتداولة بيننا، وتناولها بشكل له بُعد نفسي مثل النذالة، والغدر، وسوء الخلق، وقلة الأصل، أو نُكران الجميل، وعدم الاعتراف به... وغيرها من الصفات المشينة".

ويؤكد هارون: "أن كل تلك الخصال السابق ذكرها، إنما هى من صميم أعراض الشخصية السيكوباتية، أو الضد مجتمعية كما يسميها البعض، لافتًا أنه يفضل تناولها بمصطلح الشذوذ النفسي، والاجتماعي لما يعانيه من يتعاملون مع مثل ذلك الشخص السيكوباتي، مشددًا على أنه يمكن حصر الخصال السيئة في العديد ممن قابلتهم فى حياتك، إلا أنك لابد، وأن تفرق بين ظهور خصلة من تلك الخصال من أحد من حولك في موقف معين، وبين كون هذه الخصلة السيئة من الخصال المتأصلة فى شخصيته، وتظهر دومًا في طباعه، وتعاملاته مع كل من حوله، وليس أنت فحسب".

وأكد هارون: "أن من أهم ما يتميز به الشخص السيكوباتي في تعاملاته الاجتماعية مع الناس من حوله بغض النظر عن درجة قربهم منه، هو سلوكه الفج، والعنيف أحيانًا، وميله للتصنت على غيره، وسعيه على الوقيعة بينهم إن استطاع، بجانب عدم وفائه بأي وعد يعد به، وعدم اكتراثه بمشاكل الغير،

إضافة إلى أنانيته المفرطة، وميله الشديد، والمستمر؛ لتحقيق نفعه الشخصي، ومصلحته الخاصة فقط لا غير".

وأضاف هارون: "أنه في حالة معاناتك من وجود أحد هؤلاء في حياتك فليس أمامك سوى أمرين لا ثالث لهما، الأول هو أن تسعى للتخلص اجتماعيًا من ذلك الشخص وكف شره عن غيره، وإن لم تستطيع فالابتعاد عنه مهما كانت درجة قربه منك، وهي نصيحة علمية نفسية خالصة، وصادقة أقرتها العديد من الدراسات، والبحوث النفسية".

وكتابنا هذا، وإن كنت استعرض فيه لأنماط، وملامح مختلفة تمثل فيها الشخصيات البشرية سواء السوية منها، أو غير السوية استعراض تعريفي، وأدبي، وما قيل فيها من قصائد، وعبر، وأقوال، وأحكام لندرك ما يحمله بنو البشر من متناقضات موزعه بين الخبيث منها، والحميد، وأفردته في مقالات كتبت لتكون شهادة للواقع الذي نعيش فيه، والنماذج البشرية التي تحيا، ونتعامل معها.

المؤلف

صديقي شخصية حقودة !

جميعنا يعلم أن الحقد شعور إنساني اتجاه شخص، أو مجموعة لسبب معين يدفع صاحبه إلى الرغبة في الانتقام كما أن الحقد هو الصفة الغير محمودة، وتعني الضغينة، وحب الانتقام، والعداوة اتجاه شخص ما كما أنه يعني الكرة الشديد، وتمني الشر للشخص المحقود عليه قال الغزالي: "إن من آذاه شخص بسبب من الأسباب، وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه، وغضب عليه ،ورسخ في قلبه الحقد عليه، والحقد يقتضي التشفي، والانتقام، وقد يحدث الحقد؛ بسبب خبث النفس، وشحها بالخير لِعِبادِ الله".

ومن المعروف أن الغضب هو السبب الأساسى للحقد. والعلم بقدرة الله، والحلم، وتذكر فضيلة كظم الغيظ، ومجاهدة النفس من الدوافع الرئيسية؛ لعدم حدوث الحقد.

أما العمل فإن عليه أن يُكلف نفسه أن يصنع بالمحقود عليه ضد ما اقتضاه حقده فيبدل الذم مدحًا، والتكبر تواضعًا.

ومن العلاج الإقلاع عن الغي، وإصلاح النفس. و قد تخمد نار الحقد بالتشفي في المحقود عليه في حال تعرضه لمكروه أخطر مما فعل بالحاقد ، واشتهر الجمل عند العرب بأنه أشد الحيوانات حقدًا:

ويتكون الحقد من عدم القدرة على الانتقام، أو تفشل النفس في الدفاع عن نفسها مما يحفزها على الانتقام، والذي يصبح أسلوبًا في حفظ الكراهية، ورغبة الانتقام حتى فترة طويلة، ورغم تغير الظروف، وتغير الأحداث فينمو في النفس كالحياة في الروح.

ولقد أبغضت الكتب السماوية، والرسل الحقد، ونبهت إلى خطورته، ودوره في انكسار العلاقات، وقبح فاعلها – قال تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ" [البقرة: ٢٠٤–٢٠٥].

– وقال سبحانه : "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ" [الأعراف: ٤٣].

– وقال عز وجل : "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ" [الحجر: ٤٧].

قال الطبري : "وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وَصَف صفتهم، وأخبر أنهم أصحاب الجنة، ما فيها من حقد، وغِمْرٍ، وعداوة، كان من

بعضهم في الدنيا على بعض، فجعلهم في الجنة إذا أدخلوها على سُرُر متقابلين، لا يحسد بعضهم بعضًا على شيء خصَّ الله به بعضهم، وفضله من كرامته عليه، تجري من تحتهم أنهار الجنة" [جامع البيان] .

وقال القرطبي: "ذكر الله عز وجل فيما ينعم به على أهل الجنة؛ نزع الغل من صدورهم، والنزع : الاستخراج، والغل: الحقد الكامن في الصدر. والجمع غلال" [الجامع لأحكام القرآن] وفي السنه النبوية الشريفة – عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : "قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد" [صححه الألباني في صحيح ابن ماجه].

ولقد حثنا السلف الصالح، وصحابه الرسول الكريم على ذم الحقد – قال عثمان رضي الله عنه: "ما أسرَّ أحد سريرة إلا أظهرها الله – عز وجل – على صفحات وجهه، وفلتات لسانه" [الآداب الشرعية،لابن مفلح] – وقال زيد بن أسلم رضي الله عنه: "دخل على أبي دجانة، وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل ؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، أما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليمًا" [رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى] – وقال ابن حجر الهيتمي: "الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب" [الزواجر عن اقتراف الكبائر].

ولقد خلف الحقد آثارا ضارة، ومفجعة لكل من مارسه، وانعكست بدورها على المحيطين به (يثمر الحسد، وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه؛ فتغتم بنعمة إن أصابها، وتسر بمصيبة إن نزلت به، والشماتة بما أصابه من البلاء، والهجران، والمقاطعة، والإعراض عنه استصغارًا له، والتكلم فيه بما لا يحل من كذب، وغيبة، وإفشاء سر، وهتك ستر، وغيره، وكذلك محاكاته استهزاء به، وسخرية منه).

ولقد ذكر العلماء أنَّ الحقد من الكبائر، وأورد ابن حجر الهيتمي في كتابه (الزواجر) أن من الكبائر الغضب بالباطل، والحقد، والحسد، وذكر سبب جمعه لهذه الكبائر الثلاث بقوله: "لما كانت هذه الثلاثة بينها تلازم، وترتب، إذ الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب كانت بمنزلة خصلة واحدة، وذم كل يستلزم ذم الآخر، لأن ذم الفرع، وفرعه يستلزم ذم الأصل، وأصله، وبالعكس" [الزواجر عن اقتراف الكبائر،لابن حجر].

ومن البديهيات ألا يجوز أن يحقد المسلم على أخيه المسلم، أما الحقد على اليهودي الذي يقتل المسلمين في فلسطين، والشيوعي الملحد، والهندوسي الذين يحرق مساجد المسلمين، ويقتلهم، فالحقد في حقهم محمود مطلوب، قال تعالى: "قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ" [التوبة: ١٤-١٥].

ولا يزول حقد المسلم على الكافر إلا أن يسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله، لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، ولتتركن القلاص ، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء، والتباغض، والتحاسد، وليدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد" [رواه مسلم].

قال الأشرف: "إنما تذهب الشحناء، والتباغض، والتحاسد يومئذ؛ لأن جميع الخلق يكونون يومئذ على ملة واحدة، وهي الإسلام، وأعلى أسباب التباغض، وأكثرها هو اختلاف الأديان"، ومن الواضح أن هناك أسبابا للحقد، ومنها المماراة، والمنافسة.

قال الغزالي: "وأشدُّ الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة، والمنافسة، فإنها عين التدابر، والتقاطع، فإن التقاطع يقع أولًا بالآراء، ثم بالأقوال ثم بالأبدان" [إحياء علوم الدين]

كثرة المزاح :المزاح الذي يخرج عن حدِّه يغرس الحقد في القلوب، قال الأبشيهي: "المزاح يخرق الهيبة، ويذهب بماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الإيمان، والود"، والخصومة: قال النووي: "والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر، ويحزن بمسرته، ويطلق اللسان في عرضه" [الأذكار للنووي]. وكذلك الكراهية الشديدة.

ومن الوسائل الجليه للقضاء على الحقد، والتخلص منه هو الأسلوب الأمثل في التعاون المجتمعي، والعائلي، أو مايعرف بالأسرى، أو القبلى، ومنها الدعاء.

المسلم يدعو الله أن يجعل قلبه طاهرًا نقيًّا من الحقد، والغل قال تعالى: "وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ" [الحشر: ١٠].

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو، ويقول: "رب أعني، ولا تعن عليَّ، وانصرني، ولا تنصر عليَّ، وامكر لي، ولا تمكر عليَّ، واهدني، ويسر الهدي لي، وانصرني على من بغى عليَّ، رب اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مطواعًا، إليك مخبتًا، أو منيبًا، تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، وأسلل سخيمة قلبي" [صححه الألباني في صحيح الجامع]، والسخيمة هي الحقْدُ في النفسِ [شرح سنن أبي داود، للعيني]، وترك الغضب الذي هو سبب للأحقاد: فالغضب يعتبر من الأسباب التي تؤدي إلى الحقد، فإذا اختلف شخص مع آخر في أمر ما غضب عليه، ثم الغضب يتحول إلى الحقد، وإرادة الانتقام، وكذلك ملء القلب بالمحبة، وإرادة الخير للآخرين، واعتذار المرء لأخيه:

قال أبو حاتم: "الاعتذار يذهب الهموم، ويجلي الأحزان، ويدفع الحقد، ويذهب الصدَّ... فلو لم يكن في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تحمد إلا نفي التعجب عن النفس في الحال، لكان الواجب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زلة" [روضة العقلاء**]**.

النبي – صلى الله عليه وسلم – القدوة في الأخلاق الحسنة، ومنها سلامة الصدر من الحقد، والضغائن، وقد ذكر ابن القيم سلامة الصَّدر، من منازل إياك نعبد، وإياك نستعين، فقال: "ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي فلينظر إلى سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الناس يجدها بعينها" [مدارج السالكين**]**.

وهكذا كان أصحاب رسول لله قلوبهم سليمة من الأحقاد، والضغائن، ومن تلك النماذج ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه، قال: "كنت جالسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم فقد غامر فسلم، وقال: إني كان بيني، وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثًا، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم

كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه، وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟! مرتين، فما أُوذي بعدها" [رواه البخارى].

قال الغزالي : "للمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة:

أحدها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة، أو نقصان، وهو العدل.

الثاني: أن يحسن إليه بالعفو، والصلة، وذلك هو الفضل.

الثالث: أن يظلمه بما لا يستحقه، وذلك هو الجور، وهو اختيار الأراذل، والثاني هو اختيار الصديقين، والأول هو منتهى درجات الصالحين" [إحياء علوم الدين].

ومن أنواع الحقد الكثير: كالحقد الطبقي، والمجتمعي، وأيضا الحقد الصامت، والحقد المنطوق الظاهر، وسنتناول كل منهم على حدا.

١- الحقد الصامت: وهذا النوع من الحقد لن تستطيع أن تكتشفه من الحاقد، ولكن فهو يمكن أن يتسبب لك في العديد من المشاكل دون علمك، ويمكن فى باطنه لك العداوة، ولكن عند طرحنا لعلامات الحاقد يمكن أن تكتشفه.

٢- الحقد المنطوق، أو الظاهر" وهذا النوع من الحقد، والناس الحقودة يتلفظون معك، ولو على سبيل الضحك بأنهم

يحقدون عليك، أو على نجاح قد فعلته، وغيره من الأشياء فيمكنك ملاحظته هذا في العديد من المواقف.

٣- الحقد المجتمعي: وهذا يحدث أكثر فى الأمور التى تتعلق بالحياة الشخصية فقد يقوم شخص بأظاهر حقده، وحسده لك عند الوصول إلى منصبٍ هام، أو تحقيق إنجازًا، أو أنه يحقد لما لديك من أسرة، أو مال فكلها أمور تتعلق بالحياة الشخصية.

٤- الحقد الطبقي: وهذا النوع يترسخ في الطبقات الاقتصادية حيث اختلاف المعاييش، والحالات، والنظر لمن هو أعلى فى المستوى الاجتماعي، وقد يكون المفهوم الأشمل في هذا النوع هو الحقد على رجال السياسة، وما لديهم، وغيرها من الأشياء.

ولكن مع هذه الأنواع يجب معرفة كيف أتعامل مع الناس الحقودة؟! وذلك لأن حياة الكثير لا تخلو من الناس التي تتمنى لك الكره، وتحمل لك الكثير من مشاعر الحقد، والسلبية، والتي تقع بالكثير من الأضرارعليك.

وقد يتسبب الحقد في أضرار عدة كالكرة بين الأصحاب، والأخوة أيضا، ومن هنا لا يمكنك فهم كيف أتعامل مع الناس الحقودة؟

أما الحسد: فهو المشتق من الحقد، ويعني تمنى، وزوال ما عند الغير، ويؤدي الحقد إلى الحسد، وعدم الرضا بما لدى الناس الحقودة.

والعداء، والقطيعة أيضًا من أضرار الناس الحقودة، والحقد فقد يؤدي إلى أن الشخص الحقود يخسر صديقًا له، أو أخًا بسبب حقدة عليه.

أما الغيبة، والنميمة فهما أيضًا من أضرار الحقد، وذلك؛ لأنه كما ذكرنا بأن الناس الحقودة يقضون معظم أوقاتهم في الانشغال بغيرهم، والحديث عنهم، وتدبير لهم ما يجعلهم يقعون المشاكل، والمكائد.

ولا ينبغي إلا أن نقول أن هناك سخط من الله على من يحقد، ويتمنى لغيره الشر، وكذلك من الخصال السيئة التربص، والإيذاء من الناس الحقودة لمن يحقدون عليهم إلى أن يقع بيهم من المصائب الكثير كل هذا يؤدي إلى تفشي الأمراض النفسية في المجتمع حيث أن كثرة وجود المشاعر السلبية مثل: الحقد، والحسد، والكرة، والعداوة، فكل هذا يعمل على وجود المشاحنات بين الأشخاص.

وجدير بالذكر أن الشماتة بوقع السوء، والضرر لمن حقد عليه يأتي من عدم معرفتك كيف أتعامل مع الناس الحقودة؟

وغريزة حب الانتقام، وإن أتاحت الفرصة للشخص الحاقد؛ لتحقيق مآربه إلا أنها في نفس الوقت تسبب الدمار للحاقد، والمحقود عليه، والغضب الدائم أيضا من أضرار، والأسباب التي تثير الحقد، وخاصة إذا كان

بين الأقارب كل هذا من أضرار التعامل مع الناس الحقودة، ويجب عليك بعد أن قمت بمعرفة كل هذا أن تتجنب ما يؤدي إلى ذلك، ولكن لابد أن نقوم بعرض صفات، وعلامات تدل على الناس الحقودة.

كما ذكرنا فأن الصفة الأشهر، والأوضح هي إظهار الكرة بشكل مستمر، والغضب عند ذكر شخص لا يحبه، وتشوية صورته أمام الآخر، وأيضا لا يحب الخير لغيرِهِ، ولا يقوم بمساعدتهِ الغير، ولهم قدرة على إيقاع الغير، والوقيعة ببعضهم البعض، وتعمد إيذائهم ناهيك عن الغيرة المستمرة إذا قمت بشراء شيء، أو أن تقدمت في عملك، وتفوقت، ولهم القدرة على التقليد أيضا، وهي من الأمور التي تجعلك تكتشف إذا كان هذا الشخص لديه من الحقد، والغيرة بداخلة تجاهك، أم لا؟!

ولا يخفى عليك أنه دائمًا ما يكون الشخص الحقود في حالة من عدم الرضا بالنفس والكأبة، والحزن النفاق في الحديث بأنه يحبك، والتودد، وهو لا يفعل هذا بل يريد أن يتظاهر بيه أمام الآخرين كما يتسم الشخص الحقود بسوء الظن المستمر حيث أنه يلقى بيها على من يحقد عليه، ومنها يمكنك معرفته أيضا، والتقليل من شأنك وإلقاء اللوم عليك دوما، وعدم تقبل عذرك كل هذه الصفات، والعلامات يمكنك من خلالها معرفتة الناس الحقودة، ومنها سنتطرق للطرق التي تساعدك فى كيف أتعامل مع الناس الحقودة؟

وأخيرا، كن إيجابيًا قدر المستطاع عند التعامل مع الناس الحقودة، وذلك بأن تترفع عن الردود السلبية التي تجعلهم يشعرون بالانتصار عليك لا تتعامل كثيرًا مع الناس الحقودة وضع حدودًا، وطرق للتغلب على النقاش معهم، وبقى لي أن تعرف إجابة سؤالك كيف أتعامل مع الناس الحقودة؟ لا

تأخذ الكرة، والحقد بمحمل من الجد وأكمل في طريقك حتى لا تتأثر سلبيًا بهم، ولا تتوقف عن فعل شيء ما إذا واجهت انتقادًا ممن يحقدون عليك، فدعهم، وشأنهم، ودائما أنصحك بأن تقدم له من الخير، والمعروف، وتعامل معه بهدوء، وذلك إذا كان هذا الشخص لا تقدر على التوقف عن التواصل معه كالأخ، أو الأقرباء.

وأخيرا إن كنت تعلم، وتعرف أن هناك شخصًا يحقد عليك، أو يحمل لك من الغضب الكثير فقم بالحديث معه إلى أن تصلوا إلى الود، والصفاء فهذا سوف يساعدك في القدرة على كيف أتعامل مع الناس الحقودة؟

صراع البقاء

إن أطول من حكم بلدا مسلما في التاريخ هو المستنصر بالله الفاطمي العبيدي الشيعى – والبلد طبعا هي مصر – استلم الحكم طفلا وعمرة ٧ سنوات عام ٤٢٧م بعد أبيه الظاهر بالله فمكث ستين سنة متصلة.

عام ٤٥٧م حدثت المجاعة العظمى فأكل المصريون الكلاب، والميتة، ولحوم البشر، واشتهرت أسطح بيوت القاهرة بالخطاطيف، والكلاليب لاصطياد البشر ثم أكلهم كما روى بن تغريدي والمقريزي في كتبهما.

استمرت "الشدة المستنصرية" هذه ٧ سنوات حتى عام ٤٦٤م، والغريب أنه ظل يحكم مصر حتى مات عام ٤٨٧م، واستمر ٣٠ عاما بعد بداية مجاعة عظمى أكل فيها المصريون جيرانهم، وأبنائهم، ولم يأكلوا المستنصر بالله !!!! ولم يثوروا عليه !!!! لم يقتلوه، بل أورث المصريون لولدة المستعلي، فورثهم من أبيه، وورثوة أنفسهم "الشدة المستنسيسية".

وصدقت مقولة شوبنهور: "أن الحياة شر؛ لأنها قتال متواصل بين الأنواع المختلفة التي يحاول كل منها أن ينتزع من الآخر ما يملكة من مادة، ومكان، وزمان."

وضرب مثلا بنملة إسترالية من طبعها أن تنقسم نصفين، وسرعان ما تبدأ المعركة بين الرأس، والذنب في معركة طويلة تنتهي في أغلب الأحيان بالموت.

في كتاب زوجات مفترسات للدكتور عبد المحسن صالح معلومات قيمة، ومقرفة في نفس الوقت تشعرك بأن الحياة شر.

نعم، الحياة شر، وفيه صراع بين الكائنات، وبعضها، وكل كائن يختلق الحيلة للفتك بالآخر، أو القضاء عليه، أو الاستفادة منه. والزمبكة، أو الاستهبال ليست صفة في في جنس بني آدم فقط، ولكن في سائر الأحياء، وإن كان البشر هم أسوء الأمثلة على ذلك.

وأسوء أنواع السفالة تجدها متوفرة في الزوجات على جميع المستويات، وتبدأ من الحشرة إلى الطيور ثم الحيوانات، وتنتهى بالبشر، ونحن منهم.

ومن أشهر الأمثلة حشرة اسمها فرس النبي – وهذه الحشرة خدعت الناس بحركاتها الخادعة التي توحى لك بأنها تصلي ولو الناس عرفت حقيقتها لسموها فرس الشيطان لا فرس النبي – حيث أن الحشرة الخضراء تقف بدلع انتظارا لعريسها الغلبان الذي يظهرلها من بعيد، وتجذبة حركات الدلع، والإغراء تماما مثل: حواء، أو (المُزة) في لغتنا البشرية، وهي تتمخطر في مشيتها، وتهز نفسها بدلع، وحنان حتى يقع المغفل مننا ضحية غريزته.

تتأملة الغندورة في صمت يوحى إليه أنه قد حرك شيء في قلبها تماما مثل: الدونجوان المنتظر الوصال، وفي الحقيقة أنه أسال لعابها – تسلمة الهانم نفسها قصدي الحشرة السافلة تهيئ نفسها له، ويتمكن من الوقوف فوقها – وهنا تبدأ اللعبة القذرة حيث تدير بوزها الجهنمي، وتبدأ فى ملاطفته، ومداعبة رقبته، يظن الغشيم التعيس أنها تريد أن تداعبة في حين أنها تستعد لتناول طعام العشاء، أو الغداء، وبأسنانها تعض رقبته برفق أول الأمر باحثة بغريزتها عن غدة خاصة تعرف بفطرتها أنها كائنة في رقاب الذكور، وظيفتها تهبيط الحافز الجنسي في غير أوقات اللزوم، هي تعرف أن الذكر في هذه اللحظة فى أشد حالات فورانه الجنسي، وتبدأ فى التهام هذه الغدة حتى يمكنها التحكم في قدراته الجنسية، وجعلها مستمرة في ثورتها.

والغريب إنها عندما تبدأ فى التهام هذه الغدة لا يبدي الذكر أي اعتراض – ويسعد الزوج الأهبل عندما تشرع في التهام كل رقبته، وهي تدلعة بقولها رقبتك حلوة ياحبيبي – فيرد عليها رقبتي فداك يا نور عيني – وتشرع الأمّورة في أكل الرقبة كلها حتى تنفصل رأسه عن جسمه.

والعجيب أن هذا الحدث لا يعوق، أو يحول البيه العريس عن أداء دوره، أو واجبة، ولمدة ساعات طويلة؛ وذلك لأن الجهاز العصبى لهذه الكائنات ليس مركزيا كما هو الحال عندنا، أو مثلنا، ولكل عقل من جسم العريس مركز عصبي خاص يمكنها من العمل في غير حاجة إلى الرأس الذي انقطع.

ويموت العريس التعيس عندما تصل العروسة المنحطة في سفالتها، وندالتها إلى فتح بطنة، والتهام مافيها إشباعا لرغبتها الجنسية فتتركه يسقط على الأرض، وتواصل هي الدلع بتناول ما تبقى من الأحشاء، والأعضاء الصالحة للأكل.

والشيء العجيب الذي يجب أن تعرفه أن هذا يحدث على الدوام بالرغم من توافر الطعام حول العروس السافلة، كأنها تستنكر الحياة على زوجها، وقد قضت منه وطرها. أو لعلها لا تحب الرمزية، وتفضل أن يتغذى أولادها على لحم أبيهم لكي يكون (زيتنا في دقيقنا على رأي المثل).

نفس الشيء يحدث مع أنثى الخنافس، وأنثى العنكبوت، وأنثى العقرب، والصرصار وإن دل على شيء، فهذا مثال بيّن على الوضاعة، والوحشية في مملكة الحشرات التي ظهرت على سطح الأرض منذ ملايين السنين. ومدى الاستهبال، والخفة للذكر الذي يؤمن بمبدأ، "ومن الحب ما قتل".

وأخونا شوبنهاور الذي قال "إن الحياة شر" كان متعقد نفسيا ربما من تسلط الوالدين، أو هجر الأولاد، أو (زمبة) من العشيقة، أو قرف من الحياة، ولذلك لم اعتمد على رأيِهِ مما دفعني إلى البحث في مصادر أخرى، وكانت المفاجأة المذهلة.

في عالم البحار لا تنخدع بالمياة الزرقاء الهادئة الممتدة أمامك مدى النظر، وأنت جالس على الشاطئ مستمتعا بالهدوء، والسكينة فداخلها صراع تدور فيه أبشع المعارك التي تنتهي فيه بالتهام كبار الكائنات الحية لصغارها. والالتهام يكون بالجملة لا بالقطاعي، فيكفى للحوت الأزرق أن يفتح فمة لتدخل فيه الآف الكائنات الحية؛ لتكون طعاما سهلا ميسورا، ونفس الحوت قد يتعرض لمخاطر كثيرة قد تنتهي بقتلهِ على يد صياد من البشر، أو التهامه بمعرفة واحد من أعدائهِ.

والحوت الأزرق الذى يزيد طولة عن ثلاثين متر، ويعادل وزنه ثلاثين فيل له عدو يسمى الحوت القاتل، والغريب أن الحوت القاتل هذا صغير جدا، ولكنه أكثر قسوة، وشراسة.

وهو يتقدم في قطعان لمهاجمة الحوت الأزرق، اتنين من شباب القطيع ينشبان أنيابهما في فكة الأسفل بينما يقوم الآخرون بضربه على جسمهِ بذيولهم القوية فلا يبرح الحوت، وقد تعب من فتح فمة، وإخراج لسانه، وهنا يقوم القطيع بالتهام اللسان الضخم بعد أن يقوموا بتمزيقهِ، وذلك كنوعٍ من مسح الزور قبل أن يقوموا بالتهامهِ.

الحياة صراع بين الكائنات الحية منذ ملايين السنين إما من أجل العيش، أو الأرض، أو الجنس، وهذا الصراع منذ أن خلق الله الكون إلى الآن دائم، ومحتدم.

ودارت عجلة التطورمنذ قديم الأزل، ومنذ ملايين السنين حتى ظهر كائن حي يمكنه التمييز بين الخير، والشر، وهو الإنسان، وصحيح أن أنثى البشر كانت لا تأكل زوجها مكتفية بأن تعكنن حياته، وتخرب بيته.

ولكن تلك القدرة على التمييز بين الخير، والشر التي تحلى بها الجنس البشري كانت سببا فى إيذائهِ، وأكثرت من مشاكلة، وتسببت في صراع أزلي بين المخلوقات، أو الجنس البشرى، وبعضه.

وإذا كانت كافة الحيوانات تقتل لتأكل فقد أثبتت الحروب التي آثارتها، وما زالت تثيرها أغنى الدول أن الإنسان على عكس تلك الحيوانات هو الكائن الوحيد الذي يأكل ليقتل.

ولم تكتفي الطبيعة البشرية بالقتل وسيلة لتحقيق المكاسب بل تعدتها إلى اتباع سياسة الإزلال، والقهر.

تماما مثل ما قيل على إن الحيوانات تأكل بعضها – البشر أيضا تأكل نفسها، وبصراحة لقد أقشعرجسمي عندما بحثت في هذا الموضوع.

قال تعالى: "أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا" سورة الحجرات آية (١٢).

ربما لم تتذوق أبدا... لحوم البشر.

هم يقطعونها... يطهونها... يأكلونها... ويغنون، ويرقصون فرحا بتلك الغنائم البشرية المقدسة.

قبائل ربما لا تعرف شيئا عن الحضارة التي تبعد ملايين الكيلومترات عن أكواخهم الصغيرة في أعماق الغابات، ربما ظنوا أنهم مازالوا في العصر الحجري.

كلمة لحوم البشر بالإنجليزية cannibalism وترجمتها (آكل لحم الجنس ذاته). وهي مشتقة من كلمة كاريب الأسبانية التي تصف قبائل (كاريب) الهندية التي تحدث عنها المستكشف كريستوفر كولومبس.

وقد مورس أكل لحوم البشر عبر التاريخ في عدة مواضع، وحالات منها:

- أثناء المجاعات.

- وفي المدن المحاصرة، ومن بعض القبائل البدائية. كنوع من المبالغة في إيذاء العدو، حيث يأكل المنتصر من لحوم المهزوم، واعتقاد البعض بأن أكل لحم الأعداء ينقل قدراتهم لهم.

- أو كإحدى الطقوس الدينية، أو طقوس الدفن.

- أو كمرض سلوكي جنسي.

والغريب أن هناك قبائل تشتهر بأنها كانت تمارس هذة الطقوس، وربما ما زالت تمارسها حتى الآن، ومنها قبيلة الكاريب – وقبيلة الأزيتكس – قبيلة كارانكاوا – قبيلة فيجى – قبيلة كورواى – قبيلة ماوري.

وحديثا تم اكتشاف حالات شاذة تم فيها قيام بعض الأفراد بالتهام جثث آخرين مثل: أرمين مايفيس فني الكمبيوتر الألماني الذي اعترف بقتل، وأكل رجل عام ٢٠٠١ أيضا السفاح الروسي (أندرية تشيكاتلوا) الذي اعترف بقتل ٥٣ شخصا على الأقل بين عامى ١٩٧٨ و١٩٩٠.

كما اشتهرت قضية آسي ساجاوا آكل لحوم بشر ياباني بقتلة الطالبة الدانماركية رينية هارتيفيلت، والتهامها، واعتبرة القضاة مجنون، وتم إيداعة مستشفى الأمراض العقلية حيث قضى خمسة عشر شهرا خرج بعدها، ويعيش طليقا حتى اليوم في اليابان.

ويقال أن جيمس كوك الذي قتله سكان هاواي قد تم أكله.

ويقال أيضا أنه خلال الحرب العالمية الثانية قام بعض الجنود اليابانيين بأكل بعضهم، وأكل أعدائهم بعد محاصرتهم من قبل الأمريكيين، وقطع المؤنة عنهم في إحدى الجزر.

ومن الغريب أن هناك العديد من القبائل التي مازالت تعيش في أعماق غابات الأمازون الاستوائية مازالت تمارس هذه الطقوس، وتتغذى

بالفعل على تناول لحوم البشر كأحد أشهى أنواع الطعام لديهم إذ يقومون باصطياد الرحالة، والمغامرين الذين يتجولون في هذه المناطق.

وقد تم التقاط صور لقبيلة أمازونية بدائية في غابات الأمازون أخذت برمي السهام البدائية على الطائرة الهيلكوبتر التي اندهش طاقمها من وجود هذة القبيلة حتى الآن.

– تخيل أنك تعيش وسط بشر يتربصون بك ليأكلوك إما طمعا فيك، أو في مالك، وأن جارك بيسن سنانه لكي يتغدي بك قبل ما تتعشى به.

– أرجوك خلي بالك من ولادك، ونفسك لحسن تقوم الصبح تلاقي عيلتك ناقصة واحد بيّطبخ على بامية، أو بطاطس، ونفسك تأكل معاهم على شوية محشي كرنب، أو ملوخية بكتف الواد. وتعالى نفسح الكتكوت!!

الفهلوة إرادة مصرية

الفَهلَويّ هو الشخص الماهر، والبارع ، الشاطر ، القادر على التكيُّف السريع مع متغيّرات المجتمع.

والفهلوة سلوك مصري خالص لا يمكنك أن تضع له إطارا محددا، أو تعريفا جامعا مانعا، إلا أنه يعني في أبسط تفسيراته أن أعمل أقل مما يجب، وأن أحصل على أكثر مما استحق، وهي ثقافة راسخة في وجدان المصريين مع اختلاف طبقاتهم الاجتماعية.

الفهلوة بصريح العبارة كلمة فرعونية مشتقة من كلمة فارسية هي پهلڤي (وكانت اللغة الفارسية تكتب بحروف پهلڤية، أي فهلوية)، وهي تطلق على من يتميّز بالشجاعة، وسعة الحيلة، تعني التشاطر، وسرعة الفهم، ورد الفعل، أو سرعة البديهة، استعملها كل حكام مصر كفقرة رئيسية في دستور البلاد حيث أصبح الشعب بعد تطبيق هذه المادة يفهمها، وهي طايرة، وأصبح أكل العيش يحب الخفية، ومن الجدير بالذكر أن الفهلوي يختلف عن الأونطجي التي هي كلمة يونانية معناها حيلة.

يرى المؤرخ محمد سعيد الصحاف: "أن سياسة الانفتاح في عهد السادات أحدث انقلابًا في منظومة القيم، فتحول المصري من الإنتاج

إلى الاستهلاك، و حدثت خلخلة لطبقات المجتمع، وقيمه، وتآكلت الطبقة الوسطى، فصارت الخطوط الفاصلة بين الخطأ، والصواب غير واضحة".

الفهلوة في حد ذاتها هي أحد السمات المصرية الأصيلة، والفهلوي اليوم هو رجل العصر.

الفهلوي: هو الرجل الجدع الذي ينزل من بيته، ويعرف يطلع الجنيه من أي حد بأي طريقة، يرى الباحث الاجتماعي – سعدي الحلي – أن ظاهرة الفهلوة هي نتيجة لسبب رئيسي ألا وهو، أن الدولة ليست لديها خطة منهجية واضحة ليسير عليها أصحاب رؤوس الأموال في مصر نضيف إلى ذلك كل التعقيدات الروتينية، وكل الرسوم، والضرائب، والجمارك التي تفرض على أصحاب المشروعات الصناعية أي كان حجمها مما يجعل الكثيرون يختفون تحت بير السلم تهربًا من تلك الرسوم، والضرائب.

اتخذت أفعال الفهلوة عدة مستويات، وأشكال، إذ تجد أحدهم يقوم بسرقة مصابيح الإضاءة من أعمدة النور، ومربعات الإعلانات الموضوعة على جانبيّ الرصيف في الشوارِع، أو مثيلتها من كابلات مترو الأنفاق. سرقة أغطية البالوعات، وصناديق الكهرباء من الشوارع ، بل بلغ الأمر إلى سرقة كبائن التليفونات من أمام السنترالات. وسرقة صناديق القمامة من أمام ناصية الشوارِع، وفي حالة أن كان بعض الفهلوية

يمتلكون مهارة، وأجهزة متقدمة نسبية، يمكنهم سرقة شبكات الموبيل من فوق العمارات، أو المناطق الزراعية النائية، سواء الحديد، أو النحاس، كما يحدث مع أسوار الكوبري الدائري يوميًا، وحدث أيضًا مع كوبري قصر النيل، ومع سيف تمثال سيمون بوليفار من ميدان التحرير.

أما الفهلوي قليل المهارة، قليل الحيلة، فقد يبدأ بسرقة الأحذية من أمام المساجد، الكنائس ، ثم صناديق الزكاة، والعطاء، بعدها يتجه إلى المنازل؛ لسرقة الأحذية من أمام أبواب الشقق أيضًا، أو أي شيء ذو قيمة متروك في حوش المنزل. قد يتم سرقة سيارة، وطلب فدية مالية لاستردادها ، فالسارق يعلم صاحب السيارة جيدًا، أو له تواصل من جهة ما بالموضوع. أو يتم سرقتها، وتفكيكها، وبيعها أجزاء في أحد الأسواق، والمتاجر. بل بلغ الأمر إلى اختطاف إنسان، وطلب فديّة حتى لا يتم قتله، أو إيذائه.

علماء الاجتماع ، وعلماء النفس اختلفوا في تحديد مخاطر الفهلوة، والتي تتجلى أغلب أنشطتها في السرقة، والنهب، والخطف، البعض منهم رأى أنه سلوك طارئ على المجتمع المصري، أو اضطراري، يفعله البعض في البداية رغمًا عنه، لقضاء المصالح ثم مع الوقت، حين يتوفر الإشباع الكافي، سيختفي تدريجيًا.

وآخرون يرون أنه صار مرضًا مزمنًا يحتاج لعلاج ناجع، إذ هو دليل صارخ على غياب أي شعور بالانتماء، أو الحب لهذا البلد، أو أي رغبة

في حماية ممتلكاته العامة، والمحافظة عليها، بل اعتبار سرقتها أمر طبيعي لا غبار عليه.

صديقي الفهلوي بالطبع تعتقد أنك تعلم الكثير، وأنك توصلت إلى فك شفرات، وأسرار الحياة، وارتشفت من نبيذ الخبرة المُعتّق ما لم يشتم رائحته أحدٌ ممَّن حولك، ولكن دعني أتبجّح قليلاً، فلربما ساقني التبجّح إلى دربٍ من الصراحة لأقول لك أنك في الواقع لم تُصِب من الحقيقة سوى نسبة أشبه بنسبة الأكسچين على كوكب المريخ. بالطبع هي نسبة لا تُذكر. ولكن ضآلة علمك بالحقائق هي الحقيقة الوحيدة التي يمكنك التشبث بها، فكلما عرف المرء أكثر كلما تأكد أنه لا يعرف وبناءً عليه، فالفهلوة هي أصل الجهل.

نحن نقابل يوميًا من هؤلاء ما يكفي لسد ثقب الأوزون ، فابتداءً بأصحاب الجملة الشهيرة: هو قالّك فين، مرورًا بمن يتربصون بكل فرصة لطرطشة نصائحهم النفسية، والعاطفية على من حولهم، وانتهاءً بآخرين يعتقدون أن الزمن قد فاض عليهم بعلوم طبيّة، وفيزيائية جمّة.

إن ضآلة علمنا بحقائق كثيرة حولنا لهو أمرٌ طبيعي، فأنت على سبيل المثال لا تعلم ماذا تفعل المتبرجة، ولا المنتقبة حين تذهبان بعيدًا عن أعين الناس، ولا تملك أي حكم موضوعي عليهما، وكذلك لا تعرف بالتحديد ما إذا كان كوكب كيبلر الجديد عليه حياة أم أنها محض افتراضات، حتى إنك لا تعلم ما يكفي عن جسدك، وعقلك، فقد يولد

المرء، ويموت دون أن يختبر ما بقدرة عقله أن يفعل، كل هذا ليس عيبًا، ولكن العيب هو الافتراء على الحقائق فقط لإثبات أنك تعرف أكثر.

نحن نمارس الفهلوة على أمل اكتساب الوضع الاجتماعي اللائق، والنظرة الحاسدة التي نتمناها بقدر خوفنا منها، نتمنى أن يرانا الناس في صورة أفضل، فالعلم يعطي صاحبه مكانة لها لذّة خاصة. نعم العلم، وليس ادّعاؤه.

ولكن القراءة تحتاج إلى وقت، ومجهود، وقد يكون أحدهم لا يملك أيًا منهما، فما الحلّ إذًا؟.

لا ليس الفهلوة الحل في أربع كلمات: فليقل خيرًا، أو ليصمت.

البشر لا يعلمون الكثير. في نطاقنا المحدود نحن نتباهى بالقليل الذي نعرفه في المطلق، نحن محظوظون أننا لم نمت خجلًا من نظرة الكون المشفقة علينا، نحن مثيرون للشفقة إلى حدٍ لا يسمح لنا بقول ما نعرفه حقًا، وليس ما ندّعي معرفته.

كلما وجدت طريقا مرصوفا(كلشنكان) أقول صممه، ورصفه فهلوي، كلما سمعت عن كوبري سقط، أو عمارة سقطت قبل التسليم أقول صمم، وبني فهلوي... كلما وقعت نازلة من النوازل في بر مصر.

أصرخ من أعماقي، والله خلفها فهلوي... ابحث يا صديقي عن آية كارثة ستجد عليها بصمات الفهلوي حتي غدت(الفهلوة) سر شقاء

المصريين عبر تاريخهم لقد صاح فهلوي(برقبتي يا ريس) أنتجت كارثة١٩٦٧... ولا يهمك يا ريس(خليهم يتسلوا جاءت لنا بثورة ٢٥ يناير فما الفهلوة هذه؟؟

إنها كلمة فارسية الأصل منحوتة من الفاء، والهاء، والواو، ليس من بينها حرف مستقر عدا اللام. ولعدم الاستقرار هذا يكشف عن روغان الفهلوي... ويعرف الدكتور سيد عويس الفهلوي(بأنه كل مدع العلم بكل أنواع العلوم فتارة هو عالم عصري، وأخرى من عباد الله الواصلين العارفين أصحاب الكرامات، وتارة آخرين حفظة التراث المصري الأصيل).

والتعرف إلى أهل الفهلوة ليس صعبا فهم الأشخاص الذين يبحثون باستمرار عن أقصر الطرق، وأسرعها؛ لتحقيق الأهداف، والمكاسب الدنيوية، والأخروية على السواء. وهم دائما يتجنبون طرق العناء، والجد، ويكون همهم ليس إنجاز العمل على أكمل وجه، وإنما إنجازه (بأي شكل)، ومن أهم سمات الشخصية الفهلوية المصرية: هو التظاهر بالتفوق، والإحاطة بالمعرفة، والفهلوي المصري لا يعجبه عمل غيره سواء كان قولا، أو فعلا، وربما ذلك يرجع؛ لخوفه من سقوط القناع فتنجلي حقيقته.

وإن ظهر عيب له لم يقره بل يحوله إلى ميزة في منطوق مغاير، فالاعتراف بنجاح الآخرين، قد يعرض مشروعه أيا كان نوعه إلى الانهيار،

وهو من أشد العارفين بمدى خواء أفعاله المسنودة على الدوام بالأقوال. ولعلنا نلحظ ذلك الخيط الرفيع بين الفاه– أي الفم – والفهلوي!

وكأن الشخصية برمتها تتحول إلى (فم)، أو كما يقول العامة(بق) فنطلق عليها مصطلح(فهلوي) يعني (مكلمنجي) حتي إن جمال حمدان في كتابه عبقرية المكان يقول: إن الفهلوة كانت من الأسلحة التي قاوم بها الفلاح المصري البسيط الطغاة في مختلف عصور الظلم، والظلام، والاستبداد، التي مرت عليه، والتي بدأت بالبطالمة، ولم تنته بالإنجليز. إذ إن الشخصية، تخلق لنفسها هالة لا تستحقها فيتوهم الغير أنها ذات قدرات، وأفعال لا يقدر عليها سواها، ومن هنا تجعل لنفسها مهربا، من بطش الطغاة، أو لتحصل علي مرادها بالأقوال أكثر من الأفعال؛ وهوما رسخ لهذه الشخصية أن تتربي في تلك البيئات، حتي استقرت في يومنا هذا حتي أصبحت ثقافة راسخة في وجدان الناس! فترسخت قيم الفهلوة، وانتقلت كميراث قيمي، وخلقي من الآباء إلي الأبناء، وسوف يستمر هذا الميراث في غياب المعيارية، والقواعد، والانتقائية في تطبيق القانون، وما دام هناك مصريون يعملون لذواتهم لا للوطن بطرق(حلزونية) لاعبة علي كل الحبال. لقد تحولت هذه السمة في عصرنا هذا إلى ثقافة سائدة حتي أصبحنا نمارس الفهلوة، ونفن فيها، ويزايد بعضنا على بعض في تفننه، وإعجابا بنا نقلها العرب عنا ثم مارسوها علينا بدورهم؛ حتي وقعنا جميعا في دائرة من الفهلوة لا نهاية لها.

فتكونت لدينا طبقات من الفهالوة: في كل ميدان، وكل مجال، وأصبح لدينا(الفهالوة) من أهل الكهنوت، العصبة، العمامة، العقال، الأشمغة لا فرق، يسلبون الشعوب يقظتهم، وتفكيرهم، وإرادتهم، وسلامهم، لقد أصبحت الشخصية الفهلوية خطرا يجب الانتباه إليه، وعضوا فاسدا يجب الإسراع في بتره، أينما اتخذ مكانه سواء على المستوي المجتمعي، أو العلمي؛ وأن آفة هذا الوطن هي الفهلوة؛ حيث تغلب قيم التلاعب، والنفاق على قيم الصدق، والوفاء، والسمعة الطيبة.

ومن المعروف أن هناك كثيرا من المؤلفات التي تناولت بالبحث عن الشخصية المصرية، وأنماطها المختلفة ومن أهم الكتب، والدراسات التي ظهرت في هذا الصدد كتاب التربوي الكبير د.حامد عمار «في بناء البشر»، والذي ننشر منه الفصل الخاص بالشخصية الفهلوية، وهو النمط الذي ساد في الشخصية المصرية خلال العقود الأخيرة، ونلحقه بالتحول الذي طرأ على تلك الشخصية السلبية إلى شخصية منتجة.

ذكرنا أن لكل مجتمع نمطًا اجتماعيًا لشخصيات أفراده، يمثل الصورة المثلى لمجموعة من السلوك، والقيم، والاتجاهات التي يسعي إليها أعضاء ذلك المجتمع، ولا يقصد بهذا النمط جملة من الصفات المعينة، وإنما هو استجابات مقننة متواترة في مواقف معروفة يتوقعها المجتمع، ويؤثرها على غيرها من أمثال تلك المواقف.

وتعمل مختلف القوى، والمؤثرات التعليمية على تشكيل شخصية الفرد في إطار هذا النمط الاجتماعي مما يضمن التماسك، والاستقرار في حياة تلك الجماعة.

وقد أشرت أيضًا إلى أن مفهوم النمط الاجتماعي مشابه في تصوره لفكرة «الوسط» في العينة الإحصائية، فقد ينحرف عنه بعض أفراد ذلك المجتمع يمينًا، ويسارًا، إما لظروف فردية خاصة في نموهم، وإما لعوامل فكرية، واجتماعية تجعل هؤلاء الأفراد أكثر وعيًا بالنمط في مجال التأثير به، أو رد الفعل له.

وقد زعمت أن النمط الاجتماعي لشخصية المصري هو الذي اخترت له لفظ «الفهلوي»، وأن مظاهر السلوك، والقيم لهذا النمط في مختلف المواقف، والعلاقات الاجتماعية، قد تكونت نتيجة لتضافر الأبعاد التاريخية، والاقتصادية، والاجتماعية التي جعلت منها التكيف السوي الناجح لمواجهة ظروف الحياة المصرية في عصور التاريخ. فما مقومات هذا النمط؟ وما مظاهر سلوكه؟ وما قيمه، واتجاهاته؟

ومما لا شك فيه أن أول مظهر من مظاهر سلوك «الفهلوي» قدرته على التكيف السريع لمختلف المواقف، وإدراك ما تتطلبه من استجابات مرغوبة، والتصرف وفقًا لمقتضياتها إلى الحد الذي يراه مناسبًا، أليس الفهلوي هو الذي يستطيع أن يخالط «الجن الأحمر»، ويعايش في نفس

الوقت «ملائكة السماء، والأرض» دون أن يجد في ذلك غضاضة، أو دون أن يتطلب هذا منه جهدًا جهيدًا؟

واستطاع المصري بفضل هذه السرعة في التكيف أن يتقبل الأمور الجديدة في كثير من الأحيان، ودون ارتباك، أو حيرة. ومظاهر حياتنا المالية، والاجتماعية، والروحية تدل علي هذه القدرة الفائقة في الالتقاط، والاحتضان.

فقد زرع الفلاح المصري الحبوب مدة طويلة، ومع ذلك فقد أقبل على زراعة القطن ثم القصب ثم الفاكهة، والخضروات، حيث أدرك قيمتها وغدت إنتاجية الفدان في هذه المحاصيل أعلى بكثير من البلاد الأخري. وحين أحس المصري بأهمية التعليم المدني الحديث أخذ يقبل عليه إقبالًا ملحًا بعد أن تردد، أو تشكك في قيمته أول الأمر.

كذلك كان لمصر في تاريخها الديني شأن مع الموسوية، واحتمت المسيحية الناشئة في القرنين- الثاني، والثالث- الميلاديين في صحاري مصر، ومعابدها من عسف الرومان، واضطهادهم، ثم جاءها الإسلام فاحتضنته، كما احتضنت لغة قرآنه على نحو لا تزال تفاصيله من أسرار التاريخ. وتزاوج المصري مع غيره من الأجناس الفاتحة، أو المغلوبة على أمرها دون أن يجد في ذلك حرجًا، ودون أن ينقص هذا من كبريائه، واستمتعت أخلاط هذه العناصر بمقومات الحياة المصرية فأكلت الفول

المدمس، والحلاوة الطحينية، وجلست على «المقاهي»، واستمعت إلى «أم كلثوم».

بيد أن هذه القدرة على التكيف السريع تتميز بجانبين متلازمين: أحدهما: المرونة، والفطنة، والقابلية للهضم، والتمثل للجديد، والآخر: هو المسايرة السطحية، والمجاملة العابرة التي يقصد منها تغطية الموقف، وتورية المشاعر الحقيقية، وكل ما يندرج تحت مضمون عبارة «أهو كلام»، أو «فك مجلس» مما لا يعني الارتباط الحقيقي بما يقوله المرء، أو بما قد يقوم به من مظاهر سلوكية.

ولا شك أن أوضاع مصر السياسية في طول تاريخها، وعرضه قد أدت إلى إيجاد هذا العنصر في النمط الاجتماعي للشخصية المصرية، فقد تعاقب على حكم مصر في تاريخها القديم، والحديث حكام، وولاة، وسلاطين، وملوك، وكان على الشعب أن يذعن لمشيئتهم جميعًا، وإلا تعرض لألوان مختلفة من العقاب، والنقمة. وأصبح هذا التكيف السطحي في مثل هذه المواقف ضرورة من ضرورات البقاء في ظروف متغيرة لا ضابط لها، ولا مقدر لعواقبها.

ولعل من أتفه الأمثلة على ذلك، ما كان يقوم به المحتسب أيام الدولة المملوكية مثلًا من مناداة الناس بالاحتفال بشفاء السلطان من مرض كما حدث عندما عوفي السلطان الناصر «محمد بن قلاوون» من كسر في يده، حيث استمرت الزينات أسبوعًا كاملًا، وظلت «الكوسات

بالبشائر تضرب، والطبول تدق، ولم يبق أمير إلا عمل في بيته فرحًا» على حد تعبير صاحب السلوك.

كذلك نادى المحتسب بإقامة الزينات عندما شفي السلطان «الغوري» من رمد ألم بعينيه، وقد أسهب «المقريزي» أيضًا في وصف الاحتفال بهذه المناسبة.

حقيقة كان على الشعب أن يفرح حين يراد له أن يفرح، وأن يحزن حين يقضي عليه باصطناع مراسم الحزن.

ثم إن تعاقب الحكام إنما كان أمرًا يعني الطوائف المتنازعة على السلطان، والنفوذ، وكان على الشعب أن يقول «إن الدنيا لمن غلب»، فيصفق له، وينعي على من دانت دولته، ومع ذلك كله فإن الشعب في قرارة نفسه كان يقول «شهاب الدين.. من أخيه..» وجاءت صفحة الاستعمار فأكدت ظاهرة التكيف السطحي، فقد راجت الشائعة بإسلام «بونابرت»، وتزوج «مينو» من مسلمة، ونادى الإنجليز بأن "اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"، ولبس بعضهم زي المشارقة، واصطنعوا بعض مظاهر السلوك المصري، واستجاب الناس لكل هذا في ظاهرة، وبادلوهم سطحية بسطحية، ولكنهم في الحقيقة «لم يأكلوا منه، ولم يشربوا».

على أن ضرورة هذا التكيف السطحي قد فتحت مجالًا واسعًا لجعله أداة من أدوات الوصول، والانتهاز لفرص الحياة، وغدا على مر

الزمن، وتوالي الأحداث عنصرًا من عناصر «الفهلوة» استلزمته مواجهة ما أحاط بالفرد من ظروف، وأحداث.

واستتبع هذا التكيف نكتة سريعة مواتية أيضًا، وغدت من الخصائص التي يتصف بها النمط المصري. وارتباط ذلك بما عاش فيه المصري من حياة اجتماعية، أمر يمكن إدراكه بوضوح إذا تذكرنا أنه لم يكن من المنتظر أن تمر بالمصري تلك الأحداث المتعاقبة سراعًا، وتنقلب أمامه الأمور تقلبًا لم يعمل على إحداثه، أو لم يشارك فيه مشاركة فاعلة، دون أن يعلق كل هذا تعليقًا ساخرًا مرًا أحيانًا، ومتهكمًا أحيانًا أخرى، ويظهر أن النكتة كانت تحدث لديه ترضية ذاتية تريحه، وتريح غيره ممن يستمع إليها، وتصرفه عن الموضوع، أو الواقع في حد ذاته.

ومن ثم كانت كثير من النكات المصرية البارعة تعويضًا عما أصاب الشعب من كبت سياسي، واجتماعي. وتنفيسًا له من الضائقات التي تنغصه مما يجعل مواجهة الحياة أمرًا محتملًا. يتمثل هذا الاتجاه في قصة الشيخ «علي الليثي»، وكان إمامًا للخديو إسماعيل، حيث كتب حامل الأختام أحمد خيري مهردار على باب حجرته "إنما نطعمكم لوجه الله.."، فأدرك الشيخ مغزاها فرد عليه بالزجل التالي:

كان لي طاحونة جوا الدار/ تدور وتطحن ليل ونهار

دورت فيها التور عصي/ علقت فيها المهر دار

كما تتمثل النكتة في مواجهة الواقع في قصة السائل الذي وقف علي باب بيت يستجدي أصحابه، فقال: "تصدقوا علي فإني جائع"، قالوا: "إلى الآن لم نخبز". قال: "فكف سويق"، قالوا: "ليس عندنا سويق"، قال: "فشربة من ماء فإني عطشان"، قالوا: "ما أتانا السقاء". قال: "فيسير من الدهن أضعه في رأسي"، قالوا: "من أين لنا دهن؟" فقال: "يا أولاد ال... فما قعودكم هنا في داركم. قوموا واشحتوا معي".

ولا أريد أن أزعم هنا أن المصري قد انفرد بالنكتة دون غيره من شعوب الأرض، وإنما تميز قطعًا بتنميته لأفانينها، والرغبة في الاستمتاع بها كإحدي القيم المرغوبة في تكوين الشخصية. ولا شك أن من أهم الوظائف التي قامت بها النكتة المصرية هي تغطية الموضوع، وأخذه علي المحمل الهين، والانصراف عنه انصرافًا يعفي الشخصية من التفكير الجدي في واقعه، وكأن «فرقعة» النكتة تنهي المشكلة، أو هي في حد ذاتها حل لها.

ومن مظاهر «الفهلوة» أيضًا المبالغة في تأكيد الذات، والميل الملح إلى إظهار القدرة الفائقة، والتحكم في الأمور. وهنا تجب التفرقة بين الثقة بالنفس التي تنتج عن طمأنينة المرء إلى نفسه، والإدراك المحكم للعلاقة بين المعدات الشخصية، والمواقف الخارجية، وبين تأكيد الذات الذي ينجم عن فقدان الطمأنينة، وعدم الرغبة في تقدير المواقف تقديرًا موضوعيًا، هذا فضلاً عن شعور حقيقي مستتر– لا

يستطيع المرء أن يبوح به – بعدم الكفاءة، والنقص إزاء ما يضطرب فيه من مجالات.

والتكيف الذي ينتج عن مثل هذا التأكيد للذات قد يظهر في صورة الاستهتار أحيانًا، والتهكم على الغير أحيانًا أخرى، أو في القدرة البارعة المبدعة في حل الأمور، وإنجازها «هو، أو بالإصبع أو بجرة قلم».

فالإفراط، والمبالغة، والتزيد من سمات الفهلوي، ومسألة المظاهر الخارجية، و«كبر الجرن» من قبيل تأكيد الذات أيضًا، تبدو حتي في المباني، والعمارات التي كثيرًا ما يبز مظهرها الخارجي تنظيم بنائها، وإتقانها في الداخل. ويبدو كذلك فيما يعرف عادة «بالقنزحة» في السلوك، والكلام.

ولعل كثيرًا مما يعرف من البذخ في «العزائم»، أو أهمية الانطباعات الأولى، أو التأكيد على مسائل «الكرامة الشخصية»، والاهتمام بالطقوس العامة في الأفراح، والمآتم، وكل ما يتصل بمجال «واجهة الشخصية» في مجال الفرد، أو الجماعة، تنبعث جميعها من الرغبة في تأكيد الذات، وما تقمصته من تنظيمات، وأساليب.

وليس غريبًا أن تكون «الكلمة الحلوة» من أهم الوسائل التي يعتبرها المصري كفيلة بأن تأسر غيره في نوع العلاقات المباشرة وجهًا لوجه.

كما أنه ليس من الغريب أيضًا أن تكون القدرة على تجريح الغير، والتعريض به «والتريقة» عليه في غيابه من الصفات التي تستهوي السامعين، وتجعل ممن يصطنعها موضع الإعجاب، والتقدير، فالتهوين من قدر الآخرين، ومن قيمة أعمالهم هو الجانب السلبي لتأكيد الذات. فإن الذي "لا يعجبه العجب، ولا الصيام في رجب" هو وحده الذي يفهم، وهو وحده القادر الذي لا تخفي عليه بواطن الأمور، وهو وحده الذي يستطيع أن "يجيب السبع من ديله".

ولعل هذا الجانب السلبي في تأكيد الذات قد انعكس في كثير من قصص «جحا». فالمتأمل في نوادره، ونكاته يلحظ أنه رغم ضعفه، وطيبة قلبه يستطيع في نهاية الأمر أن «يضحك» على الناس، وأن ينتصر عليهم، وأن يظهر جهلهم، ويفضح غباءهم. ألم يجمع الناس على وليمة استطاع قبل البدء فيها أن يعثر على ثوبه المفقود، وعندئذ صرف المدعوين بقوله "جحا أولى بلحم توره"؟ ثم ألم يجمع الناس ثلاث مرات؛ ليحدثهم في موضوع، فصرفهم في المرة الأولى؛ لأنهم لا يعلمون الموضوع، وصرفهم في المرة الثانية؛ لأنهم يعلمون الموضوع فلا مبرر إذًا في الاستماع إليه، وصرفهم في المرة الثالثة محتجًا بأن من يعرف منهم يستطيع أن يعلم من لا يعرف.

والواقع أن جانب التهكم، وتجريح الغير هو الجانب الثاني للبراعة، والحذق، والقدرة الشخصية في مقومات تأكيد الذات، تبدو مظاهر كل

منها حسب طبيعة المواقف الاجتماعية، ومدى مناسبة جانب منها للموضوع، والمقام.

وقد أدت الرغبة في تأكيد الذات إلى نظرة رومانتيكية للمساواة كقيمة من القيم المهمة في المجتمع المصري، حيث يشعر الفرد في قرارة نفسه بالنقمة، والسخط على الأوضاع التي توجد التمايز، والتفرقة أيًا كان نوعها، ومهما تكن دوافعها، ومبرراتها.

ويتصل بهذا عدم الاعتراف بالسلطة، أو الرئاسة، والتنكر لها في أعماق الشعور. وذلك على الرغم من تلك المسوح الخارجية التي يتخذها الناس إزاء الرؤساء من عبارات التفخيم، وطقوس الاحترام، فإن ذلك في معظم الحالات يخفي شعورًا دفينًا بالامتعاض تدل عليه عبارة "فلان عامل ريس".

والفهلوي لا ينظر إلى السلطة، أو الرئاسة على أنها ضرورة من ضرورات التنظيم يتطلبها توزيع المسئوليات، وتحمل الأعباء في التنظيم الاجتماعي، والإداري، وإنما هي في نظره قوة قاهرة يذعن لها المرء إذعانًا لما تبعثه في النفس من الهيبة، والخوف.

وهو لا ينتظر من السلطة المقتدرة أي نوع من الألفة، أو رفع الكلفة، بل يتوقع أن يجدها حازمة صارمة كأنما ذلك من طبيعة الحكم، والسلطان. ولا شك أن الخوف من السلطة، أو هيبتها من الأمور التي

طبعتها الظروف التاريخية في شخصية المصري نتيجة لعلاقة الحاكم، واستجابة المحكومين.

قد أشار «الجبرتي» حين وصف شعور الأهالي نحو الملتزمين بجمع الضرائب إلى أن الفلاحين كانوا يهابون الملتزم القوي، "أما إذا التزم بهم ذو رحمة ازدروه في أعينهم، واستهانوا به وبخدمه، وماطلوه، وسموه بأسماء النساء".

واستمرت تقاليد الحكم في أسرة محمد علي، وفي عصر الاحتلال البريطاني مؤكدة لهذه الظاهرة نحو السلطة، والحكم، يلوح الحاكم بالأمل إلى قلة من الناس، ويستثير الخوف باليد الأخرى للغالبية العظمي من الشعب، بيد أن هذه النظرة إلى المساواة دافع قوي من الدوافع المحركة لسلوك المصري، ومن القيم الأخاذة التي تستهويه.

ويلحظ المتأمل أن من أهم المعدات النفسية التي تتزود بها شخصية الفهلوي، هي عملية «الإزاحة، والإسقاط»، وبفضل إزاحة المسئولية عن نفسه إلى غيره من الناس، أو إسقاطها على أمور خارج نطاق الذات يتيسر تبرير ما قد يقع فيه المرء من مواقف محرجة، أو تقصير في المسئوليات الاجتماعية.

وتزداد «الفهلوة» بازدياد القدرة على إحكام هذه العمليات الإزاحية، والإسقاطية. وعلى هذا النحو يعتبر استبطان الواجب، أو الشعور بدفعته أمرًا مشكوكًا في قيمته، إنما تكون تأدية المرء لأعماله من

قبيل الطمع في الثواب، أو الخوف من العقاب. أو «لحاجة في نفس يعقوب»، وليس بدافع «تحقيق الذات» عن طريق العمل الاجتماعي المنتج.

ولعل من أهم مظاهر هذا الإسقاط ما يتردد على الألسنة من شكوي الزمان، والتبرم بالعزول، وإلقاء التبعة دائمًا على «الحكومة»، أو على البلد الذي من غير عمدة، أو على الإدارة، أو على آية قوة خارجية يمكن عن طريقها تبرير النتائج.

ولا شك أن مثل هذا الإسقاط عملية من العمليات النفسية العامة في الجنس البشري، لكنها تختلف في كمها، ودرجتها حسبما يتطلبه التكيف للمواقف الاجتماعية. ونجد هنا أيضًا أن الظروف الاجتماعية، والسياسية التي عاش فيها المصري آلاف السنين جعلت تكيفه يعتمد إلى حد كبير جدًا على أداة الإسقاط، أو الإزاحة النفسية، فالدنيا في نظره دول، وللأيام تصريف.

ومن مظاهر الشخصية الفهلوية الطمأنينة إلى العمل الفردي، وإيثاره على العمل الجماعي. وليس هذا من قبيل الأنانية لمجرد الأنانية، وإنما هو تأكيد الذات من ناحية، وانصراف عن احتكاك الذات بغيرها، مما قد يعرضها لمواقف حساسة قد تنكشف فيها، أو قد لا تطمئن إليها، أو تذوب فيها شخصية الفرد في شخصية الآخرين. هذا إلي جانب نظم الجزاء الفردية، وتفتيت الملكية، وبقايا فكرة العصبيات القبلية.

كل هذا أدى إلى تنمية هذه السمة كأداة من أدوات الطمأنينة في حياة الأفراد، والجماعات في المجتمع الكبير. ولا شك أن الرغبة في إيثار العمل الفردي إنما هي رد فعل لكثير من أنظمتنا، وأوضاع حياتنا التي تؤكد الإذعان الشكلي لما يطلق عليه بعض علماء النفس اسم «الأنا الاجتماعية»، تمييزًا لها عن «الأنا النفسية التلقائية». فالأولى هي التي تنطبع، وتتشكل، وتظهر في صورة ما اصطلح عليه المجتمع من استجابات، وسلوك، والثانية نتيجة للتمثل الواعي لأوضاع هذا المجتمع، والاستجابة لها استجابة تعبر عن «التفاعل الكيميائي» بين هذه الأوضاع، والفرد.

ولعل ضغوط المجتمع في مؤسساته المختلفة، وتأكيده لشكلية الإذعان لما يريده من استجابات، قد كونت في الواقع رغبة مضادة في الاتجاه نحو الفردية الجامحة وإيثارها على الانضواء في قيود الجماعة كلما استطاع المرء إلى ذلك سبيلًا، وإذا كان لابد من العمل الجماعي فلا بأس من الموافقة الشكلية من قبيل المجاملة دون التزام حقيقي بما تتطلبه المسئولية الجماعية.

ولا شك أن «روح الفريق»، ومعرفة دور المرء في المجموعة، والقيام بهذا الدور الذي يعتبر تنفيذه جزءًا من تحقيق الهدف العام، إلى جانب روح الولاء للجماعة، واحترام دستورها رغم ما قد يكون للفرد من اختلاف شخصي، أو وجهة نظر خاصة طالما كان عضوًا في الجماعة، كل هذا من المشكلات الرئيسية التي تصادفنا في كثير من مرافق حياتنا.

بل إنها أصبحت جزءًا من تنظيمات حياتنا المعترف بها، والتي يمكن سرد المبررات اللازمة لوجودها، وفي المثل العامي: "قدرة الشرك ما تفورش"، و"حصيرة ملك، ولا بيت شرك".

ولعل من أهم أسباب هذا الإيثار للعمل الفردي عدم إتاحة الفرصة للجماعة في مصر أن تستكمل أطراف أي عمل جمعي، وأن يشعر أفرادها بأنهم قاموا كجماعة بعمل ناجح اشتركوا في خطته، وأسهموا في تنفيذه، واستمتعوا بنتائجه، وإنما سار التنظيم الاجتماعي، والسياسي الذي عاش فيه المصري على أن الأمور تراد له بطريقة «سنية»، أو تأتي إليه من قبيل «الهبات»، أو «الإحسان»، أو غير ذلك من الصور. ومن شأن النجاح في العمل الجماعي أن يشعر أفراد الجماعة بالطمأنينة، والثقة بالنفس، وبقيمة منهج العمل الجماعي كأداة فاعلة مثمرة؛ لتماسك الجماعة، ولصالح الأفراد أنفسهم.

وتتصل بهذه النزعة إلى الطمأنينة في الفردية، رغبة في الوصول إلى الهدف بأقصر الطرق، وأسرعها، وعدم الاعتراف بالمسالك الطبيعية. وقد يؤدي هذا أحيانًا إلى الحماسة، والإقدام، والاستهانة بالصعاب، مما ييسر على المرء تخطي الحواجز، وبلوغ الهدف، ولكنه في أحيان أخرى قد يؤدي إلى استهلاك الحماسة، وانطفاء اللهب، وفتور الهمة إذا استدعي الأمر المثابرة، أو المصابرة.

فكثيرًا ما نسمع من طلابنا، بل نذكر نحن من أيام تلمذتنا، عدم الاعتراف بالمذاكرة كوسيلة طبيعية للنجاح في الامتحانات، بل إن «الفهلوي» هو الذي ينجح دون التزام للعناء الذي يتطلبه التحصيل. وإن صناعنا رغم حذقهم، ومهارتهم ينقصهم في إنتاجهم شيء من المعاناة في «التشطيب» لو توفروا عليه لبلغوا غاية في الإنتاج الفني. كما أنه من السهل أيضًا إثارة الناس، وتحميسهم لفكرة معينة، والبدء في تنفيذها، ولكن الاستمرار فيها، ورعايتها، وصيانتها أمر أصعب.

هذه لمحات عن بعض مقومات النمط الاجتماعي لشخصية «الفهلوي»، لا يمكن اعتبارها كاملة، أو شاملة، فهناك عناصر أخرى كثيرة منها مقومات الرجولة، والشرف، ومفاهيمها، وموقف الفهلوي من الأمور الجديدة، والمستحدثات، وموقفه من الإنتاج، والعمل، وغير ذلك مئات من العناصر، والمواقف التي تحتاج إلى تحليل عميق.

ولا أزعم أن ما أوردت من حقائق أمور ثابتة لا يختلف عليها اثنان، أو أنني قد وصلت إليها عن طريق استقصائي شامل، وإنما هي خطرات استخلصتها عن طريق الملاحظة، والمشاركة في صميم الحياة، في ضوء فروض معينة، وربما ملت فيها نحو مواطن الضعف أكثر من مواطن القوة، وهي لا تزال فروضًا تحتاج إلى المزيد من المناقشة، واستكمال الأدلة التي تثبتها، أو تدحضها. ومع ذلك فإني أعتقد أن مثل هذا التحليل لأنماط الشخصية الاجتماعية في فترة زمنية ما، والعوامل المختلفة التي أدت إلى تشكيلها ضرورة لازمة، وخطوة جوهرية في إعادة

بناء المجتمع، ووسيلة واعية من وسائل تطويره، إذ لا مفر من أن يكون الأفراد أنفسهم حملة الإصلاح، ومحدثيه، كما أنه لا مفر من أن نتصور نتائج الإصلاح في نوع الأفراد الذين يسعي المجتمع إلى تكوينهم، ولذا يمكن اعتبار هذا المقال «دعوة» إلى مثل هذا المنهج أكثر منه معالجة مباشرة للموضوع.

ويتضح من هذا العرض لمقومات «الفهلوي» أنها كانت وليدة الظروف السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وأنواع المؤسسات، والنظم التي ترتب كيان المجتمع، وأنها ليست مقومات «طبيعية» في المصري، نشأت، ونمت، وستظل هي مقوماته أبدًا، وإنما هي قابلة للتغيير، والتحوير ما دمنا نؤمن بما يقرره العلم، والتاريخ بأن الإنسان قابل للتعلم، وقادر على تعديل سلوكه.

وقد تعدلت فعلًا بعض قيم هذا النمط، واتجاهاته في النمو الاجتماعي الجديد. كذلك يلحظ القارئ أن كثيرًا من مقومات هذه الشخصية كان قوة سلوكية يدخرها الفرد في ظروف معينة، ولكنها في نفس الوقت تعاني كثيرًا من المثالب، والنقائص التي لا تستقيم كنمط مثالي لمجتمعنا الجديد.

فما هذا النمط الاجتماعي للشخصية الجديدة المنشودة؟ وما العوامل التربوية التي يمكن أن تخلقه، وتحققه؟

أحب أن أطلق على هذا النمط للشخصية المصرية الجديد اسم «الشخصية المنتجة». فما مقوماتها، ومظاهر سلوكها؟ هذا ما سأحاول معالجته في المقال التالي.

تحدثنا عن النمط الاجتماعي للشخصية المصرية، وأطلقت عليها لفظ «الفهلوة»، ورسمت مقومات تلك الشخصية، وذكرت أن مصر في نهضتها الحاضرة تحتاج إلى نوع جديد من الشخصية، اسميته الشخصية المنتجة. فما مقومات هذه الشخصية، وما سمات نشاطها؟

وأود أن أحاول تصوير مثل أعلى للشخصية في إطارها الاجتماعي. والمثل الإنسانية العليا ليست أمورًا ميتافيزيقية، وإنما هي حقائق موضوعية قابلة للتحليل، وخاضعة للاستقراء في ضوء التجارب البشرية عبر التاريخ. إن هذه المثل إنما تعبر دائمًا عن مقاصد تسعى المجتمعات إلى بلوغها؛ لتنمية أفرادها تنمية تتفق مع أقصى ما يمكن أن يصل إليه التراث البشري.

وقد نختلف في قيمة هذا المثل، أو ذاك، كما قد نختلف في أي أنواع الأطعمة أكثر مجلبة للصحة، والعافية، ولكنا نستطيع عن طريق تحليل المواد الغذائية، ومعرفة احتياجات الجسم في نموه، ونشاطه أن نقدر الغذاء الضروري، وعلى أقل تقدير نستطيع أن نعرف الأغذية السامة. وها هو الشأن في أمر المثل العليا، إذ نستطيع إخضاعها

للتحليل الموضوعي على أساس العوامل المكونة للطبيعة البشرية، وما تحدثه ظروف معينة من آثار يمكن تتبعها في سلوك الإنسان، واتجاهاته.

وإذا كان تكوين الشخصية نتيجة لاستغراق الفرد، ومشاركته، وإحساسه بالحياة الاجتماعية، ومناشطها، فقد أصبح من الضروري معرفة الظروف، والقوي التي تهيئ المجال لظهور الشخصية المنتجة. والإنسان بسبيله إلى التحكم في الطبيعة، ومواردها عن طريق العلم، وعليه أن يخطط لتنظيم هذه الموارد لا لمجرد استغلالها وتكديسها، وإنما لاستهلاكها، والاستمتاع بها آخر الأمر. ومن هنا جاءت أهمية التخطيط الاقتصادي، والاجتماعي في الحياة الديمقراطية؛ ليمنع استئثار قلة معلومة بمصاير غالبية مجهولة دون أن تلتزم نحوها بأي نوع من المسئوليات الاجتماعية.

وتروي صحائف التاريخ أن أصحاب رؤوس الأموال، وأرباب النفوذ الاقتصادي، إنما يعملون؛ لزيادة إنتاجهم سعيًا وراء الربح، والمنفعة المادية، أو السلطان، وأن الغاية الأولى من هذه الزيادة في الإنتاج الرأسمالي ليست استهلاكها، وإنما حرثها من جديد في رأس المال؛ ليزداد حجمه، وبالتالي يضعف إنتاجه. وهكذا ركز هؤلاء جهودهم في خدمة الجهاز الاقتصادي. وأصبحوا من الناحية السيكولوجية سدنة للتنظيم الذي بنوه بأنفسهم. أما أولئك الذين لا يملكون من رأس المال شيئًا، والذين يبيعون جهدهم، فقد غدت مصائرهم خاضعة لتحكم أصحاب العمل خصوصًا قبل أن يظهر التنظيم النقابي في العالم،

وأصبحوا من الناحية السيكولوجية طفيليين معتمدين على غيرهم، ومشدوهين بكل ما يصطنعه أصحاب النفوذ الاقتصادي من قيم، ورموز، وفي أحسن الأحوال مقلدين له.

وهكذا نرى، إذا استعرضنا تطور التاريخ، أن مقومات الشخصية قد ارتبطت بما أحاط بها من ظروف اقتصادية، واجتماعية. فقد كان الفرد في العصور الوسطي في الغرب مثلا لا يفكر في كيانه إلا في نطاق الدور الاقتصادي، والاجتماعي الذي يقوم به، فهو فارس، أو أمير، أو صانع، أو رقيق أرض، فلم يك ثمة مجال للحركة الاجتماعية من دور إلى دور، أو حتي مجال للانتقال من إقليم إلى إقليم بل من بلد إلي بلد.

وفيما عدا حالات نادرة كان عليه أن يبقى حتى يقضي نحبه في البلد الذي ولد فيه. وكان على الصانع الذي ينتمي إلى النقابة ألا يبيح سرًا من أسرار المهنة إلى شخص آخر، وعليه أن يبيع سلعة في سوق معينة، وبأسعار معينة. واعتبر كل وضع من الأوضاع الاجتماعية أمرًا مسلمًا به، كأنما هو في طبيعة الكون، وسنة الحياة. ونتج عن كل هذه الظروف ما يعرف عادة بعقلية العصور الوسطي، أو نفسية العصور الوسطي.

لا مندوحة لنا هنا من النظر إلى الشخصية المنتجة في محيط التنظيم الاقتصادي، والاجتماعي اللذين يساعدان على خلقها، وتكوينها. ولذلك يعتبر التخطيط الاقتصادي، والاجتماعي شرطين لازمين لتكوين

نوع الشخصية المطلوبة وإذا كنا نؤكد هنا دور العوامل المادية، والقوى الاجتماعية في تكوين الفرد فإن الغرض الجوهري من هذا هو تقدير مدى تأثيرها حتي يمكن للإنسان أن يوجهها، ويسيطر عليها، وحتي لا تكون لمعاييرنا، وقيمنا، وتربيتنا مجرد دلالات عاطفية جوفاء.

وليس معنى هذا أيضًا أن يذعن الإنسان لتأثيرات هذه القوى الاقتصادية إذعانًا قدريًا كما لو كانت أمورًا محتومة لا مناص منها، وأن دوافعه، وسلوكه أمور تسيرها دفعة الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية. وبهذا يستطيع أن يبرر كل شيء، وأن يجد مخرجًا لمسئولياته، ومعذرة لنقائضه.

فالإنسان في هذْي اعتبارات معينة يستطيع أن يكون النظام الاقتصادي الذي ينشده، لكن هذا لن يتأتي عن طريق أسطورة حرية الفرد المجردة، بل لابد من تحليل قابليات الأوضاع المادية، والاجتماعية، ومعرفة تفاعلاتها، وآثارها، حتى يمكن تقدير النتائج التربوية التي يسعى الإنسان إلى بلوغها.

وتكوين «الشخصية المنتجة» هدف من أهداف التربية في المجتمع العربي الجديد، وهي تسمية نريد أن نحدد معالمها بالنسبة لبعض المسميات الأخرى في مجال دراسات الشخصية. فهناك الشخصية المتكاملة التي تتكيف تكيفًا متسقًا مع مقتضيات الظروف المحيطة بها، بحيث لا يوجد بين مستوياتها الفكرية، والانفعالية،

والسلوكية صراع، أو أزمات نفسية. كما يتميز بالمرونة، والقدرة على إدراك الفروق بين مختلف وجهات النظر، والتعرف علي أوجه الاتفاق.

والخُلاصة، أن نمو الفرد حسب مقتضيات الظروف، واستبطانه لمستلزماتها، وقيمها يؤدي إلى ما اصطلح على تسميته بالشخصية المتكاملة. وتوحي التسمية بأن هذا النوع من الشخصية هو الذي يعمل حين يحسن اصطناع التألم. ولهذا السبب لا استحسن كثيرًا استعمال هذا المصطلح كهدف من أهداف التربية في تكوين الشخصية، ومن الأجدي أن يقتصر على المستوى السيكولوجي لمعالجة الشخصية.

وليست الشخصية المنتجة أيضًا التي تعمل دائمًا دون انقطاع، أو ككل، فقد يعمل الإنسان كادحًا دون استمتاع بما يعمل، وقد ينتج دون إدراك لقيمة ما ينتج، أو الغاية التي يهدف إليها هذا الإنتاج

وقد يعمل المرء دون اختيار لنوع العمل الذي يقوم به، وإنما تضطره الظروف إلى أن يبيع عمله، وإلى أن يستمر في هذا البيع الذي لا مناص منه. وفي كل هذه الحالات لا تعتبر الشخصية من النوع المنتج الذي نقصده، كما لا تعتبر الظروف الاجتماعية معينة، أو مهيِّئة؛ لتكوين الشخصية المنتجة.

الدوائر البشرية الكثيفة من حشود المسلمين التي تتحرك بإيقاع فريد حول الكعبة الشريفة كل لحظة، ثم تتزايد تزايدًا فارقًا في مواسم الحج، والعمرة، لا تنقطع أبدا نهارًا، وليلًا، صيفًا، وشتاءًا. بل أن هذه

الحشود في حركتها المستمرة أبدا توثق مدى روحانية الشعوب المسلمة، وأن المكون الديني هو ركن جوهري في هويتها، وتركيبة نسيجها الإنساني. بنفس الإعجاب، والانبهار أتأمل جموع المصلين في أيام الجمع، وقد ازدحمت بهم المساجد المتعددة ثم قد يتدفقون إلى الساحات الخارجية، والشوارع الجانبية في مشاهد مؤثرة تتحول فيها أجزاء من المدينة إلى مراكز روحانية تنطلق منها الحناجر بالتكبيرات، والدعاء.

لا يفوتني أيضا المشاهد اليومية لمظاهر الحرص على أداء صلوات الفروض في المساجد والمدارس والمؤسسات بل وكل أماكن العمل، وأتوقف أمام المشهد الدال حين يندفع أحد المتطوعين من الموظفين بالآذان للصلاة، ثم توجه جموع الموظفين للوضوء ثم أداء الصلاة التي تتم أحيانًا في ممرات المبنى بعد فرشها بما يمكن الحصول عليه من سجاجيد الصلاة، أو حتى صفحات الجرائد اليومية أحيانا. هذه المشاهد في مجموعها تجعل المسلم العربي الشرق أوسطي في حالة من الاطمئنان، والسكينة، وخاصة عندما تنتهي كل هذه الصلوات، والطقوس بتذكير أننا خير أمة أخرجت للناس.

ثم يتلاشى تأثير الجرعة الروحانية تدريجيا، وتنكشف أمامنا حقيقة الأمة، وقيمتها في المشروع الإنساني العالمي، وعلى كل الأصعدة. تنقشع سحابات البخور، وتهفت أصوات تردد الأصابع على حبات المسابح الكهرمانية، ونكتشف أننا على الهامش في كل شيء. نعم الأمة

الإسلامية، وخاصة مكونها الشرق أوسطي على هامش العلم، والمعرفة، والثقافة، والفن، والإبداع بل، وحتى الرياضة.

الفهلوة، والقدرات الفهلوية المصاحبة لها أصبحت من مقومات النجاح، والتميز، وتبوء المناصب بديلا عن القدرات العلمية، والمعرفية، ومستويات الذكاء الإنساني، والعاطفي، والاجتماعي.

هنا تندفع الأسئلة المحيرة اندفاعات بركانية. كيف تصبح الأمة التي ترتبط بقوة ظاهرة، ومعلنة بخالقها، ودينها، وقرآنها بهذا المستوى من التدهور، والانحدار، والانزلاق؟ كيف نرضى بهذا الحيز الهامشي على صفحات كتاب العالم المعاصر؟ كيف لا تحفزنا صلواتنا اليومية، وتعدد مرات حجنا، وكثرة عمراتنا إلى أن نكون حقا خير أمة أخرجت للناس؟

كنت في مرحلة اجتهادية سابقة أعتقد أن الإجابة تكمن في قدرتنا على الفصل الكامل بين الطقوس الدينية الروحانية، وبين الأفعال الدنيوية، ثم بدأت تتبلور أمامي وقائع تشير إلى العكس تماما. فنحن نبدأ كل أعمالنا الدنيوية باسم الله، ونفتتح كل مناسباتنا، ومؤتمراتنا، وإنجازاتنا بآيات من الذكر الحكيم.

يبدو لنا هنا أن في الوجدان الإنساني العربي الشرق أوسطي مكانًا عميقا للمكون الديني الإسلامي. هذا المكون لا يتم التعامل معه فقط في

سياق المسجد، والحج، والعمرة، ولكنه أيضا له دلالة مباشرة، وصبغة مؤثرة على الكثير مما يتم في سياق فعاليات الحياة، ومتطلباتها.

من هذا المنطلق فقد تتبعت الظاهرة بصورة أكثر عمقا، وأكثر انتشارا على الصعيد الجغرافي العربي الشرق أوسطي متأملًا الإنسان المسلم المعاصر في بلدان الخليج، والشام، والمغرب العربي، وبصورة خاصة مصر البلد الذي كان يتطلع إلى دوره الرائد الموجه لكل الدول العربية، ووجدت ظاهرة متجذرة، وجديرة بالفحص البحثي المعمق. هذه الظاهرة يمكن أن نطلق عليها بكل وضوح، وتأسيس منطقي، وقبول أخلاقي، ظاهرة "الفهلوة مع الله".

حقيقة، والمشاهد متعددة، فإن ثقافة الفهلوة لم تعد فقط ثقافة مهيمنة، ومسيطرة، وإنما أصبحت إطارا لممارسة الحياة بصورة معلنة، أو غير معلنة، وبصورة يتحكم فيها الوعي، أو اللا وعي. الفهلوة أيضا، والقدرات الفهلوية المصاحبة لها أصبحت من مقومات النجاح، والتميز، وتبوء المناصب بديلا عن القدرات العلمية، والمعرفية، ومستويات الذكاء الإنساني، والعاطفي، والاجتماعي.

تضاءلت كل القيم، وتعاظمت قيمة الفهلوة، ورفع البعض بل أحيانا الكثير شعار "أنا فهلوي إذن أنا موجود، وناجح، ومحبوب". الدال، والمذهل، والفارق أن ثقافة الفهلوة بكل تبعاتها، وإرهاصاتها امتدت

تدريجيا من تعاملنا مع الحياة إلى تعاملنا مع خالق الحياة سبحانه، وتعالى.

لقد اعتقدنا مسلحين بفهلوتنا الزائدة أن الصلاة، والصوم، والعمرة، والحج، والزكاة، والتحية بالسلام عليكم كافية لكي يرضى الله عنا، وما بعد ذلك فهو مشروع متعمد للضحك على النفس، والفهلوة مع الله عز وجل.

ألم يحن لنا أن نتسأل كيف مرت الأمة الإسلامية العربية خاصة بعصور ذهبية فارقة في تاريخ العالم بسبب إنتاجها المعرفي، والعلمي، والفني، والمعماري بل، وإنتاجها من القيم الإنسانية، والأخلاقية؟ السبب ببساطة أن كل إنسان في هذه الحقبة كان يعتبر كل أفعاله موجهة إلى، ومراقبة من الله، وكسبا لرضا الله. كان الصانع يطرق أواني النحاس أملا في ثواب مساعدة الناس في طعامهم، وشاربهم، وليس فقط في المكسب المادي.

كان البناء يتوضأ قبل صقل الأحجار؛ ليبني بيوتا بها بركة الله، وتكون سكنا، وملاذا لإخوانه المسلمين. كان المعلم يشعر في أعماق قلبه، وعقله أنه يكاد أن يكون رسولا؛ لأنه محمل بمسئولية نقل المعرفة، وتشكيل العقول. كان الطبيب يداوي الجروح؛ لأنه ملاك الرحمة مسلحا بتوفيق الله، وراغبا في الحفاظ على خلق الله.

كان العالم يقرأ، ويبحث، ويترجم، ويجرب؛ لأنه يعلم أن كلما ازداد علمه زادت خشيته من الله، وإدراكه أن أمامنا الكثير، والكثير لنتعلم، ونكتشف، وندرك عظمة الخالق. كان الأب، والأم في تلك الحقبة يشعرون بنعمة الأبناء، وأن تربيتهم الفاضلة هي فعلًا نبيلًا للتقرب من الله.

قارن هذا الحالة مع ما نفعله اليوم، فالمعلم الذي أنهى صلاة الظهر، وتوجه إلى حجرة الدراسة يصب كل طاقاته على إرهاب التلاميذ؛ ليتيقنوا من أن الحياة أفضل مع دروسه الخصوصية الألمعية التي لا مفر منها. أما الطبيب فقد تجاوز دوره الرحيم، وفور عودته من العمرة ما زال يستقبل عشرات المرضى المنتظرين في بدروم عمارته حتى ساعات الصباح الأولى لا يمضي مع أي منهم أكثر من ثلاث دقائق كشفا، وتشخيصا، وفهما، وعلاجا. أما العامل، والصانع الذي عادا لتوهم من صلاة العصر بعد أن استهلكا فيها ساعة ونصف يتفوقان على أنفسهما في استهلاك الوقت، وبحيث يتحول ما يمكن إنجازه في ساعة إلى عمل تاريخي تمر الساعات، والأيام، والأسابيع، ولم يكتمل، وفي أحيان كثيرة لن يكتمل.

حالنا اليوم فهو نتاج شديد المنطقية لسذاجتنا، وسطحيتنا، وهشاشتنا، ونحن نمارس الفهلوة ليس فقط إطارًا للحياة، ولكن مع الله الخبير العليم البصير الرقيب.

موظفين في شركات، وبنوك يحملون مسابح عملاقة بينما شاشات حواسبهم الألية تستخدم لمشاهدة الأفلام، وأجمل أهداف كرة القدم أثناء ساعات العمل بينما جهزوا بفهلوتهم الاستثنائية نافذة رقمية خاصة بالعمل ينقرون عليها عندما يشعرون بمرور المشرف، أو المدير. علماء، وباحثين يبدأون أبحاثهم، ودراساتهم، ورسائل الماجستير، والدكتوراه بافتتاحية بسم الله الرحمن الرحيم، وما توفيقي إلا من عند الله بينما هو يعلم أن بحثه منقول، وأن دراسته مقتبسه بالكامل، وأن موضوع الدكتوراه تكرر عشرات المرات في جامعاتنا المحلية، والإقليمية.

هناك واقعتين بديعتين لأعلى مستويات الفهلوة مع الله، الأولى زميل ثري قال لي متفاخرا أن الحج هذا العام كلفه مبلغ رمزي؛ لأن قريبه عضو مجلس النواب أعطى له، ولزوجته مكانين من حصة حج القرعة المخصصة للمحتاجين، والفقراء. نعم ذهب الزميل للحج مع حرمه مغتصبا مكان اثنين من الفقراء المحتاجين، ثم عاد من الحج مستمرا في إرسال الهدايا، وباقات الورد لعضو مجلس النواب تمهيدا للحجة القادمة.

أما الثانية فهي مع شاب يعمل في الخليج شاءت الظروف أن أشرف على عمله المهني بحكم تخصصي فنصحته بالتركيز، وتطوير قدراته، والحرص على العمل، والإنتاجية، وخاصة مع عدد ساعات العمل القليلة نسبيا، والمرتبات المجزية، فابتسم، واستنكر سذاجتي في بذل جهد في مكان سيتركه بعد عام، أو عامين، أو خمسة على الأكثر تبعا

لتعبيره. ثم نظر لساعته، وقال لي، سرقنا الوقت يا دكتور، لنذهب للمصلى فقد حان وقت صلاة الظهر.

يقينا، عندما كان كل ما يفعله الإنسان العربي المسلم الشرق أوسطي بصدق، وعمق، وإخلاص هو فعل مع الله، وإلى الله، وبرعاية الله، كانت الأمة الإسلامية، وخاصة مكونها العربي متألقًا متفوقًا متحضرًا. أما حالنا اليوم فهو نتاج شديد المنطقية لسذاجتنا، وسطحيتنا، وهشاشتنا، ونحن نمارس الفهلوة ليس فقط إطارًا للحياة، ولكن مع الله الخبير العليم البصير الرقيب. يا لسذاجتنا، ووقاحتنا، يا من تعتقدون أنكم خير أمة أخرجت للناس.

فأنت ستجد نماذجا من كل الشرائح الثقافية تتفنن فى إهدار وقت العمل إما بالوصول بعد الموعد (بالتزويغ) مبكرا، أو (التزويغ) قبل انتهاء موعد الانصراف، أو باستهلاك وقت العمل في أمور شخصية، وسوف تجد أن السعاة، والفراشين يسلكون نفس السلوك الذي يسلكة مديرو العموم كلا بطريقته، وبثقافته.

الفهلوة ستجدها في الشارع، وفي أساليب التعامل بين البائع، والمشتري، وفي الجامعات، وفي أقسام الشرطة، وفي المرور، وعلى الطرقات، وفي المدارس والمستشفيات، لا فرق في تبنى الفهلوة كمنهج حياة بين أولاد المدارس، والبلطجية الفرق فقط في الأساليب، والممارسات.

ولقد انشغلت لزمن طويل بالفهلوة مصطلحا، وسلوكا بعيدا عن أصلها الفارسي وهي بهلوي، وهي تطلق على من يتميز بالشجاعة، وسعة الحيلة، وحيّرنى اللفظ المنحوت من الفاء، والهاء، والواو – ليس من بينها حرف مستقر عدا اللام – ومثل كلمة فهّلوى نجد أونطّجى، وهي مأخوذة من كلمة (أفنطة)، وهى كلمة يونانية معناها حيلة مما يؤكد أنها وردت إلينا مع الاحتلال أيضا.

الشاب، أو الراجل المصري يفهم في كل شيء، فهلوى بالفطرة: يعني يفهم فى الطب، ويشخص المرض، وممكن يوصف الدواء، وكذلك في الكهرباء، وممكن يصلح السيارات، رغم أنه ليس لديه أي علم، أو أي خبرة بأي شيء لكن عنده إحساس إنه يقدر يصلح أي حاجة، والمصيبة إنه يصلح العطل في الآخر.

ففي الفهلوة الذكاء، وفهم الشخص الذي نتعامل معه، وفيها، حداقة، واستغلال للفرص، والفهلوي نشط، وخفيف الظل مما يسهل له مأموريته، وكلمة الرزق يحب الخفية كانت تستخدم كتعبير إيجابي يدل على النشاط، والمرونةن وخفة الظل، ولا يدل على خفة اليد، والضمير.

والفهلوة المصرية صفة حضرية أي ترتبط بالحضر.

ولقد رجعت إلى الكاتب جمال حمدان، والسيد ياسين، لعلى أقع على جذور الفهلوة في الشخصية المصرية فلم أجد أيهما تحدث عنها بشكل مباشر، رغم معاصرتهما الظاهرة، وربما ألمح جمال حمدان إلى

أنها الفهلوة التي كانت من الأسلحة التي قاوم بها الفلاح المصري البسيط الطغاة في مختلف عصور الظلم، والظلام، والاستبداد التي مرت عليه، والتي بدأت بالبطالمة، ولم تنتهِ بالإنجليز، لقد وجد الفلاح تاريخيا الفتوى التي تحلل سرقة المحتل، وخداعة، ووجد الفتوى التي تبيح له إهمال عملهُ، وإفسادة لإفساد أمر المحتل، ومشروعيته.

وفي رعاية تلك الفتاوى ترسخت قيم الفهلوة، وانتقلت كميراث فكري، وخلقي من الآباء إلى الأبناء.

والفهلوي بطبعة شخص يملك من القدرة على الإقناع، ويعتمد في وسيلته السهلة الحصول على رضا الطرف الآخر، وقد تطورت الكلمة، وأصبحت مرادفة لكلمة أونطّجي، وهو الشخص الذي يمتلك الخبث، والدهاء، والحيلة للاستيلاء، أو الحصول على ما بيد الآخرين.

وتدرجت الصفات إلى ما يعرف بالنصاب، والنصاب هو الشخص الذي يستولي، أو يسرق ممتلكات الآخرين بالأونطة، والحيلة.

إذا فالمثلث المكون من الفهلوي، والأونطجي، والنصاب هي أوصاف لشخص يستغل الآخرين، أو يضحك عليهم، أو يقنعهم، أو يوهمهم بقدرتهِ على تحقيق ما يتمنونهُ.

هي الفهلوة، وهي الأونطة، وهي النصب، وكلها معنى واحد لصفة تأخذ أشكالًا عدة لشخص يملك القدرة، والحيلة، والأسلوب الغير سوى لخداع الآخرين.

وتمددت صفة الفهلوة لتغطي كم كبير جدا من قطاعات العمل، وتفنن الكثيرون في إدارة شئونهم بمبدأ الفهلوة بل، وأصبحت بعض الهيئات، والشركات، والمؤسسات تدار بالفهلوة، حتى أن تقدير الكفاءة في الأداء اعتبر الفهلوة نوع من التميز في الأداء.

وظهر الموظف الفهلوي، والعامل الفهلوي، والطبيب الفهلوي، والمدرس الفهلوي، وبالطبع ظهر الطالب الفهلوي، والداعية، أو الواعظ الديني الفهلوي.

ولبست الفهلوة ثوبا آخر بعد أن غيرت ملابسها القديمة، وطورت في الأداء، وأخذت أسماء، وصفات أخرى فظهر الخبير الاستراتيجي، والخبير الإعلامي، والسياسى، والعسكري، والإقليمي، والاقتصادي، والقضائي، والمحلل للشئون الإدارية، والمالية، والمجتمع المدني.

وهكذا لعبت الفهلوة دورا محوريا ممتدا إلى الطبقات الكادحة، ودخلت الفهلوة لطبقة المهمشين، والعمال فظهرت الفهلوة في الأداء مثل: السباك الفهلوي، والميكانيكي، والمستشفيات، والخدمات العامة كالطرق، والمواصلات، والتعليم، والتليفونات شركات المحمول، وأصبحت الفهلوة هي عين الحقيقة.

ومن الغريب أيضا أن الفهلوة وصلت إلى داخل بيوتنا، وظهر الابن الفهلوي، والأب الفهلوي، والزوجة الفهلوية، وأصبحت الفهلوة جزء من السلوك الاجتماعي.

وطبعا دخلت ابتكارات، وألوان، ومشتقات أخرى للفهلوة مثل: الأونطة، والنصب.

وتفنن البعض فى استحداث أساليب، وطرق مبتدعة، وسهلة للحيلة، والإيقاع بالآخرين، والحصول علة أموالهم، أو مدخراتهم، وتطالعنا ساحات المحاكم بالعديد من القضايا التي تؤكد وقوع أفراد عديدون ضحايا لظاهرة النصب، والاحتيال بل أصبح هناك توصيف قانوني يطلق عليه قضايا النصب، والاحتيال على الغير.

الرجولة، والجدعنة

ارتبطت كلمة صحوبية بكلمة جدعنة، ورجولة.

وكلمة رجولة هنا ليس المقصود بها المعنى الفسيولوجي للنص التحتاني عندك، ولكن المقصود بيها المواقف الحلوة المشرفة.

ودخلت كلمات تحت بند الجدعنة مثل كلمة صاحب – وحاول الكثيرون الخلط بين الصحوبية، والجدعنة.

الرجولة جدعنة، يعني الواحد يكون راجل جدع لما تكون تصرفاته كلها نزيهة، ويرضى على نفسه، أو غيره الهوان، والذل مثل الفتوة الذي يحمي بيته، وحارته وجيرانه، ويحافظ على بنات الحتة، والعيلة، وكلمته واحدة – وعندما يعد يوفي – وعندما يؤتمن لا يخون.

كل هذه المثل اتغيرت، وانتهى زمن الجدعنة، والرجولة انتهت، وأصبح لها مدلول آخر.

وأصبحت النذالة في العرف هي الرجولة، وانشرت لغة الفهلو،ة والجدعنة، والاستهبال مثل: "إحلقلة قبل ما يحلقلق" أو "إقلبة، وهات غيره " – "ويا عم كبر – والصاحب ما يتصاحب – وكله قبل ما يأكلك".

وكلها بقت أمثلة سيئة لإسلوب التعامل السائد اليوم.

الجدعنة إنك تعيش من غير مشاكل – من غير قلق مالكش دعوة باللي بيجري حواليك، كبر الجمجمة، وما تدخلش نفسك في الحوارات دي علشان ما هاينوبك غير تقطيع الهدوم "ده رأي واحد جدع من بتوع اليومين دول".

الجدعنة، والشهامة هما مرادفان لصفة حميدة يكتسبها الإنسان بالفطرة، والصفة المتداولة "الواد ده شهم، وجدع لما تعوزه تلاقيه جنبك".

ولازمت كلمة جدع كلمة صاحب، ولكن صفة الصاحب لا تستدعي أن تكون مقرونة بالجدعنة، فهناك أصحاب، ولكنهم ليسوا أوفياء.

إذا هل يمكن أن تكون الجدعنة ملازمة للرجولة، ومرادفة للصحوبية.

أفادت دراسة مقدمة في علم الاجتماع أن الريف يتميز بصفة خاصة بنمو الإحساس الفطرى لدى البشر، أو الشباب بوجه الخصوص، ولابد لكي يتصف الشخص بالرجولة أن يجمع ضمنيا صفة الجدعنة، والصحوبية.

هذا بخلاف الحضر، أو الذين يعيشون في المدن فهم يعتقدون أن الصحوبية شيء، والرجولة شيء آخر أما الجدعنة فهي صفة أخرى بعيدة،

ولقد تابعت ذلك بنفسي من خلال متابعة سلوكية لتصرفات بعض الشباب الذين يجلسون على أحد المقاهي، فبعد انتهاء الجلسة يقوم كل منهم بدفع الحساب لنفسه فقط، وأصبح ذلك من أعرافهم السائدة، والمكتسبة – وكذلك عند ركوب المواصلات العامة – أو المطاعم – أو دور السينما.

بخلاف القرى، فنجد أن فيهم الذي يتميز بصفة الرجولة، والجدعنة، والصحوبية، ويصر على دفع الحسابن ويعتبر ذلك غلط في حقه مرددا ياسيدى عيب أنت ضيفي النهاردة.

وأصبحت كلمة صاحبي تقليد دارج يتناقله البعض للتعبير عن أفكار خاصة مثل – دا صاحبي في الشغل – أو دا صاحبي في الجامعة – في الجيش – كان صاحبي في الحج – في السفر – يعني واحد بتكلمه في التليفون بتقضى وقتك معاه – زي صاحبي على الفيس بوك – بتخرج معاه – بتقضي وقتك معاه، وإذا تطورت العلاقة، وأصبح فيها العمق، والإخلاص أطلق عليها الرجولة، والجدعنة .

أما المصلحة فهى تعبير آخر يختلف عن الصفات السابقة فهي وصف معناه أن بينك، وبين هذا الشخص عمل، أو هدف، أو غرض، وسرعان ما تنتهي العلاقة بزوال السبب.

وهناك ألفاظ دارجة لهذا المنطق مثل: "أنا عايزك في مصلحة – في مصلحة تخش فيها معايا – تعالى نخلص في البيت ده فيه مصلحة".

والمصلحة (سبوبة حلوة) – فايدة، وبعدها يقابل الواحد منهم الثاني بدون سلام، وممكن يختلفوا، ويقطعوا بعض، وتروح المصلحة في مليون داهية.

وعندما تكون المصلحة ممزوجة بالرجولة، والجدعنة فهي مباركة، وتدوم، ويبارك ربك فيها، ومثال لذلك الشركات، أو المصانع، أو المحلات التي يقوم بتاثيثها اثنين من الرجال المحترمين الذين يملكون صفات الرجولة، والجدعنة تستمر هذه الشراكة مدى الحياة، وعندما يموتان، أو يموت أحدمها يحدث خلاف بين الورثة من الشباب، وتصبح الشركة، أو المصنع، أو المحل ميت حته، وكل سنة، وأنت طيب.

خلي بالك إن الجدعنة، والرجولة، والصحوبية صفات كانت موجودة، وانقرضت – نعم، غابت النخوة، والشهامة الذي كانت من أهم مميزات الحارة المصرية القديمة، والريف المصري، وسادت في المجتمعات الحديثة صفات الندالة، والمصلحة، والأونطة بعد أن انتهت حارة زمان، وقرية زمان، وعيله زمان.

تفككت صورة المجتمع الذي كان الميزة الوحيدة فيه الانتماء للبيت، والأهل، وطبعا اختفت القيم، وتوارت الجدعنة، وظهر الشخص الضعيف الذي لا يمتلك الشخصية القوية، وتحول إلى كائن بشري ضعيف لا يملك الإرادة، وحرية التعبير، واكتفى بالعيش شخصية هشة لاتملك الإرادة، وتحول إلى مصطلح، وأنا مالي – هو أنا الذي "ها

أعدل المايلة"، وتدرج إلى ياعم امشي جنب الحيط إلى أن انتهت "بعيش ندل تموت مستور".

وأصبحت الرجولة تعبير يدل فقط على ذكورية النص التحتاني دون تطبيق مدلولها الروحاني، وظهر الرجل الدلدول، والأهبل، والعبيط، واللي ما لوش شخصية، والراجل شورة مراته، أو شورة أمه.

وبالطبع بهتت صفة الصحاب، وحل بدلا منها صفة الصحوبية، والتي تغير معناها إلى الإنسان الذي أخرج معه، أو الذي أقضى وقتي معه، أو الإنسان الذي أعمل معه، أو الذي أتحادث معه تليفونيًا، أو على الفيس بوك.

الجدعنة: مصطلح شعبي يدل على أن الشخص خدوم، فهو يساعد الآخرين دون انتظار أي مقابل، ويوضح الدكتور أحمد هارون استشاري العلاج النفسي، أبعاده وملامحه النفسية فى طبيعة، وكيفية المساندة النفسية، والدعم المعنوي الذي يمكن أن يُقدم للآخرين من خلالك، فتكون وسيلة للتخفيف عنهم، والارتقاء بهم.

فكثير منا يغفل أهمية أن يسعى؛ لأن يخدم الآخرين من قلبه، وبكامل طاقته، إما لكونهم لا يقدرون ذلك، أو لأنهم لا يستحقون ذلك من وجهة نظره، وأوضح – هارون – في حديثه عن (الجدعنة) أنه مفهوم نفسي عميق، وهو يتعلق بمساعدة، ومساندة الآخرين نفسيًا، ومعنويا قبل

أن تكون المساعدة، والمساندة مادية، ففي ذلك بالغ الأثر أن تكون ذا تأثير طيب بين من حولك.

ولعل ذلك ما يحدد سلامتك النفسية، ويقرها، فإذا ما كنت تسعى لمساعدة، ومساندة الآخرين، وإذا كنت تحرص حقًا على حسن التواصل معهم، والتعامل الصحيح السليم معهم، فأنت على قدر من السلامة النفسية.

ويحدد "هارون" بعض الصفات النفسية الاجتماعية لمفهوم (الجدعنة)، والتي من الممكن تحدد مستوى سلامتك النفسية عليها، وهي كالآتي:

- تقابل الناس بوجه بشوش، وابتسامة صادقة.
- إلقاء السلام بين الناس، ورد التحية عليهم بأفضل منها.
- أن تستمع لشكوى أحدهم بإنصات، وتقدم له حلًا.
- أن تنصت لحديث أحدهم، وتقدم له دعمًا.
- أن تدعم المحتاج منهم، ولو بكلمة تشجيع.
- أن تساند المهموم منهم معنويًا، أو ماديًا.
- أن تحاول التخفيف المعنوي، أو المادي عن أحدهم.

- أن تكتم سر من أفاض بحديث إليك.

- أن تسارع بالمساندة لمن يطلبك منهم.

- أن يذكر الناس الخير عندك، فيجدونك أخيّر.

"سلام مربع للجدعان" مقولة شعبية شهيرة لتمجيد الجدعنة فما يميز الشخصية المصرية أنها دائما تتطلع إلي الأمل، ومن هنا نشأت فكرة الجدعنة في السلوك المصري.

ويقول الدكتور سيد صبحي أستاذ الصحة النفسية، والعلاج النفسي بجامعة عين شمس أن الجدعنة المصرية تعني السلوكيات المعبرة عن أداء الواجب، والأصول الاجتماعية، والالتزام بما يميز الشخصية المصرية، ويجعلها منفردة.

وتلعب الأسرة دورا مهما في ترسيخ هذا السلوك من خلال علاقة الأسرة أب، وأم بالأولاد، وتعليمهم كيف يتواصلون بأدب، وذوق، ومروءة مع الآخرين.

ويلعب الأب الواعي دور القيادة من خلال تعليم الأولاد الجدعنة، والتصرف الواعي عند أداء الواجب، والالتزام الأخلاقي بالقيم، والمثل العليا، ومن هنا تحاكي الأم أيضا هذا السلوك، ويصبح المناخ الأسري عبارة عن بوتقة جميلة ينصهر فيها الأولاد، ويتعلمون كيف يحافظون على المثل العليا من الأخلاق، والقيم.

ويظن واهما ذلك الذي يرى أن الجدعنة عبارة عن منازلات، أو فتونة، أو تصرف بعنف مع الآخرين، ولكن الجدعنة عبارة عن سلوكيات أخلاقية تجعل من صاحبها فارسا.

فالجدعنة فروسية؛ لأنها تحمل بين جوانبها الصدق، والأمانة، والمسئولية، والإنجاز، والعمل الفعال دائما، وهؤلاء الفرسان الجدعان هم نسيج مصر، وهذا يدفعنا إلى أن نقول أن علي المدرسة أن تكمل دور الأسرة فتعطي التلاميذ الفرصة لكي يعبروا عن أنفسهم، ويوظفوا مقرراتهم الدراسية في خدمة أنفسهم، وخدمة المجتمع الذي يعيشون فيه، وعلى المعلم أن يكون قائدا فارسا جدعا؛ لأن جدعنته تنعكس على التلاميذ.

وإذا انتقلنا إلى الشباب، فسنجدهم يمثلون قيمة المجتمع، فعلينا أن نتعامل معهم في الجامعات على إنهم الأمل، والهدف الذي نسعى من خلاله أن نحقق تنمية مصرنا الحبيبة.

ويتعين على الأستاذ الجامعي أن يمثل الجدعنة في سلوكياته، وحرصه على أن يقدم علمه في خدمة بلده، وللأجهزة المعنية في الإعلام بأنواعه مقروء، ومسموع، ومرئي دور كبير في أن يكونوا كوكبة واحدة بعيدا عن دائرة الخبث، والدهاء، وذلك حرصا منهم على الإعلام عن وطنهم بإخلاص، وفهم، وموضوعية أما القيادة التي تسوس الأفراد فعليها

أن تتعلم الجدعنة من خلال الشفافية، والوضوح، والحرص على الإنجاز السريع.

من هذه الدائرة المشرقة تظهر الجدعنة المصرية، ويرتقي المجتمع، ويتآلف أفراده، وتتعانق قلوبهم؛ لأن الجدعان هم سر استقرار وطننا المصري بأمانة، ودقة ومسئولية.

آفة بعض المسؤولين أنهم يتبعون سياسة «السكون»، و"الجري نص الجدعنة" فمن وجهة نظرهم أن هذه السياسة تجنبهم الخطأ، والخسارة، ولكنهم لا يستوعبون أنهم بهذه السياسة يتجنبون النجاح أيضًا.

بعضهم يفعل مثلما يفعل البليد في العربي الذي لا يعرف الكسر، والرفع، والنصب، فيقوم بتسكين الحروف تجنبًا للخطأ، رغم أن ذلك لا يجعله مجيدًا للغة، ولا مجودًا لها، وكان العرب القدامى يثورون عندما تصلهم رسالة منقوطة (أي يوجد على حروفها، أو تحتها نقط)؛ لأن ذلك كان يعني أن المرسل يستهين بإجادتهم اللغة...

ومتبعو سياسة التسكين تجدهم في كل مكان، وفي كل الوظائف، فهمهم الأول هو الحفاظ على الكرسي، وليس مهمًا أن يكونوا مجيدين لمهنتهم، أو محترفين فيها، أو مطورين لها، وشعارهم دائمًا أنهم لا يخطئون... ولكن ليس كل من لا يخطئ ناجحًا!

أما متبعو سياسة "الجرى نص الجدعنة"، فقد يعدلها بعضهم لتصبح «الجرى الجدعنة كلها»، فهم الذين يتجنبون مواجهة المشاكل، والأزمات، وإما يتركونها، ويهربون منها، أو يشوطونها في ملعب غيرهم، ومثلهم في ذلك كمثل الجبناء الذين يهربون من مواجهة الخصم، حتى لا يتعرضون لضربة بوكس فى الوجه، أو لشلوت على المؤخرة، فيفرون ويا دار ما دخلك شر... ولهذا يظل عدوهم دائما هو المنتصر حتى، وإن لم يكن قويًا. ويظل الهارب متصورًا أنه ناجح؛ لأنه لم يهزم أبداً، رغم أنه لم يواجه خصمه أبدًا... وبالتالى فهو لا يعتبرًا ناجحًا!

والمجتمعات التى يكثر فيها مثل هؤلاء لا تتقدم أبدا، وهي في حقيقة الأمر لا تظل واقفة فى أماكنها، بل تصبح متأخرة، لأن كل المجتمعات المحيطة بها تتقدم، مع تقدم الزمن... فالوقت لا يطول إذا ما أوقفنا عقارب الساعة!

ظنى أنه لابد أن يكون شَغل أي منصب، أو أي وظيفة، مهما كانت صغيرة، تكون عن طريق اختبار يقيس قدرة الشخص المختار على الابتكار، والإبداع، والتطوير... وحتى إذا أخطأ مرة بعد شغل المنصب فهذا لا يعني أنه فشل... فالسكون هو الفشل، ولكن شرف المحاولة لا يناله إلا كل من يريد النجاح.

كل اختراعات الدنيا بدأت بمحاولات لم يكتب لها النجاح، وتكبد مخترعوها خسائر مادية، وجسدية، وبعضهم مات قبل أن يرى اختراعه النور، وجاء من بعده من استكمل ما بدأه، وظهر الاختراع للنور.

لم يخلق الله بني آدم دون أن يمنحه الإرادة، والموهبة، فلولا إرادة المفطوم من الرضاعة على المشي، ومحاولاته لينتقل من مرحلة الحبو إلى المشي، ولولا تكرار وقوعه ما سار على قدميه أبدًا... وهناك أشخاص تساعدهم بيئة الأسرة التي تربى فيها على اكتشاف ما يملكه من موهبة، وآخرون لم يساعدهم أحد في اكتشاف هذه الموهبة، وهنا يأتي دور المجتمع، والمنظومة المطبقة فيه لشغل الوظائف، فهي التي تجعل كل شخص يفتش عن موهبته ليجتاز الاختبارات، ويدخل ضمن النظام الذي وضعه المجتمع، وإلا أصبح منبوذًا عاطلًا لا فائدة منه، ووقتها لن نجد بيننا من يتبع سياسة السكون، أو "الجري نص الجدعنة" وسنبدع، ونحل مشاكلنا، ونتفادى أزماتنا.

الجدعنة مبدأ أساسي من مبادئ العلاقات الناجحة؛ لأن صفة الجدعنة دي لما بتتوفر في الشريك بتكون سبب مهم في نجاح العلاقة؛ لأنها بتوفر دعم كبير جدًا للشريك الآخر.

وهناك شرط مهم جدًا لابد من توافرة لوجود هذه الصفة في العلاقة، وهو الصداقة بين الشريكين، والصداقة هذه يلزمها لغة حوار

مشتركة، يستطيع كل طرف إن يعبر فيها عن رأيه من غير حدوث أزمة، أو مشكلة للطرف الثاني.

وليس هذا معناه إن أي موقف يحدث يكون فيه الطرفان متفقان طول الوقت، حيث أن هذا لن يحدث، ولو حدث فهذا معناه أن طرف فيهم قد ألغى شخصية الطرف الثاني، وهذا يدل على أن هذه العلاقة ليست علاقة سليمة؛ لأنها تحولت إلى علاقة ديكتاتورية، لا يتوافر فيها الصفة التي نتحدث عنها.

إنما المعنى الصحيح المقصود هو إن المواقف هذه عندما تحدث فهذا يدل على اختلاف في وجهات النظر،وليست شجار. معنى هذا إن كل طرف يقول وجهة نظره، ويتم بينهم مناقشة موضوعية هدفها الأول هو الوصول للحل، وليس لإثبات من صح، ومن المخطئ؛ لأن هذه الفكرة في حد ذاتها دائما ما توصل لطريق سد.

العلاقة التى بها شريك جدع تصبح علاقة ممتعة مريحة للطرفين؛ لأن كل طرف يقف مع الطرف الآخر في أي مرحلة، أو موقف يحتاج فيه الدعم، والمساندة والمساعدة، ويتكون بينهم ارتباط قوي، ويتم توفير الأمان للطرفين المسؤولين عن العلاقة هذه.

سلام مربع للجدعان مقولة شعبية شهيرة لتمجيد الجدعنة فما يميز الشخصية المصرية أنها دائما تتطلع إلى الأمل، ومن هنا نشأت فكرة الجدعنة في السلوك المصري.

ويقول الدكتور سيد صبحي أستاذ الصحة النفسية، والعلاج النفسي بجامعة عين شمس أن الجدعنة المصرية تعني السلوكيات المعبرة عن أداء الواجب، والأصول الاجتماعية، والالتزام بما يميز الشخصية المصرية، ويجعلها منفردة.

وتلعب الأسرة دورًا مهما في ترسيخ هذا السلوك من خلال علاقة الأسرة أب، وأم بالأولاد، وتعليمهم كيف يتواصلون بأدب، وذوق، ومروءة مع الآخرين.

ويلعب الأب الواعي دور القيادة من خلال تعليم الأولاد الجدعنة، والتصرف الواعي عند أداء الواجب، والالتزام الأخلاقي بالقيم، والمثل العليا، ومن هنا تحاكي الأم أيضا هذا السلوك، ويصبح المناخ الأسري عبارة عن بوتقة جميلة ينصهر فيها الأولاد، ويتعلمون كيف يحافظون على المثل العليا من الأخلاق، والقيم.

ويظن واهما ذلك الذي يرى أن الجدعنة عبارة عن منازلات، أو فتونة، أو تصرف بعنف مع الآخرين، ولكن الجدعنة عبارة عن سلوكيات أخلاقية تجعل من صاحبها فارسا.

فالجدعنة فروسية؛ لأنها تحمل بين جوانبها الصدق، والأمانة، والمسئولية، والإنجاز، والعمل الفعال دائما، وهؤلاء الفرسان الجدعان هم نسيج مصر، وهذا يدفعنا إلى أن نقول أن على المدرسة أن تكمل دور الأسرة، فتعطي التلاميذ الفرصة؛ لكي يعبروا عن أنفسهم، ويوظفوا

مقرراتهم الدراسية في خدمة أنفسهم، وخدمة المجتمع الذي يعيشون فيه، وعلى المعلم أن يكون قائدا فارسا جدعًا؛ لأن جدعنته تنعكس على التلاميذ.

وإذا انتقلنا إلى الشباب، فسنجدهم يمثلون قيمة المجتمع فعلينا أن نتعامل معهم في الجامعات علي أنهم الأمل، والهدف الذي نسعي من خلاله أن نحقق تنمية مصرنا الحبيبة.

ويتعين على الأستاذ الجامعي أن يمثل الجدعنة في سلوكياته، وحرصه على أن يقدم علمه في خدمة بلده، وللأجهزة المعنية في الإعلام بأنواعه مقروء، ومسموع، ومرئي دور كبير في أن يكونوا كوكبة واحدة بعيدا عن دائرة الخبث، والدهاء، وذلك حرصا منهم على الإعلام عن وطنهم بإخلاص، وفهم، وموضوعية أما القيادة التي تسوس الأفراد فعليها أن تتعلم الجدعنة من خلال الشفافية، والوضوح، والحرص على الإنجاز السريع.

من هذه الدائرة المشرقة تظهر الجدعنة المصرية، ويرتقي المجتمع، ويتآلف أفراده، وتتعانق قلوبهم؛ لأن الجدعان هم سر استقرار وطننا المصري بأمانة، ودقة، ومسئولية.

هل أنت غبي ؟

الغباء هو ضعف في الذكاء، والفهم، والتعلم، والشعور، أو الإحساس ، وربما يكون السبب فطري، أو مكتسب. ويُعرف الغبي في اللغة العربية بعدة ألقاب، كالأحمق، والمعتوه، والأبله، والمغفل.

والغباء من أهم صفاته اللاعقلانية؛ لأنه يدل على العجز، أو أنه غير قادر على فهم المعلومات بشكل صحيح.

هناك من يقول أن الغباء قد يكون هو السبيل في الوصول إلى نقطة بداية النجاح، وقد قرانا بأن عالم كان يحاول اختراع جهاز، وفي نفس الوقت كان عنده كلب كبير، حفر هذا العالم فتحه في جدار بيته، مقاس هذا الكلب الكبير؛ ليدخل، ويخرج منه، ومع مرور الأيام مات هذا الكلب، واشترى كلب صغير آخر، وحفر فتحه أخرى بجانب الفتحه الأولى بمقاس هذا الكلب الصغير!، بينما لو فكر قليلا لترك الكلب الصغير يدخل، ويخرج من الفتحه الأولى!، ومع ذلك أصبح اسمه يؤرخ في كتب الإبداع، والتاريخ، وقد سمعنا كذلك العديد من العلماء الآخرين بنفس لحظات الغباء هذه !...

والأبله من الفئات التي تمثل هذه المرتبة التالية من التخلف العقلي، ونسبة ذكاء أفرادها تتراوح بين ٢٥-٥٠. ويتميز الأبله عن المعتوه في إمكانية تعليمه طبيعة الأخطار المادية التي تتهدده، مع القابلية لتعلم بعض الأعمال البسيطة، والمعتادة التي يحتاجها في حياته اليومية. ومع ذلك فهو غير قادر على الكسب، ويحتاج لمن يعتني به. كما يمكنه تعلم بعض الكلمات ذات المقطع الواحد.

قد نصادف في حياتنا بعض الأشخاص الأغبياء، ولكن السؤال المهم، هل من السهل كشف هؤلاء الأشخاص؟

وبهذا الخصوص أوضح المؤلف كارلو م سيبولا، في كتابه "القواعد الأساسية للغباء البشري" The basic laws of human stupidity، أن الأغبياء هم أناس "يدمرون غيرهم، لا لمصلحة لهم في ذلك، بل يدمرون أنفسهم مع الآخرين؛ فالأغبياء يفسدون للإفساد فقط"، لكن المسألة ليست بهذه البساطة.

وحاول المؤلف أن يضع الذكاء، والغباء الإنسانيين ضمن دائرة، أو قانون كما في المسائل الطبيعية، وبالفعل توصل إلى نظريته هذه وسجلها في كتابه عام ١٩٧٦.

ويرى المؤلف أنه مثلما تحكم الكون، والمجرات قوانين تفسر حركتها، وأحوالها، كذلك البشر، يمكن إخضاعهم لقوانين معينة، عرّفها باسم "القوانين الأساسية للغباء البشري".

ووفقاً لموفع "العربية"، فقد اعتبر المؤلف أن معرفة هذه القوانين اليوم مهمة، لاسيما في عصر التواصل الشبكي المفتوح؛ لكي تجعل الإنسان على دارية بوضعه، وكيف يتعلم ألا يهدر طاقته الإنتاجية، أو التفاعلية، أو المعرفية في عالم بات يتسم بالفوضى.

ولقد قسم العالم سيبولا الغباء البشري بما يحتويه من ردود إفعال إلى خمس قوانين فالقانون الأول منها "دائما، وأبدًا ما يستهين الجميع بعدد الأغبياء من حولنا" أما القانون الثاني "احتمالية أن يكون شخص ما غبيًا، هو أمر منفصل تماما عن آية صفات شخصية لنفس الإنسان". أو لقانون الثالث هو أن "الشخص الغبي هو ذلك الذي يتسبب في خسائر للآخرين، في حين أنه يضر نفسه أيضاً" أما القانون الرابع "دائمًا ما يستهين الأشخاص غير الأغبياء، بالقوة المدمرة لدى الأشخاص الأغبياء"

– وأخيرا أوضح العالم سيبولا في القانون الخامس أن "الشخص الغبي هو الأكثر خطورة على الإطلاق".

وأشار المؤلف، إلى أن السمة الأساسية للأغبياء هي قدرتهم البارعة على صنع الخسائر لهم، وللآخرين، وهذه أبرز نقاط النظرية، فالغبي إنسان طائش، وانفعالي لا يحسب العواقب، ويثير المشكلات لأسباب تافهة.

وبالتالي فإن فهم "قوانين الغباء البشري"، تُمكننا من الاستفادة بأن نصبح أذكياء لا نضر بل ننفع أنفسنا، والناس.

وبرأي سيبولا، وحسب قانونه الخامس، فإن "الغبي هو الأكثر خطورة على الإطلاق"، بل أخطر من قطاع الطرق، واللصوص، فالأغبياء يلقون بالمجتمع كله إلى الهاوية.

اعتاد عماد علي وصفه بـ "الغبي"، وهو يعترف أنه غبي، ولم ينجح يومًا في تخطي غباءه رغم محاولاته الحثيثة؛ لتخطي مشكلته، والتقدم خطوات في مجال الفطنة، وسرعة البديهة، والذكاء. لكن ما هي معايير الذكاء؟، ومتى يكون الإنسان غبيًا؟، وهل يستطيع أن يقوّم نفسه إن كان ذكيًا أم غبيًا؟، وهل الأغبياء جميعًا يمتلكون شجاعة عماد على الاعتراف بغبائهم؟

فالغباء هو فعل نفس الشيء مرتين بنفس الأسلوب، ونفس الخطوات، وانتظار نتائج مختلفة.

يعرّف الاختصاصي في علم النفس الاجتماعي الدكتور كمال بطرس الغباء علميًا بأنه: "صفة وراثية، ومكتسبة بمعنى أن الإنسان إذا ولد من أبوين لا يجيدان فن التعامل مع العقل فإنه بكل تأكيد لن يكون عبقريًا، وهي مكتسبة إذ ثمة عوامل عدة قد تصنع غباء الإنسان. والعبارة التي تقول بأنه لا يولد الإنسان غبيًا صحيحة نسبيًا، فالإنسان السليم يُولد قادرًا على التفكير، وتحريك خلايا المخ، ومع مرور الوقت قد تتضاءل قدرته على التفكير بحسب العوامل المحيطة به. وقد يصبح الإنسان

غبيًا؛ بسبب محيطه، أو بسبب توقفه عن التفكير، وعدم اهتمامه بتطوير ذاته".

ويُعرف الغباء على أنه البطء في اكتساب المعرفة، أو اكتسابها بطريقة غير صحيحة، وكل مجتمع لديه تعريف معين للغباء، فثمة من يرى أن الاستعجال في اتخاذ القرارات غباء، وهناك من يرى أن وضع الأمور في غير موضعها الصحيح هو الغباء. ويمكن أن نحصل على تعريفات كثيرة للغباء للتعبير عن عملية عقلية معينة، ولكن مع اختلاف التعريفات يمكن القول إن الغباء هو قصور عملية الفهم، وفشل تنفيذ العمل.

وفي الواقع، فإن القدرات العقلية عمومًا في المجتمعات المحافظة لا تُقدّم أي استثناءات، فهي تضعك بين خيارين، إما أن تكون متميزًا، وتشغل مكانة بين نخبة المجتمع، وإما أن يُدرج اسمك في سجل ذوي الإمكانات العقلية المحدودة.

وخشية أن يقع الناس في الاختيار السلبي الذي يجلب لهم الخجل، تكونت لديهم قيم معينة أصبحت جزءًا من منظومتهم الفكرية، وصار الغباء سمة للأشخاص الذين لا يحسنون المعرفة، أو العمل. ومن هنا يمكن الحديث عن الشعور بالخجل من الغباء في المجتمعات التي تربط الغباء بمعرفة العمل، فإذا كان الغباء هو العجز عن تنفيذ عمل معين، فإن الشخص العاجز عن ذلك يوصف بالغبي؛ لأنه لم يعرف معلومة أو مهارة.

ومع سيادة الخجل في تلك المجتمعات يسود ادعاء الفهم، وإنكار الجهل خشية أن يوصف الشخص بالغباء، ووسط هذه الثقافة يبرز الكذب على أنه سلوك احترازي يحاول فيه المرء وقاية نفسه من الوقوع في إفخاخ الغباء، فيدعي مثلًا أنه يعرف كل شيء، وتجده يتكلم عن نفسه أكثر من كلامه عن الموضوع، ولهذا يمكننا تفسير ظواهر في مجتمعنا مثل: ادعاء المعرفة، والتعليق المتكرر على موضوع ما، والبكاء على الماضي وغير ذلك.

وعلى عكس الذكاء، يعتبر علم النفس الغباء "معديًا"، فهو ينتشر من شخص إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، ومواجهته للتخلص منه نادرًا ما تحقّق النتيجة المطلوبة، "فكل منا في شكل، أو في آخر، وفي موقف معين دون غيره نُظهر بعضًا من الغباء، وما من أحد كامل من دون عيوب، وأخطاء، وهفوات، من هنا أهمية اكتشاف نقاط القوة في داخلنا، والعمل عليها، وتقويتها كي تغلب الضعف، والغباء فينا.

أما إذا ما كان من بين الأشخاص المحيطين بنا بعض الأغبياء، فليس في إمكاننا دائمًا أن تقطع علاقاتنا بهم، "لذا من الأفضل أن نحاول قدر المستطاع تجنّب المواجهات، والصدامات، ومحاولة التحلي بأسلوب لطيف للتعامل معهم، ومحاولة تفهمهم، والنظر إلى الأمور من وجهة نظرهم كي لا ندخل في جدال عقيم معهم".

أكثر غباء... أكثر نجاحًا، هذا ليس عنوانا لكتاب جديد، أو محاضرة في التنمية البشرية، بل واقع فعلي تعايشه معظم المجتمعات، واقع فانتازي غيّر الكثير من المفاهيم التي تلقيناها في المدارس، ومن الأسرة، وعبر وسائل الاعلام، والتي تؤكّد لنا أنّ التفوّق الدراسي هو الطريق المثالي؛ لتحقيق النجاح في الحياة، في حين أنّنا نرى أنّ المتفوّقين دراسيًّا، والمبدعين، وأصحاب المواهب الذين يبلغون قمم المجد قليلون!.

تحضرني مقولةٌ شهيرةٌ لجورج دبليو بوش ألقاها أمام طلبة إحدى الجامعات هي "كلّ من حصل على تقدير جيّد يستطيع أن يصبحَ رئيسا للولايات المتحدة "!!، من حيث أنّ التفوّق الدراسي ليس شرطا للنجاح في الحياة الواقعية، فالعالم مليء بالأقل ذكاء، من الذين يحتلّون وظائف، ومناصب عليا!.

يعزو البعض أسباب نجاح الأقل ذكاء إلى أنّهم يقضّون وقتًا أطول في بناء العلاقات، والبحث عن طرق أسرع للنجاح، كالغش، أو نقل الواجبات، والبحوث من مصادر مختلفة، قد يكون الأذكياء أحد تلك المصادر، في حين أن الأذكياء يقضّون معظم وقتهم في المذاكرة، والحفظ، وبالتالي فإن ذكاءهم الاجتماعية، والعاطفية أقل، وكما يقول نيكولاس غوميز "الذكاء يعزل الأفراد في حين أن الغباء يجمع الحشود".
إذن الوصول إلى القمة لا يتطلب الذكاء العلمي، فماذا يتطلب أذن؟

يُقال أنّ من أسباب هزيمة نابليون القائد الذكي عسكريا (العجرفة)، وأن هنري الثامن أوشك أن يفرغ خزائن الإمبراطورية الإنجليزية على حالاته المزاجية، وملذاته في الوقت الذي كان صيته ذائعا كقائد عسكري فذ!!، والقائمة تطول ...

وما أشبه الليلة بالبارحة!، فعلى مختلف المستويات، والقطاعات من السياسة إلى الاقتصاد، نرى نماذج كثيرة من القيادات الغبيّة التي تثير العالم بقرارتها البعيدة عن الإنسانية، والمنطق، وتسبّب في دمار الشعوب، والمجتمعات!! قرارات لا يمكن التنبؤ بها، أو تفسيرها منطقيّا، بالعودة إلى مفهوم الغباء باعتباره حالة عقلية عبارة عن ضعف في الفهم، والإدراك، وبطء البديهة قد يكون مكتسبا من البيئة المحيطة، أو عاملا وراثيّا، ومن علامات انتشار الغباء تزايد المشكلات، وتفاقمها، وقد تترك بدون حلول ناجعة، فالأغبياء وفقا للتحليل العلمي يفتقدون القدرة على الربط الصحيح بين المشكلة، والحل، وقد ساهم المجتمع بشكل كبير في صناعة الغباء سواء على صعيد أنماط التربية في الأسرة، أو التعليم في المؤسسات التعليمية المختلفة، فلا نتوقع الإبداع من طفل تعلّم على التقليد، وتنفيذ الأوامر، والمنع من طرح الاسئلة حول التابوهات المجتمعية، والأنظمة التعليمية المبنية على التلقين، والاختبارات لقياس حجم المادة المحفوظة غيبا، وتدريس العلوم نظريّا.

مما زاد الطين بلّة، نمط الحياة الحديثة، فتحوّلت التكنولوجيا من وسيلة مساعدة إلى واقع بديل عن الحياة الواقعية باعتبارها بديلا عن

عقل الإنسان يفكر، ويقوم بالعمل عنا، ولم يعد الإنسان يقضي وقتا أكبر في المحاولة، والاستكشاف، وطرح الأسئلة للتعلم، وبناء العلاقات، والتأمل في الحياة، لذلك نرى الكثير من الأفعال التي تتّسم من الاتّكالية، والانعزال، واللامبالاة كسماتٍ شائعة بالمجتمعات.

من سلبيات الغباء صعوبة التكيّف، والتأقلم مع الواقع، والتصرّف في اتجاه معاكس للمصلحة العامة، وذلك تحت ظروف اختيارية بحته، فمن سمات الغباء ألا يدرك الفرد فداحة قراراته؛ لأنّه، وكما ذكرت آنفا أنه لا يمتلك حسّ المنطق، ولا يمكن التكهن بالسلوكيات، أو القرارات، وتبعاتها، وأسبابها.

مثلما للغباء سلبيات، فهناك جانب مشرق للغباء، فالمتغابي يسعى للوصول إلى المعرفة الحقيقية (الغباء المثمر)، وهذا المنهج يتّبعه طلاب العلم، والعلماء في وضع الأسئلة، والفرضيّات بهدف الاكتشاف العلمي، والخروج بنظريات جديدة تخدم الإنسانية.

مثلما الجهل صناعة، فأنّ الغباء يمكن أن يكون صناعة بفعل فاعل لأهداف بسط النفوذ، والسيطرة، ورفض النقد، والتجهيل الممنهج، وكانت الحرب العالمية الثانية البداية الحقيقية لتطبيق أساليب التأثير على الرأي العام، وتوجيه الشعوب من خلال استراتيجيات الخوف، والتجهيل، لذلك يفضّل بعض القادة الأغبياء على الأذكياء، في

المناصب، والوظائف الإدارية الأشرافية، والمديرين؛ لأنهم الأكثر طاعة، والأقل طرحا للأسئلة.

إلا أن اختيار القيادات الغبيّة على صعيد المؤسسات، والفاقدة القدرة على اتخاذ القرارات الصحيحة تحمل الكثير من المخاطر في وقت يعاني منه العالم أزمات اقتصادية، وسياسية جمّة لا يحتمل معها المزيد من الارتجال في القرارات.

يرى الكاتب دانيال جولمان في كتابه الذكاء العاطفي، وبعد دراسة ١٨٨ شركة أن المهارات الفنية، والقدرات المعرفية وحدها لا تكفي كسمات مهمة في القيادات الفعالة، لأنّ القيادة الناجحة تتطلب ذكاء عاطفيا، وقدرة على فهم العواطف وإدارتها، والتحكم فيها، سواءً كانت عواطفه الخاصة، أو عواطف المحيطين.

اقتصاد اليوم يتّجه أكثر إلى اختيار قيادات جديرة سواء عن طريق التزكية، أو الانتخاب، أو اختبار المهارات، والقدرات، وإن كانت هذه المعايير دخلت مؤخرا في الدول المتقدمة، فنحن الأحوج إليه اليوم مع التحوّل السريع المتلاحق للأحداث، ولا تنقصنا قيادات ذكية في عالمنا العربي على وجه الخصوص، ما ينقصنا تغيير معايير اختيار القيادات على أسس تعتمد على الجدارة، لا المؤهل، ولا الكفاءة العلمية؛ لأنّ الجدارة كمفهوم تعني إمكانية الفرد عمل وظيفة معينة بشكل مناسب في الوقت

المناسب، أي أن يمتلك مجموعة من المهارات، والخبرات المناسبة لعمل ما.

يقول برتراند راسل: "مشكلة العالم أن الأغبياء، والمتشددين واثقون بأنفسهم أشد الثقة، أما الحكماء فتملؤهم الشكوك"، وفي كتاب "القوانين الأساسية للغباء البشري" يقترح (سيبولا) إنقاذ أنفسنا من الخسائر الذي يتسبّب بها الأغبياء، والتي تعرقل النموّ الإنساني، والرفاهية من خلال بذل جهد أكبر للتعويض عن الخسائر الذي قد تسبّب بها الأغبياء !!، وأن فشلنا في مساعينا ما علينا إلا أن نضحك كثيرا على أحوالنا، وشر البلية ما يضحك !!.

نعم، الغباء أيضا تتم صناعته تماما كما هو الذكاء الاصطناعي، فهذا الأخير مبهر بتطوراته، وتجلياته، وقوانينه، لكنَ قوانين صيغت في الغباء البشري تبدو مبهرة بدورها! ألم يحدثنا (ألبرت آينشتاين) في عبارته الشهيرة بأنه "لا حدود للغباء البشري!".

لي، ولكم طرح جميع الأسئلة العالقة في المخيلة، ربما أكثرها إلحاحا ما يتعلق بماهية الغباء البشري هل يولد فينا أم نكتسبه عبر الوقت؟ هل يتعلق الأمر بعوامل وراثية، أو بالتعليم، والثقافة وفق ما تثبته، أو تنفيه ملايين من الأبحاث، والدراسات التي لطالما ربطت الذكاء بالعوامل البيئية؟ هل يُصنع فعلا الغباء كما يُصنع الذكاء؟ وهل يستوي الأغبياء حول العالم؟

وضع مجموعة من العلماء خمسة قرود في قفص واحد، وفي وسط القفص يوجد سلم وفي أعلى السلم هناك بعض الموز. في كل مرة يصعد أحد القرود لأخذ الموز، حينها يرش العلماء باقي القرود بالماء البارد. بعد فترة بسيطة أصبح كل قرد يصعد لأخذ الموز، يقوم الباقون بمنعه، وضربه حتى لا يتم رشهم بالماء البارد. بعد مدة من الوقت لم يجرؤ أي قرد على صعود السلم لأخذ الموز على الرغم من كل الإغراءات، وذلك خوفا من الضرب.

بعدها قرر العلماء أن يقوموا بتبديل أحد القرود الخمسة، ويضعوا مكانه قردا جديدا. فأول شيء يقوم به القرد الجديد أنه يصعد السلم ليأخذ الموز، ولكن فور ذلك يضربه الأربعة الباقون، ويجبرونه على النزول، بعد عدة مرات من الضرب يفهم القرد الجديد بأن عليه ألا يصعد السلم مع أنه لا يدري ما السبب. قام العلماء أيضا بتبديل أحد القرود القدامى بقرد جديد، وحل به ما حل بالقرد البديل الأول حتى أن القرد البديل الأول شارك زملاءه بالضرب، وهو لا يدري لماذا يضرب. وهكذا حتى تم تبديل جميع القرود الخمسة الأوائل بقرود جديدة. حتى صار في القفص خمسة قرود لم يرش عليهم ماء بارد أبدا، ومع ذلك يضربون أي قرد تسول له نفسه صعود السلم بدون أن يعرفوا ما السبب.

يُنظر إلى الغباء باعتباره حالة عقلية، لا ينقصها علم، أو دراسة، وهذا ما يميزها عن الجهل، إلا أن كلا من الجهل، والغباء يؤدي إلى سوء التكيف مع الواقع، والتصرف في عكس اتجاه المصلحة.

لو فرضنا.. وسألنا القرود لماذا يضربون القرد الذي يصعد السلم؟ أكيد سيكون الجواب: لا ندري، ولكن وجدنا آباءنا، وأجدادنا له ضاربين. إذا "هناك شيئان لا حدود لهما. الكون، وغباء الإنسان، مع أني لست متأكدا بخصوص الكون"، هكذا قال آينشتاين.

استدرجتني الحكاية، أعجبتني الحكمة، وشدتني في بعض تفاصيلها، فبحثت في بعض مقولات الغباء الأكثر انتشارا حول العالم، وقد تناول أريستوفان مفهوم الغباء ليقول "الشباب يشيخ، الطيش يتم تجاوزه، الجهل يمكن تعليمه، والسكر يمكن أن يصحى، لكن الغباء يستمر للأبد". ول ألبرت أينشتاين المقولة الشهيرة "الفرق بين الغباء، والعبقرية هو أن العبقرية لها حدود"، أما فريدريك نيتشه فتحدث عن الغباء قائلا: "الغباء الإنساني يكمن في الخوفِ من التغيير"، وقال نيكولاس غوميز دافيلا: "الذكاء يعزل الأفراد، في حين أن الغباء يجمع الحشود".

وعن الغباء أيضا قرأت "مشكلة العالم أن الأغبياء، والمتشددين واثقون بأنفسهم أشد الثقة دائمًا، أما الحكماء فتملؤهم الشكوك" لبرتراند راسل.

ومن المقولات زاد نهمي إلى فهم القضية، بحثت على الإنترنت، وانتقيت تعريفا استصغته، ولو نسبيا: "يُنظر إلى الغباء باعتباره حالة عقلية، لا ينقصها علم، أو دراسة، وهذا ما يميزها عن الجهل، إلا أن كلا

من الجهل، والغباء يؤدي إلى سوء التكيف مع الواقع، والتصرف في عكس اتجاه المصلحة، وذلك تحت ظروف اختيارية حرة دون قسر، أو إجبار، فيفقد الإنسان التأقلم مع المعطيات الجديدة، وبالتالي تصدر أفعاله منافية للمنطق، وللمصلحة".

فمن هنا تبدأ الحكاية.. في خمسينيات القرن الماضي كتب أستاذ التاريخ الاقتصادي في جامعة كاليفورنيا، بيركلي Carlo M. Cipolla كارلو م. سيپولا وهو إيطالي الأصل، عن القوانين الأساسية للغباء البشري ضمن مقالة تحليلية هامة بعنوان The Basic Laws of Human Stupidity -- وفي العام ١٩٧٦ قام سيبولا بتحويل مقالته عن الغباء البشري إلى كتاب تحت نفس العنوان The Basic Laws of Human Stupidity ليتناول فيه تعريف الأغبياء، والغباء البشري "Human Stupidity"! وليُحدد بدقة القوانين الأساسية المُلخصة للغباء البشري، وقد عرّفه على أنّه أكبر تهديد، وجودي للبشرية.

صراحة زادت حيرتني، وتوالت الأسئلة في مخيلتي... ما الذي يعنيه سيبولا بالغباء البشري، ومن يقصد بذلك؟ هل تحدث عن شعوبنا العربية، ونحن لا ندرك؟ كيف لنا أن نتجلى معاني الغباء البشري؟ هل يهددنا بالفعل؟ هل ما يُميِّزُ الدول المتطوِّرة عن الدول المتخلِّفة هو قلّة نسبة الأغبياء؟ متى تزيد، ومتى تقل نسبة الأغبياء، وما هو تأثير ذلك على المجتمعات؟

يضع الباحث كارلو سيبولا في كتابه القوانين الجوهرية للغباء البشري، يضع الإنسان في أربع شرائح. فهو مغفل (بائس)، أو قرصان (لص)، أو ذكي، أو غبي.

واعتبر العديد من الأشخاص الذين قرؤوا هذا الكتاب أنه ممتع إلى حد كبير ربما أيضا مسلي، وسلس من حيث التناول، والطرح، يضحكك في البداية؛ ليبكيك أخيرا "فمن يضحك كثيرا يبكي أخيرا"، حتما هي نتاج كتاب سيبولا الذي تحدث عن سمات الأغبياء واصفا إياهم بأنهم كُثر، وغير عقلانيين، ويتسببون في خلق المشاكل للآخرين دون فائدة واضحة لأنفسهم، مما يقلل من رفاهية المجتمع ككل.

وفي طريقة تجنب عبئهم السيء على المجتمع اقترح سيبولا بذل جهد أكبر من جانب غير الأغبياء؛ لتعويض الخسائر التي تسبب الأغبياء في حدوثها، وإذا ثبت أنّه من المستحيل إنقاذ أنفسنا من الغباء، اقترح سيبولا أن ننتقم على الأقل من خلال الضحك على واحدة من أقوى قوى الظلام التي تعرقل النمو البشري، وتقلل مستوى السعادة، والرفاهية في المجتمع.

فالإنسان "حيوان اجتماعي" وفق تعريف سيبولا، يعيش الإنسان إذا متفاعلاً مع الآخرين في شبكة علاقات دائمة، يُؤثر فيهم، ويتأثر بهم. يُؤدّي ذلك إلى منافع، أو خسائر اقتصادية، أو نفسية، إلى كسبٍ، أو ضياعٍ للطاقة، أو الوقت. وهنا تحديدا يضع سيبولا في كتابه القوانين

الجوهرية للغباء البشري، يضع الإنسان في أربع شرائح. فهو مغفل (بائس)، أو قرصان (لص)، أو ذكي، أو غبي.

وفي هذا السياق، يهتمّ كتاب سيبولا بالشريحة، أو المجموعة الرابعة بالأساس، ألا، وهي شريحة الأغبياء! يضع الكاتب سيبولا خمسة قوانين جوهريّة تُحدِّدُ طبيعة هذه الشريحة، وتُجلي خطورتَها على المجتمعات كونها، أمّ كلِّ بلية بشرية.

"يدمرون غيرهم، لا لمصلحة لهم في ذلك، بل يدمرون أنفسهم مع الآخرين؛ الأغبياء يفسدون للإفساد فقط".

هل قابلت أحدًا هكذا من قبل؟ ربما نعم، وربما لم يحالفك الحظ. لا تقلق الأغبياء كُثرٌ حولنا؛ حتما قابلت أحدهم في العمل، أو خارجه. إليك تقريرًا نشره موقع «ريل كليرانس» يعرض فيه الكاتب مجموعة من القوانين الأساسية للغباء البشري. فكما اجتهد العلماء منذ القدم لوضع قوانين تفسر علاقة الجسيمات على مستوى الذرة وصولًا للكواكب، والمجرات، ها نحن الآن نتعرف على قوانين تفسر غباء البشر.

يقول الكاتب إن في أوائل القرن السابع عشر، وضع «يوهانس كبلر» الفلكي الرائد ثلاثة قوانين جديدة لحركة الكواكب، والتي قدمت للمرة الأولى وصفًا دقيقًا مصحوبًا بالأدلة لحركة الكواكب حول الشمس في النظام الشمسي.

وبحلول نهاية ذاك القرن، انتهج «إسحاق نيوتن» نهج كبلر، ووضع بدوره ثلاثة قوانين بنفسه، واصفًا العلاقة بين الكائن، والقوى المؤثرة عليه، واضعًا بذلك أسس الميكانيكا الكلاسيكية.

في وقت لاحق، بعد مرور ثلاثمائة سنة تقريبا، قدم «كارلو م سيبولا» – أستاذ التاريخ الاقتصادي في جامعة كاليفورنيا، بيركلي – مجموعة من القوانين لا تقل في ثوريتها عن قوانين كبلر، أو نيوتن: القوانين الأساسية للغباء البشري.

على الرغم من أن تلك القوانين لا تدرس في المدرسة الابتدائية، فإنها تحوي دروسًا تستحق التدبر في عصرنا هذا. الغباء اليوم منتشر أكثر من أي وقت مضى – سواء على شاشات التلفاز، موقع يوتيوب، أو حتى في شوارع المدينة التي تتردد عليها باستمرار، ولكي تحمي نفسك من ذلك السلوك الغبي، فإن أفضل ما تتسلح به أولًا هو أن تفهمه جيدًا. وتعد مجموعة قوانين «سيبولا» الثاقبة المكونة من خمسة قوانين مرشدًا جيدًا.

"دائمًا، وأبدًا ما يستهين الجميع بعدد الأغبياء من حولنا".

هذا القانون الأول يعدك لمواجهة ما يحدث، والذي باختصار يتمثل في أن هناك جحافل من الناس الذين يقومون بأشياء غبية، ودون أن تلاحظ ذلك في كثير من الأحيان؛ فهناك دائمًا المزيد منهم «أكثر بكثير مما تعتقد».

"احتمالية أن يكون شخص ما غبيًا هو أمر منفصل تمامًا عن أية سمات شخصية لنفس الشخص".

يرى «سيبولا» – حسب القانون الثاني – أن أي شخص، سواء مفكر، أو جاهل، من ذوي الياقات الزرقاء – العمال – أو البيضاء – الموظفين، والنخبة – سواء لديه ذكاء دراسي من العلم، والكتب، أو ذكاء حياتي من خبرات الحياة، أم لا، يمكن أن يكون غبيًا. علاوة على ذلك، تمتد الحماقة بنسب متساوية تقريبًا في جميع مستويات المجتمع؛ معدل الغباء الموجود بين الحائزين على جائزة نوبل مرتفع بنفس النسبة الموجودة بين السباحين الذكور في المنتخب الأولمبي للولايات المتحدة.

كتب «سيبولا» أن «نتائج (القانون الأساسي الثاني) مخيفة»، فهذا القانون يدل على أنه لا يهم ما إذا كنت من بين نخبة متميزة، أو كنت جزءًا من مجموعة صيادين في بولينيزيا، سواء عزلت نفسك في دير، أو قررت قضاء بقية حياتك في صحبة النساء الجميلات، والعاهرات، فلابد، وأن تقابل دائما نفس نسبة الأغبياء – التي (وفقًا للقانون الأول) ستتخطى دائما كل توقعاتك.

لكنك قد تتساءل «كيف يمكن أن يكون ذلك صحيحًا؟» حسنا، قد يصبح الأمر منطقيًا أكثر في ضوء تعريف الغباء، والذي يوضحه

«سيبولا» في القانون الثالث، إذ أنه تناول ذلك المصطلح من منظور اقتصادي.

«الشخص الغبي هو ذلك الشخص الذي يتسبب في خسائر لشخص آخر، أو مجموعة من الأشخاص، في حين أنه لا يعود عليه أي استفادة من ذلك بل ربما تجعله يتكبد خسائر فادحة».

يسترسل سيبولا مؤكدًا أن الشخص الغاشم الذي يبدأ شجارًا في حانة، أو لاعب كرة القدم الذي يرتكب خطأ شخصيًا جسيمًا، الشخص الذي يلعب ألعاب الفيديو، ويصاب بنوبة غضب تجعله يقرر تدمير فريقه، كل هؤلاء يعدون أناسًا «أغبياء»؛ أفعالهم طائشة تمامًا، وغير مبررة لدرجة يجد فيها الأفراد العقلانيين صعوبة في فهمها.

يقول «سيبولا»: "تتألف معظم حياتنا اليومية من حالات نخسر فيها شيئًا مما يلي (المال، والوقت، والطاقة، والشهية، والبهجة، والصحة الجيدة) بسبب فعل منافٍ للعقل غير متوقع من كائن ما لا يستفيد بطريقة، أو بأخرى من التسبب لنا بكل ذلك الحرج، أو الضرر، أو الأذى. لا أحد يعرف، أو يفهم، أو ربما يمكن أن يفسر لماذا يفعل هذا المخلوق ما يفعله؟ في الواقع ليس هناك تفسير، أو في الحقيقة هناك تفسر واحد فقط: أن الشخص المعني بالسؤال هو شخص غبي".

سيبولا – في قانونه التالي – يعاتب أفراد المجتمع الذين يشجعون الغباء ضمنيًا، وعليه سنكتشف أننا جميعًا مذنبون.

"دائمًا ما يستهين الأشخاص غير الأغبياء بالقوة المدمرة لدى الأشخاص الأغبياء، فعلى وجه الحضور نجد أن الأشخاص غير الأغبياء ينسون باستمرار أنه في كل زمان، ومكان، وتحت أي ظرف من الظروف – تضطرهم إلى التعامل مع أشخاص أغبياء – يتكلفون الكثير مقابل ذلك الخطأ".

يرثي سيبولا حالنا قائلًا إنه: "بالرغم من أن لدينا فكرة جيدة عن من هم الأفراد الأغبياء حولنا، نجد أننا مازلنا نتسكع معهم، حتى مع معرفتنا أن ذلك ضد مصلحتنا".

يذكر التقرير أنه على مر القرون، وآلاف السنين، سواء في الأماكن العامة، أو في الحياة الخاصة، هناك عدد لا يحصى من الأفراد الذين فشلوا في أخذ القانون الأساسي الرابع بعين الاعتبار، ولقد تسبب هذا الفشل الذريع في خسائر فادحة للبشرية كلها.

ثم يأتي القانون الأخير لـ«سيبولا» لا لبس فيه على النحو التالي:

"الشخص الغبي هو الأكثر خطورة على الإطلاق".

يصر «سيبولا» على أن الأغبياء هم بالتأكيد أكثر خطورة على المجتمع، حتى من قطاع الطرق (يمكنك الرجوع إلى الشكل أعلاه)، فقاطع الطريق قد يكبد الآخرين خسائر فادحة، ولكن على الأقل يجني فوائد لنفسه؛ أما الأغبياء فهم يلقون بالمجتمع كله إلى الهاوية.

يؤكد التقرير على أن: "الأغبياء يلحقون الأذى بالآخرين دون أية منفعة تعود عليهم في المقابل، وبالتالي يكون المجتمع ككل في حالة إفقار".

وربما الدرس المستفاد من التعرف على القوانين الخمسة للغباء هو أن المسؤولية كبيرة، وثقيلة على الجميع، وخاصة الأذكياء، للعمل على إبقائهم – الأغبياء – تحت المراقبة.

دراسة حديثة قامت بها جامعتي Johns Hopkins وNebraska ونشرت في الأكاديمية الوطنية للعلوم (pnas.org)، مفادها أنَّ فيروس يدعى ATCV-1 Chlorovirus موجود منذ القدم، وتم اكتشافه مؤخرًا، ويعيش في الطحالب الخضراء في بحيرات المياه العذبة، يسبب قلة الإدراك، والقدرة على التحليل لدى الناس، ويزيد من الغباء لديهم.

وأوضح العلماء أن ٤٤% من البشر يحملون هذا الفيروس ذو التأثير طويل الأمد، والّذي يعمل على بلادة العقل. وأشار الباحثون أن هذا الفيروس يعيش في حلق الإنسان.

أجريَت دراسة على أشخاص يحملون هذا الفيروس، وظهر أنهم يعانون من مشاكل في اختبارات الذكاء مع أخذ العمر، والتحصيل الأكاديمي في الحسبان، والتفسير لهذه الدراسة هو التغيرات الجينية الّتي تحدث في الدماغ بسبب هذا الفيروس.

ولكي يتأكد الباحثون من هذه النتجة قاموا بتجربتها على الفئران المخبريّة، وبعد أن وضعوهم في متاهة وجدوا انخفاضًا لديهم في الذاكرة المعرفية إلى جانب وظائف دماغية أخرى، وأن الفيروس تغلغل في الدم، والأنسجة، وغيّر نشاط الجينات لدى أدمغة الفئران، ومن ضمنها تلك الّتي تنتج الدوبامين Dopamine.

وقال البروفيسور روبرت يولكين Robert Yolken: "هذا الاكتشاف يوجهنا إلى طريق آخر، نحاول من خلاله تحسين القدرات العقلية، والإدراكية للبشر".

«الغباء» أيضًا تتم صناعته:

طوال الوقت يشكو الناس من انتشار الغباء، يرجعون كل المشكلات الإنسانية التي تمر بهم إلى أفعال غبية تصدر من أناس أغبياء، فهل الغباء هو قصور عقلي فطري أم أمر مكتسب يصل إليه الإنسان بعد مرور ببعض الخبرات، والتجارب الحياتية؟!

بداية هذا هو أحد تعريفات الغباء الذي حاول الكثير الوصول لتفسيره.

يُنظر إلى الغباء باعتباره حالة عقلية، لا ينقصها علم، أو دراسة، وهذا ما يميزها عن الجهل، إلا أن كلا من الجهل، والغباء يؤدي إلى سوء التكيف مع الواقع، والتصرف في عكس اتجاه المصلحة، وذلك تحت

ظروف اختيارية حرة دون قسر، أو إجبار، فيفقد الإنسان التأقلم مع المعطيات الجديدة، وبالتالي تصدر أفعاله منافية للمنطق، وللمصلحة.

من خلال هذا التعريف فالشخص الغبي هو الذي يفقد القدرة على الربط بين الواقع الربط الصحيح؛ ليصل إلى نتائج صحيحة، ويتخذ القرارات التي تصل به إلى الفائدة المرجوة وصولًا إلى تحقيق المصلحة لمجتمعه، وبيئته. فما هي الأمور التي تجعل الإنسان يفقد هذه القدرة على الربط العقلي بين الأمور، فيصبح حكمه مشوشًا، وأفعاله تتسم بالغباء؟

الإنسان ابن بيئته كما يقال، منذ الساعات الأولى لولادته يقع الفرد تحت تأثير الأسرة مرورًا بتأثير دولته المتمثل في المدرسة، والإعلام، وبيئة العمل، إلى جانب حياته الشخصية، وتواصله مع الأصدقاء عبر الواقع الفعلي، والواقع الافتراضي المتمثل في الإنترنت.

وعلى هذا سوف نستعرض أهم الأمور التي يتعرض لها الفرد خلال هذه البيئات المختلفة، وتؤدي به إلى التصرف بغباء بمرور الوقت.

يشعر الأهل دومًا برغبة حقيقية في تحقيق مستقبل باهر لأطفالهم منذ اللحظات الأولى، ربما يطلق البعض ألقابًا على أطفالهم بمجرد خروج الجنين إلى نور الدنيا، فمنهم من يرى في طفله الطبيب الناجح، أو المهندس الشهير، أو رجل الدين المفوه، أو الفنان المميز.

يتحدثون عنه طوال الوقت، ويخلقون في الطفل رغبة أن يصبح مثله؛ لنجد مؤخرًا بعض الأطفال الصغار يظهرون على شاشة القنوات التليفزيونية كصور منسوخة من مشاهير كبار، يفتخر الأهل بهم، ويتم تقديمهم باعتبارهم أطفالًا أذكياء، وأصحاب مواهب. والحقيقة أنه قد تم قتل الإبداع بداخلهم، وتم تحويلهم إلى نسخة من شخص آخر، يتحول بمرور الوقت إلى أداة تعمل وفق ما يطُلب منها.

يخرج الطفل من أسرته مُستقبِلًا عالمًا جديدًا هو المدرسة، المدرسة التي تجيد اكتشاف مهارات الطفل، وقدراته التي ربما عجز الأهل عن اكتشافها؛ لعدم فهم، أو تقصير. يحمل الطفل في داخله مئات الأسئلة الحائرة تبحث عن إجابات، عشرات الأفكار تبحث عن فرصة للتنفيذ. ولكنه لا يجد الوقت المناسب، فالعملية الدراسية معتمدة على مناهج لابد أن تنتهي قبل انتهاء العام، ثم يأتي الامتحان ليحدد مستوى التلقين، والحفظ، اكتشاف المواهب، والقدرات ليس مكانها المدرسة. فالمدرسة هنا خُلِقت كي تسير في خط مستقيم يخلق منه أداة جديدة تجيد العمل وفق إطار محدد وفقط. بمرور الوقت يفقد الطفل الشغف، وتضيع الأسئلة، والقدرة على فهم الواقع، ومتغيراته.

من المفترض أن يقوم الإعلام بدور نشر التوعية، والمعرفة، فالمعلومة هي أول مدخلات العملية الفكرية، والتي يتم بناءً عليها الوصول للنتائج، والقرارات. فماذا يفعل الإعلام في أغلب الأوقات:-

نشر المعلومات الخاطئة، أو الناقصة يؤدي إلى تشويه في العملية الفكرية، فيصل الفرد إلى نتائج خاطئة إما أن يظل ضحية التصور الخاطئ طوال الوقت، أو يصل لمعلومات متضاربة، فيصل به إلى حالة من التشوش بين المعلومات. ومع وجود فشل في فهم الواقع، وإدراكه يلجأ كثير من الناس إلى الإيمان بالأفكار الخاطئة بدلًا من البحث، وإرهاق الذهن بين معلومات متضاربة.

في أحيان كثيرة يقدم الإعلام قوالبَ جاهزةً عن رجل الدين، أو البطل، أو اللص، أو فتاة الليل، وغيرهم، يخلق النموذج، ويقدمه للجمهور بشكل يحتمل التعميم، فيتلقى الفرد القالب، ويتصرف وفقه، دون محاولة تحليل، أو تجزئة. فنجد على سبيل المثال انتشارًا لفكرة أن الملتحين إرهابيون، وأن الاشتراكيين ملحدون، وما إلى ذلك.

وذلك من خلال الإنتاج الدرامي، والسينمائي، يتم تقديم نماذج عن الأشخاص الناجحين في الحياة، تفاصيل حياتهم اليومية، ومستواهم المادي، تصورات عن الحب، أو العلاقة بين الزوجين. هذه التصورات تنتقل لعقل المتلقي؛ ليتم التعامل معها باعتبارها النموذج الغائي دون اعتبار لمعطيات الواقع، أو قدرات الفرد الشخصية.

دائمًا هناك عدو خلف الستار يعمل على هزيمتك، أنت رائع بما فيه الكفاية لتهدد من حولك، ولا تقع في أي أخطاء. فقط احذر أعداءك. هذا التصور الجاهز الذي يتم تقديمه طوال الوقت في الإعلام

ليؤكد على أن نقد الذات من غير الضروريات. فتجد الجمهور يتناقله بصورته العامة، ويطبقه في حياته اليومية، وفي أدق تفاصيل يومهم... هناك مدير متربص، أو زميل يتلاعب بك. لا داعي لتحليل الموقف، والبحث عن الأسباب الحقيقية. فقط تصرف وفق هذا التصور.

يقدم الإعلام تصورات متطرفة طوال الوقت، فالبشر إما أصدقاء، أو أعداء، والشخصيات إما عظيمة، أو فاشلة، وطنية أو عميلة... لا وقت للتدقيق، والتحليل الهادئ المتأني. فالحياة كذلك أبيض، وأسود لا تُضِع وقتك في البحث عن ألوان وسيطة.

تحدث حادثة، ويتم تناقلها بين رواد مواقع التواصل الاجتماعي، تتشابه التعليقات، وردود الأفعال فتشعر في النهاية أن هناك شخصًا واحدًا تم تكراره بأكثر من صورة. حاول أن تتذكر قليلًا؛ كم موقف مرَّ، وشعرت أن رد الفعل تحول إلى "موضة" الكل يتبناها، ويؤيدها دون تحقيق، أو تأكد من صحة الحادثة، أو الخبر؟

يمر قليل من الوقت؛ لتختفي كل ردود الأفعال حتى يحين موعد ظهور حادث جديد. هذا ما يحدث طوال الوقت يتحول كل رواد المواقع إلى نسخ مكررة من نفس الشخص، تحولهم القضية، أو الحادثة إلى وجوه مكررة كل منهم يرى في نفسه التفرد، والتميز. التعليقات الساخرة، الدعوات، حملات موجهة ضد شخصية عامة أو مسئول كبير. بشكلٍ،

أو بآخر نتحول بمرور الوقت إلى نفس الشخص في استقبال المعلومة، والتعامل معها بل، والشعور بها.

التمرد، والتحرر هو أهم ما يميز مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، فالقديم لم يعد ذا أهمية بالنسبة لهم، والجديد محل شكوك طوال الوقت، أمر جيد، ومُنافٍ تمامًا لمفهوم الغباء، ولكن في الواقع الصورة لا تنتهي إلى هذا الحد، فالهدم يأتي خطوة أولى لبناء مقدسات جديدة، ومشاهير جدد، وتمجيد من نوع آخر يتحرك فيه الرواد كالقطيع للدفاع عن أفكارهم، ورموزهم بشكل لا إرادي.

شغلت التكنولوجيا الحديثة، والإنترنت حياة الناس بشكل متفاقم بمرور الوقت، فتحولت التكنولوجيا بدلًا من وسيلة لمساعدة الناس في تسهيل حياتهم إلى الحياة ذاتها. الكل عاكف على مشاركة حياته من خلالها، وتكوين التصورات، والقرارات وفق الحياة عبر العالم الافتراضي، الصداقات، وعلاقات الحب، والزواج كلها تتم من خلال هذا العالم الافتراضي. فيتحول العالم الواقعي إلى مرحلة مؤقتة لا يهتم الفرد باكتشافها، أو تحليلها، وتعميق نظرته لها. ونجد ردود الأفعال التي تتسم بالبلاهة، واللامبالاة، والانعزال هي السمة الأبرز.

إن خوف المستبد من نقمة رعيته أكثر من خوفهم بأسه،لأن خوفه ينشأ عن علمه بما يستحق منهم، وخوفهم ناشئ عن جهل؛ وخوفه عن عجز حقيقي فيه، وخوفهم عن توهم التخاذل فقط. عبد الرحمن الكواكبي.

دومًا تكمن العقبة الكبرى في تاريخ الزعماء، والقادة في السيطرة على الجمهور العريض بتنوع ثقافته، وأطيافه، فالأصوات المعارضة تثير الرأي العام، وتستدعي التفكير، والتفكير يستدعي النقد، والنقد يستدعي المحاسبة، وهو الأمر الذي يراه القادة معرقلات على طريق تعميق حكمهم.

كانت الحرب العالمية هي البداية الحقيقية لدراسة سيكولوجية الجماهير، واكتشاف سبل التأثير عليهم، فكانت إستراتيجيات الخوف هي أنجع الطرق في إسكات الأصوات المعارضة. فالوطن المهدد بالعدو، والإرهاب هو وطن يحتاج إلى قلب رجل واحد لتخطي الأزمة. وطن لا يريد الالتفات لصغائر الأمور، فكل شيء عدا مجابهة "العدو" هو شيء غير مقبول.

بمرور الوقت تتحول الشعوب إلى أصوات مرتعشة تنتظر تحديد أولوياتها وفقًا لرؤية الدولة، وتفتقد القدرة على البحث عن أسباب الفشل، والهزيمة. فالبحث عن الأمان مقدم على كل شيء.

يوميًا تزداد الحياة سرعة، وتصبح القدرة على التأني، والانتظار أمرًا عصيًا، أو بمثابة الرجوع للخلف. أعباء الحياة اليومية، ومتطلبات العمل، والانشغال بالبحث عن حلول لكل العوارض اليومية تفقد الإنسان لحظات التأمل، والتفكر في حياته بشكل عميق، مستبدلًا ذلك بالحلول السريعة الجاهزة، والتصورات المنتشرة بغض النظر عن قيمة المصلحة المضافة. فنجد بعض الدراسات التي تنظر إلى الوجبات السريعة باعتبارها أحد مسببات الغباء ليس لما تحتويه من عناصر غذائية ضارة، ولكن لما تحتويه

من قيمة الحلول الجاهزة البعيدة عن التكفير، والإبداع. فيتحول الإنسان بمرور الوقت إلى مستهلكٍ عاجزٍ عن الإنتاج، والإضافة.

أمثلة كثيرة يمكن بمجرد التدقيق فيها قليلًا أن نجدها تؤدي بنا إلى الانفصال عن الواقع، والإضرار بمصالحنا الشخصية، والعامة. وسوف يكون لديكم متسعٌ من الوقت للتفكر في حياتكم؛ لتكتشفوا كيف نتعرض لمثل هذه المؤثرات يوميًا، وكيف تعود علينا بالضرر.

- وفي الجهل قبل الموت موت لأهله.

  فأجسامهم قبل القبور قبور.

- وأن امرء لم يحي بالعلم ميت.

  فليس له حتى النشور نشور.

  (المتنبي):

- ذو العقل يشقى في النعيم بعقله.

  وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم.

في بيتنا رجل طيب!

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أيها الناس إن الله طيب، ولا يقبل إلا طيباً...".

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح الحديث: "قال القاضي عياض: الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص، وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيب: الزكاة، والطهارة، والسلامة من الخبث".

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم: "والصلوات، والطيبات" وذلك في دعاء التشهد: (وكذلك قوله: "والطيبات" هي صفة الموصوف المحذوف أي: الطيبات من الكلمات، والأفعال، والصفات، والأسماء لله وحده، فهو طيب، وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، وأسماؤه أطيب الأسماء، واسمه (الطيب)، ولا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، وإليه يصعد الكلم الطيب، وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه، فالطيبات كلها له، ومضافة إليه، وصادرة عنه، ومنتهية إليه... فإذا كان هو سبحانه الطيب على الإطلاق، فالكلمات الطيبات، والأفعال الطيبات، والصفات الطيبات، والأسماء الطيبات كلها له سبحانه لا

يستحقها أحد سواه، بل ما طاب شيء قط إلا بطيبته سبحانه فطيب كل ما سواه من آثار طيبته، ولا تصلح هذه التحية الطيبة إلا له.

الطيب هو شخص اجتماعي، ومحبوب من كل الناس؛ لأنه ببساطة يعكس تواضعه، والناس دائمًا تحب المتواضع، وطيب القلب، وتكره المتكبر المتعالي عليهم، الكثير من الناس يرون إن طيبة القلب ضعف في الشخصية... لأن الإنسان الطيب القلب دائمًا يكون مستهدف من قبل الآخرين لتلبية حاجاتهم، وأيضًا يمكن خداعهُ بسرعةٍ...

وأخذ كل ما لديه ببعض من الكلمات البسيطة... ولكن هناك أيضًا من هم طيبون القلب، ولكن يمتلكون شخصية قوية، يستطيع أن يجمع طيبة قلبه مع قوة شخصيته بطريقه رائعة تحبب الناس إليه، مع الحفاظ على شخصيته بأن تتأثر من التعامل.

القلوب الطيبة كالذهب، لا تصدأ أبدًا حتى لو أنهكها التعب... مجرد مسحها بكلمة جميلة يظهر بريقها مرة أخرى.

إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب طبعًا المعنى، والقصد مختلف... لكن ما يقصد إن كل نفس تطوق لما هي فطرت عليه، وما هو في خالص قلبها إن الطيبة صعبة لكنها أمر رباني، وصفة إسلامية، وإنسانية لا تنزعها من قلبك هي الفرق بين الإنسان الجميل، والإنسان القبيح.

من يبحث عن امرأة طيبة، وذكية، وجميلة يبحث عن ثلاث نساء.

يكون المرء طيبا إذا جعل الآخرين أفضل.

أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطن ينشد لوطنه الكرامة، والحرية، والاستقرار، والحياة الطيبة في ظل الإسلام الحنيف. الوطن شجرة طيبة لا تنمو إلا في تربة التضحيات، وتسقى بالعرق، والدم.

الوحدة لم تكن بالرفقة الطيبة قط يا دون جوزيه، فالأحزان الكبيرة، والإغواءات الكبيرة، والأخطاء الكبيرة هي على الدوام تقريبًا نتيجة بقاء المرء وحيدا في الحياة دون صديق فطن يمكن طلب النصيحة منه عندما يحدث ما يعكر صفونا أكثر مما هو معهود في بقية الأيام.

لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء. رأس جيدة، وطيبة القلب هي دائما مزيج رائع.

الأمم يعتريها الوجود، والفناء، والتاريخ يحدثنا عن أعمار الأمم، فمنها من بقي عشرات السنين ثم أندثر، وباد، فمثلا اليونان امتد عمرها قرابة ٥٠٠ عام ثم فقدت وجودها الثقافي، فابتلعتها ثقافات أخرى، أما الثقافة الإسلامية فقد مضى عليها قرابة ١٥ قرنًا، وما زالت قائمة شامخة، وهي التحدي الوحيد لزعماء الغرب، فهي كالشجرة الطيبة أصلها ثابت، وجذورها ضاربة في أعماق الأرض، إن الشعوب لا تُفنى جسديا، وماديًا، ولكنها تفنى ثقافيًا.

جارة طيبة أفضل من أخت بعيدة.

السمعة الطيبة أفضل من الرداء الجميل.

إذا لم يكن لديك شيئًا تعطيه للآخرين، فتصدق بالكلمة الطيبة، والابتسامة الصادقة، وخالق الناس بخلق حسن.

الطيبة... هي انتصار الإنسان على النفس الإمارة بالسوء. الكلمة الطيبة... هي أجمل الهدايا، وأقلها سعرًا. الكلمة الطيبة ليست سهمًا، لكنها تخرق القلب.

المدح يزيد الإنسان الطيب طيبة، والخسيس خسة.

إن من الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من وخز الإبر، وأمر من الصبر، وأحر من الجمر، وإن من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة فإن لم تنبت كلها ينبت بعضها.

الكلمة الطيبة صدقة.

هي اليد طيبة حين نُكسرُ دافئة حين نبكي، وعاشقة حين نتعب.

إن الرجل الطيب قد يهلكه حبه لامرأة سيئة، والعكس صحيح أيضا فالرجل الشرير قد يهلكه حبه لامرأة طيبة.

بداية مقالي عن الطيب عبارات حية، وقوية؛ لأن هذه الشخصية تستحق كل الثناء، والتقدير، والاحترام، ولكن في زماننا هذا فقد اقترنت شخصية الطيب بما يطلق عليها العبيط فكثيرا ما نسمع ألفاظ مثل: "الراجل دا طيب سيبك منه" "ياعم إفكسله دا طيب، وعلى قد حاله".

ودائما ما يتميز الشخص الطيب بالوقار، والهدوء، والحكمة فهو مستسلم بشوش مسامح يتمتع بالكلمة الحلوة، ومريح في تصرفاته متسامح في حقوقه حتى، وإن جار عليه الآخرون.

ولكن قد ينقلب الشخص الطيب الحالم إلى وحش جسور عند الغضب، ولذلك يقال: "اتق شر الحليم إذا غضب".

قد يكون الشخص الطيب قويا في إدارته حازما في قراراته يتعامل مع مرؤسيه بطيبة، وحلم، ويتسع صدرة للجميع، ولا يفرق بينهم في المعاملة، ويعفو عن من ظلمهِ، ولكن لا يتنازل عن حقوقه.

- النية الطيبة لن تبرر عملًا خاطئًا، بل هي شرط أساسي للعمل الصائب فقط.

نعم الحياة طيبة، والدنيا كمحالها... لم تتغير موسم الهجرة إلى الشمال.

- أكثر من الاستغفار... فإنه ريحٌ طيبة تزيل كل ضيق، وتزيح أوراق الاكتئاب عن الطريق.

- الكلمة الطيبة شجرةٌ مورقةٌ إذا وقعت في القلب أحيته.

- لا بأس يا صديقتي سيتألم قلبك قليلا، أو كثيرًا فقلوب الطيبة وجدت لتتألم، ولتقتل ببطىء.

- النوايا الطيبة، والمشاعر النقية تدل على الطريق في بعض الأحيان، ولكنها في أحيانٍ أخرى تعمي البصر.

- لقد محا الحنين كالعادة الذكريات السيئ، وضخم الطيبة... ليس هناك من ينجو من آثاره المخربة.

- المرأة السامية تستلزم وجود الطيبة في روح الرجل حتى، ولو كان جاهلًا.

- وكما يطفئ الماء النار علينا بالكلمة الطيبة، والبسمة الحلوة وقانا الله، وإياكم شر الغضب.

- يبدو أن الطيبة هي السمة الأبرز للفقر.

- عليك بسؤال الله الحياة الطيبة، والعيشة الرضيّة، وصفاء الخاطر، وراحة البال. الكلمة الطيبة هي كلمة المرور إلى قلوب الآخرين.

- من أي مادة صنعت أيامنا الطيبة معًا حتي تحولت هكذا إلى صمت طيني.

- بالعكس... أمي طيبة جدًا كانت تقسو عليَّ فقط كي لا أفسد يا لي من ساذجٍ. الأصدقاء لم يوجدوا لمشاركة أحدنا حياته الطيبة فقط، وإنما للتخوزق معه كذلك.

- إن الإرادة الطيبة لا تضيف بصلة واحدة إلى الحساء، وهي لا تصلح إلا للذهاب إلى الجنة.

- للبيوت مهما كانت متواضعة دفء... ورائحة طيبة لا يشعر بهما سوى الغرباء.

- لا حديقة لي داخلي، وكلك أنت، وما فاض منك، أنا الحرة الطيبة.

- الكلام هو معجزة الإنسان... صحيح أن الصمت حكمة... لكن الكلمة الطيبة أصلها ثابت، وفرعها في السماء.

- لا تتأخر عن كلمة الحق بحجة أنها لا تسمع، فما من بذرة طيبة إلا، ولها أرض خصبة.

- الطيبة الحقيقية للإنسان لا يمكن أن تظهر في كل نقائها، وحريتها إلا حيال هؤلاء الذين لايمثلون أي قوة.

اللئيم مريض العصر

نعيش في هذه الحياة، ونخالط الكثير من الشخصيات، وكل شخص شخصيته عبارة عن حكاية، ومسلسل من الممكن أن يعرض للمشاهدة ، فمنهم من نسعد لرؤيتهم، ونتمنى لو جميع الأشخاص الذين نقابلهم بنفس نفسياتهم الطاهرة ، وأشخاص آخرون نقابلهم يشعروننا أنّنا نعيش في غابة مليئة بالوحوش، فكل يوم تعيش به ترى ما يدهشك في عالم البشر، فالأشخاص الطيبون يشعروننا بحبهم لها، وبأخلاقهم العالية، فلا تجد من يحاول استفزازك منهم بل يحاولون خلق الظروف؛ ليشعرونك بأن الحياة جميلة، ومليئة بالأشخاص الأخيار، أمّا بالنسبة للطرف الآخر من الناس، فهم من تلتقي بهم، ولو لمرة، فتجدهم يحاولون التقليل من شأنك، عدا عن محاولة استفزازك، واستفزاز من حولهم، فتلاحظ عليهم الأخلاق السيئة، ولهذا نطلق على بعض الأشخاص السيئين بالشخص اللئيم، فمن اللئيم، ولماذا نطلق عليه اسم اللئيم، الآن سنوضح لكم المزيد عن هذا.

فهو الشخص الذي يقدم مصلحته على مصلحة الآخرين بطريقة أنانية، فيعمل، ويتخذ أي أسلوب حتى لو تضرر الآخرين منه، وذلك للوصول لمصلحته الشخصية، عدا عن كرهه لرؤية أي شخص حوله

سعيد، فيتمنى التعاسة للآخرين، ويحسد السعداء سعادتهم نعم، مصلحته أولًا، وقاعدته الأولى في حياته الغاية تبرر الوسيلة، لهذا فهو على استعداد تمام لإيذاء أي شخص في سبيل الوصول لهدفه، وغاياته.

كما أنه الشخص الذي يرفض مساعدة الآخرين حتى لو كان قادر على مساعدتهم، فهو لا يحب تقديم العون، والمساعدة ، وحين يحتاج للآخرين ، يأتي إليهم، ويطلب منهم المساعدة.

وهو الإنسان الذي أكثر ما يكرهه أن يرى شخص سعيد في حياته، وناجح في أعماله، فيحاول إيذائه، وإيصاله للفشل إذا كان باستطاعته كما أنه يستهزء بمن حوله، ويحاول السخرية منهم، وتقليل هيبتهم أمام الآخرين، ليس عداوة؛ بل لأنّه لئيم فلا يشعر بأحد، ولا يهتم بمشاعر من حوله، فلا يحب أحد.

والآن نود أن نقول أنّه عادةً ما يكون هذا الشخص فاشل في حياته، فقلبه، وتفكيره الذي يفكر به يبعده تمامًا عن كل أسباب النجاح، والتقدم في هذه الحياة، فمن يحاول إلحاق الضرر بالآخرين، لن يصل لشيء فحبه لإيذاء الآخرين أكثر من حبه لنفسه، وللوصول لتحقيق الأهداف، والنجاح، والازدهار، فلا تنسى أن هذه الحياة التي نعيشها عادلة.

خلق الله عز وجل البشر، وجعل بينهم الكثير من الفروقات، والاختلافات، حيث إن كلّ إنسان مختلف عن الآخر، فالاختلاف بين

البشر هو من أهمّ سمات الحياة، وهو ما يعطيها نكهة فريدة من نوعها، ويجعل البشر يتفاعلون باستمرار مع بعضهم البعض، والاختلافات بين البشر كثيرة، فكلّ إنسان لديه ما يميّزه عن غيره، ومن أهمّ الأمور التي يختلف بها البشر عن بعضهم هي الطباع، بحيث إن كلّ إنسان يمتلك طبعًا خاصًا به يميزه عن غيره، ومن طباع البشر ما هو محمود، ويحبب دائماً التحلي به، ومنها ما هو سيء، ومذموم من أبرزها اللؤم، فاللؤم من أسوء الطباع التي قد يتصف بها أيّ إنسان، وفي مقالنا هذا سنتحدّث عن الشخص اللئيم وصفاته، وكيفيّة التعامل معه.

واللؤم هو طبع من طباع البشر السيئة، والمذمومة، وهو عكس الكرم، والنزاهة، والشرف، والفضل، ويعرف الشخص اللئيم بدناءة أصله، وشحّ نفسه، وسوء خلقه، فهو يفتقد إلى الكثير من القيم، والأخلاق، بالإضافة إلى أنّه يعاني من العديد من المشاكل، والاضطرابات النفسيّة، الأمر الذي يجعله يتعامل مع الآخرين بطريقة غير سوية، ويتّصف الشخص اللئيم بالعديد من الصفات التي تجعل منه شخصًا منبوذًا من قبل الآخرين، وفي ما يلي نذكر أبرز هذه الصفات:

– إفشاء الأسرار، فالشخص اللئيم لا يمكن ائتمانه على أيّ سر.

– ذكر عيوب الآخرين، وفضحها، وإخفاء كل خير يراه منهم.

– الشماتة بالناس.

- الإخلاف بالوعود التي يقدّمها للآخرين.

- المماطلة في الأمور، والواجبات المطلوبة منه.

- حسد الآخرين على ما يمتلكونه.

- كثيرًا ما يتّصف هذا الشخص ببذاءة لسانه كما أنّه يلجأ إلى سب الآخرين في كثير من الحالات.

- الجحود، وإنكار المعروف.

- عدم وجود أي من مشاعر الرحمة تجاه الشخص الضعيف، والتسلط عليه.

- يتصف هذا الشخص بقلة مروءته، وتطفله الدائم على الآخرين.

- الشخص اللئيم هو شخص غير متسامح، ولا يمكن أن يقبل الأعذار من الآخرين.

- دائماً ما يرتبط اللؤم بالبخل، فالشخص اللئيم دائمًا ما يكون بخيلًا، ويمنّ على الآخرين بعطاياه.

ويجب أن ننوه لكلّ طبع من طباع البشر طريقة معينة للتعامل معها، وإذا كان هذا الطبع هو اللؤم يجب على الآخرين أن يحذروا من هذا الشخص، ويتعاملوا معه بطريقة تجنّبهم شرّه، وأذاه، فكما قال الشاعر

أبو الطيب المتنبي : "إن أنت أكرمتَ الكريمَ ملكتهُ .. .. وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمردا"، وهنالك طريقتين للتعامل مع هذه النوعية من الأشخاص، وهما الاستيعاب، وتعتمد هذه الطريقة على المحاولة قدر المستطاع لاستيعاب هذا الشخص، واحتوائه، ويكون ذلك من خلال الحديث معه وجعله يعبر عما يجول في خاطره من أفكار، ومشاعر براحة تامة، وفهمها، وفهم طريقة تفكيره، ونفسيته، ومحاولة تغييره إلى الأفضل اتقاء الشر، ويجب اتباع هذه الطريقة في حال الاضطرار للتعامل مع هؤلاء الأشخاص، بحيث يتمّ التعامل معهم بجفاء، والتزام الحيطة، والحذر أثناء التعامل معهم، وعدم إتاحة أي فرصة لهذا الشخص بالتدخل في أي من الشؤون الخاصّة، وتخويفه في حال قيامه باعتراض طريقه.

في هذه المشاركة سوف نتذاكر معنى اللؤم، وبعض صفات اللئيم كي نتجنبها، ونحذر غيرنا منها ، ولربّ شخص متلبس بصفة منها، وهو لا يشعر ، وقد أدلى، ولم يزل كثير من العلماء، والفضلاء بدلوهم، من الذين استفدت منهم كثيرًا في هذا الباب كصاحب كتاب اللئام، والكرام، وما نثر في بطون أسفار الأخلاق، وتزكية النفوس، والأدب.

وفي البداية لنقف وقفة مع معنى اللؤم؟

قيل في أقرب معانيه أنه ضد الكرم، والنزاهة، والشرف، والفضل.

واللئيم قيل: أنه الدنيء الأصل، الشحيح النفس، اللجوج، السيء الخلق، وإنما أردنا فيما نحن بصدده معرفة الشر لاتقاءه على حد قول الشاعر:

- عرفت الشر لا للشر، ولكن لتوقيه .. ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه.

وسأورد عشرة من هذه الصفات الذميمة من صفات اللئام، ولم أقصد حصرها، وإنما ذكر أبرزها متبوعة بشاهد مما تسنى لي الوقوف عليه:

١ – عدم ائتمانه على السر:

قال ذو النون: "ومن أفشى السر عند الغضب فهو لئيم".

وقيل:

- لايحفظ السر إلا كل ذي كرمٍ .. والسر عند لئام الناس مبذولُ.

٢ – ملاحظة العيوب، والشماتة بالناس:

وجاء عند النسائي قول النبي صلى الله عليه وسلم:"استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرًا ستره، وإن رأى شرًا أظهره".

وقال ابن المبارك : "المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات".

وقال ابن الصيفي: "لا يفرح بنكبة إنسان إلا مَن لؤُمَ أصله".

وقال الشاعر:

- إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ .. كلاكله أناخَ بآخرين.

- فقل للشامتينَ بنا أفيقوا .. سيلقى الشامتون كما لقين.

٣ – المماطلة، وخُلف الوعد:

ورويَ عن الأصمعي: "عدة الكريم نقد، وتعجيل ، وعدة اللئيم مُطلٌ، وتسويف".

وقيل في خلف الوعد:

- إنّ الوفاء على الكريم فريضة .. واللؤم مقرون بذي الإخلافِ.

وهو من صفات المنافق كما ورد ذلك في الحديث: " إذا وعد أخلف.... ".

٤ – الحسد:

قال بن تيمية: "إنّ الحسد مرض من أمراض النفوس، وهو مرض غالب، فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ماخلا جسد من حسد ، لكن اللئيم يبديه، والكريم يُخفيه".

وقال بن سيرين: "الحسد من أخلاق اللئام، وتركه من أفعال الكرام".

وقال الشافعي: "الحسد إنما يكون من لؤم العنصر".

٥ – بذاءة اللسان، والسب:

جاء في السلسلة الصحيحة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء".

وقال محمد الباقر: "سلاح اللئام قبح الكلام".

٦ – إنكار المعروف:

قال أبو الطيب المتنبي في إحدى روائعه:

– إذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكتهُ .. وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمردا.

وقد صنف أبو موسى المديني كتابًا اسماه: "تضييع العمر في اصطناع المعروف إلى اللئام"!

وقال بن القيم في عدة الصابرين: "والكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه، وإنما يفعل هذا لئام الناس".

وجاء في حلية الأولياء عن سفيان: "وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام".

ومن الأمثال السائرة: "استوحش من جوع الكريم، ومن شبع اللئيم".

قال الشاعر:

– متى تضع الكرامة في لئيمٍ .. فإنك قد أسأت إلى الكرامة.

٧ – التسلط على الضعيف:

ومما قال ذو النون: "التسلط على الضعيف لؤم ، والتوثب على القوي شؤم".

وقيل لكسرى: ما اللؤم؟ قال: "الاستقصاء على الضعيف، والتجاوز عن الشديد".

٨ – عدم المسامحة، وقبول العذر:

جاء في الأمثال: "أذل الناس معتذر إلى لئيم"!

وقال الشافعي: "من استرضى فلم يرضَ فهو لئيم".

وقال الوراق: "اللئيم لا يوفّق للعفو من ضيق صدره".

٩ – قلة المروءة، والتطفل:

قال عمر بن الخطاب: "ما وجدت لئيمًا قط إلا قليل المروءة".

وذكر الجاحظ: من اللؤم التطفل، وهو التعرض للطعام من غير أن يُدعى إليه.

١٠ – البخل، والمنّ بالعطية:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وإنما يستخرج بالنذر من البخيل" رواه مسلم.

وفي رواية ابن ماجه "من اللئيم".

وذكر بن قتيبة في أدب الكاتب: "يُقال كل لئيم بخيل، وليس كل بخيل لئيم"!

وجاء في غابر الحكم: "استقلل كثير ما تعطي، واستكثر قليل ما تأخذ".

وقال الشاعر:

– أفسدتَّ بالمَنّ ما أسديتَ من حسنٍ .. ليس الكريم إذا أسدى بمنانِ

فمن كانت تتخلله بعض تلك الصفات، فليحاول جهده تغييرها، فإن الطبع مع بذل الأسباب يتغير، وهذا أمر مشاهد، ومختبر، ومن هذه الأسباب:

– الدعاء.

– عدم مخالطة أهل هذه الصفات.

– مجالسة أصحاب الأخلاق الفاضلة.

– مجاهدة النفس، وإرغامها على الفضائل دون ملل، فبالتدرج تصل لمنازل الفضائل، ومعاليه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يُعطه، ومن يتوقَّ الشر يوقه" السلسلة الصحيحة.

يُوصَف اللَّئيم بصفات سيِّئةٍ منها الظُّلم للضَّعيف، وقِلَّة المروءة، والكِبْر، والخيانة، وغيرها مِن الصِّفات التي لا تليق بالكريم، قال الجاحظ: "ومِن صفة اللَّئيم: أن يظلم الضَّعيف، ويظلم نفسه للقوي،

ويقتل الصَّريع، ويجهز على الجريح، ويطلب الهارب، ويهرب من الطَّالب، ولا يطلب مِن الطَّوائل إلَّا ما لا خِطار فيه، ولا يتكبَّر إلَّا حيث لا ترجع مضرَّته عليه، ولا يقفو التَّقيَّة، ولا المروءة، ولا يعمل على حقيقته.

ومَن اختار أن يبغي تبدَّى، ومَن أراد أن يسمع قوله ساء خُلُقه، إذ كان لا يحفل ببُغْضِ النَّاس له، ووحشة قلوبهم منه، واحتيالهم في مباعدته، وقلَّة ملابسته.

وليس يأمن اللَّئيم على إتيان جميع ما اشتمل عليه اسم اللُّؤْم إلَّا حاسد.

فإذا رأيته يعقُّ أباه، ويحسد أخاه، ويظلم الضَّعيف، ويستخفُّ بالأديب، فلا تبعده مِن الخيانة، إذ كانت الخيانة لُؤْمًا، ولا مِن الكذب، إذ كان الكذب لُؤْمًا، ولا مِن النَّمِيمَة، إذ كانت النَّمِيمَة لُؤْمًا، ولا تأمنه على الكفر، فإنَّه أَلْأَم اللُّؤْم، وأقبح الغدر.

ومَن رأيته منصرفًا عن بعض اللُّؤْم، وتاركًا لبعض القبيح، فإيَّاك أن توجِّه ذلك منه على التجنُّب له، والرَّغبة عنه، والإيثار لخلافه، ولكن على أنَّه لا يشتهيه، أو لا يقدر عليه، أو يخاف مِن مرارة العاقبة أمرًا يعفي على حلاوة العاجل؛ لأنَّ اللُّؤْم كلَّه أصلٌ واحدٌ، وإن تفرَّقت فروعه، وجنسٌ واحدٌ، وإن اختلفت صوره، والفعل محمول على غلبته، تابع لسَمْتِه. والشَّكل ذاهب على شكله، منقطعٌ إلى أصله، صائرٌ إليه، وإن

أبطأ عنه، ونازِع إليه، وإن حيل دونه. وكذلك تناسب الكرم، وحنين بعضه لبعض".

وقال أبو حاتم: "الكريم مَن أعطاه، شَكَرَهُ. ومَن منعه، عَذَرَه. ومَن قطعه، وَصَلَه. ومَن وصله، فضله. ومَن سأله، أعطاه. ومَن لم يسأله، ابتدأه. وإذا استضعف أحدًا، رَحِمَه. وإذا استضعفه أحد رأى الموت أكرم له منه، واللَّئيم بضدِّ ما وصفنا مِن الخصال كلِّها".

الكرم فضيلة، وأخلاق

بذل المال، أو الطعام، أو أي نفع مشروع، عن طيب نفس، والكرم ضد البخل، وهو من أشرف الخصال، والسجايا، وأعزّ المواهب، وأخلد المآثر. وناهيك في فضله أنّ كل نفيس جليل يوصف بالكرم، ويُعزى إليه، ولذلك أشاد أهلُ البيت (عليهم السّلام) بالكرم، والكرماء، ونوّهوا عنهما أبلغ تنويه.

لا يرى المجتمعُ السعادةَ، ولا يتذوق حلاوة الطمانينة، والسلام، ومفاهيم الراحة والرخاء، إلاّ باستشعار أفراده روح التعاطف، والتراحم، وتبادل المشاعر، والأحاسيس، في السرّاء، والضرّاء، وبذلك يصير المجتمعُ كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضًا، ومن مصاديق هذا التعاطف، والذي هو أسماها، وأخلدها، عطف المؤسرين وجودهم على البؤساء، والمعوزين، بما يخفّف عنهم آلام الفاقة، ولوعة الحرمان، وبتحقّق هذا المبدأ الإنساني النبيل . مبدأ التعاطف، والتراحم، يستشعر المعوزون إزاء ذوي العطف عليهم، والمحسنيين إليهم، مشاعرَ الصفاء، والوئام والودّ، مما يسعد المجتمع، ويشيع فيه التجاوب، والتلاحم، والرخاء، وبإغفاله يشقى المجتمع، وتسوده نوازع الحسد، والحقد، والبغضاء، والكبد، فينفجر عن ثورة عارمة ماحقة، تزهق فيها النفوس، وتمحق فيها الأموال، وتهدّد الكرامات.

ومن ذلك دعت الشريعة الإسلامية إلى السخاء، والبذل، والعطف على البؤساء والمحرومين، واستنكرت على المجتمع أن يراهم يتضورون سَغَبًا، وحرمانًا، دون أن يتحسس بمشاعرهم، وينبري لنجدتهم، وإغاثتهم، واعتبرت المؤسرين القادرين، والمتقاعسين عن إسعافهم أبعد الناس عن الإسلام، وقد قال الرسولُ الأعظم (صلّى الله عليه وآله): "مَنْ أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم" [أخلاق أهل البيت عليهم السّلام: ٧٣، عن الكافي].

وإنما حرّض الإسلامُ أتباعه على السخاء؛ ليكونوا مثلًا عاليا في تعاطفهم، ولينعموا بحياة كريمة، وتعايش سلمي؛ ولأن الكرم صمّام أمن المجتمع، وضمان صفائه، وازدهاره.

تختلف فضيلة الكرم باختلاف مواطنه، ومجالاته، فأسمى فضائل الكرم أشرف بواعثه، ومجالاته، ما كان استجابه للأوامر الإلهية، كالزكاة، والخمس، ونحوهما، هذا هو مقياس الكرم، والسخاء في عرف الشريعة الإسلامية، كما قال الرسول (صلّى الله عليه وآله): "مَنْ أدّى ما افترض الله عليه، فهو أسخى الناس" [الوافي: ٦/٦١، عن الكافي، والفقيه].

وأفضلُ مصاديق الكرم، والسخاء بعد ذلك: عيال الرجل، وأهل بيته، فإنهم فضلًا عن وجوب الإنفاق عليهم وضرورته شرعًا، وعرفًا، أولى بالمعروف، والإحسان، وأحقّ بالرعاية، واللطف.

وقد يشذّ البعض، فيغدقون نوالهم، وسخائهم على الأباعد، والغرباء، طلبًا للسمعة، والمباهاة، ويشحّون على أهلهم، وعوائلهم، وذلك من لؤم النفس، وغباء الوعي، لذلك أوصى أهلُ البيت (عليهم السّلام) بالعطف على العيال، والترفيه عنهم بمقتضيات العيش، ولوازم الحياة.

والأرحام بعد هذا، وذاك أحقّ الناس بالبرّ، وأحراهم بالصلة، والنوال، لأواصرهم الرحمية، وتساندهم في الشدائد، والأزمات، ومن الخطأ الفاضح حرمانهم من تلك العواطف، وإسباغها على الأباعد، والغرباء. وهكذا يجدر بالكريم تقديم الأقرب الأفضل من مستحقي الصلة، والعطاء، كالأصدقاء، والجيران، وذوي الفضل، والصلاح، فإنهم أولى من غيرهم بذلك.

وتختلف بواعثُ الكرم باختلاف الكرماء، ودواعي أريحيتهم، فاسمى البواعث غاية، وأحمدها عاقبة، ما كان في سبيل الله تعالى، وابتغاء مرضاته، وكسب ثوابه.

وقد يكون الباعث رغبة في الثناء، وكسب المحامد، والأمجاد، وهنا يغدو الكريم تاجرًا مساومًا بأريحيته، وسخائه.

وقد يكون الباعث رغبة في نفع مأمول، أو رهبة من ضرر مخوف، يحفزان على التكرم، والإحسان.

وقد يكون الباعث الحُبّ؛ لأن الحُبّ يلعب دورًا كبيرًا في بعث المُحبّ، وتشجيعه على السخاء، استمالة لمحبوبة، واستدرارًا لعطفه.

والجدير بالذكر أن الكرم لا يُجمِل وقعه، ولا تحلو ثماره، إلاّ إذا تنزّه عن المَنّ، وصفى من شوائب التسويف، والمطل، وخلا من مظاهر التضخم، والتنويه، كما قال الإمام الصادق (عليه السّلام): "رأيتُ المعروف لا يصلح إلاّ بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإنّك إذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تمّمته، وإذا عجّلته هنّيته، وإن كان غير ذلك محقته، ونكدته" [البحار: ١١٦/١٦، عن علل الشرائع للصدوق.

الكرم (الذي يطلق عليه كذلك اسم السخاء، أو السعة) هو عادة بالمنح بدون توقع أي شيء في المقابل. ويمكن أن يشتمل ذلك على توفير الوقت، أو الأصول، أو المهارات لمساعدة المحتاجين. والكرم، والذي غالبًا ما يساوي الخيرية كفضيلة، مقبول بصفة كبيرة في المجتمع كسمة مرغوب فيها.

وفي أوقات الكوارث الطبيعية، يتم توفير جهود الإغاثة بشكل دائم، تطوعيًا، من خلال الأفراد، أو المجموعات التي تعمل من جانب واحد من خلال توفير الوقت، والموارد، والسلع، والأموال، وما إلى ذلك.

ويعد الكرم مبدأ توجيهيًا للعديد من المنظمات الخيرية، والمؤسسات، والمنظمات غير الربحية المسجلة.

ويمكن أن تمثل الكرامة إنفاق الوقت، أو الأموال، أو العمالة على الآخرين بدون الحصول على مقابل.

ورغم أن مصطلح الكرامة غالبًا ما يستخدم في السياق الخيري، يتطلب العديد من الأشخاص في أعين الجمهور الحصول على التقدير مقابل أعمالهم الخيرة. وتكون هناك حاجة إلى التبرعات لدعم المنظمات، والمجتمعات، ومع ذلك، يجب ألا يتم قصر الكرم على أوقات الحاجة الكبرى، مثل: الكوارث الطبيعية، والمواقف الخطيرة للغاية.

ولا تعتمد الكرامة فقط على الحالة الاقتصادية، ولكن، بدلًا من ذلك، فإنها تشتمل على نوايا الفرد النقية للبحث عن صالح المجتمع، والإعطاء من القلب. يجب أن تعكس الكرامة شغف الفرد لمساعدة الآخرين. في البوذية، يعد الكرم واحدًا من عوامل الكمال العشرة، وهو ترياق للسم الذي يطلق عليه الجشع الذي يتم اختياره بشكل ذاتي.

وفي الإسلام، ينص القرآن على أن ما نعطيه كرمًا، بغرض إرضاء الإله، فإن الله سوف يبدله لنا. فالله يعرف ما يدور في قلب البشر. فالله تعالي يقول في محكم آياته: "قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاء مِنْ

عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ. وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ". (سورة سبأ: الآية ٣٩)

وكلمة "الكرم (generosity)" الإنجليزية المعاصرة مشتقة من الكلمة اللاتينية generōsus، والتي تعني "نبيل المولد"، والتي تم تمريرها في حد ذاتها إلى اللغة الإنجليزية عبر الكلمة الإنجليزية القديمة generous. وجذر الكلمة اللاتينية gener – هو الجذر المصرف من كلمة genus، مما يجعل "kin" أو "clan" أو "race" أو "stock"، حيث يعني الجذر الهندي الأوروبي لكلمة gen "الإنشاء". ويعطينا نفس الجذر الكلمات genesis وgentry وgender وgenital وgentile وgenealogy وgenius، بالإضافة إلى غير ذلك.

وتعكس أغلب الاستخدامات المسجلة باللغة الإنجليزية للكلمة "generous" حتى، وأثناء القرن السادس عشر شعورًا أرستقراطيًا للكون من سلالة نبيلة، أو من أسرة عريقة. ولقد كان الكرم يعني، بشكل حرفي، طريقة للالتزام بالنبالة. ومع ذلك، في غضون القرن السابع عشر، بدأ معنى، واستخدام الكلمة في التغير.

وقد أصبحت كلمة الكرم لا تشير بشكل متزايد إلى الإرث العائلي فقط، بل إلى نبل الروح رغم ارتباطها بالإشارة إلى الأسرة العريقة، أي تنطوي على العديد من السمات المحبوبة التي يمكن أن تتنوع الآن من شخص إلى آخر، ولا تعتمد على تاريخ العائلة، ولكن على امتلاك

الشخص فعليًا لتلك السمات. وبتلك الطريقة، كانت كلمة الكرم في القرن السابع عشر تشير بشكل متزايد إلى مجموعة من السمات الشخصية، والإجراءات المقترنة بشكل تاريخ بمثاليات النبل الفعلية (سواء بشكل دقيق، أو لا)، والتي تتمثل فيما يلي: البسالة، والشجاعة، والقوة، والغنى، والدماثة، والعدل.

وبالإضافة إلى وصف هذه السمات البشرية المتنوعة، فقد استخدمت كلمة "generous" خلال تلك الفترة للإشارة إلى الأرض الخصبة، وقوة الحيوانات التي تتم تربيتها، ووفرة الأطعمة، وحيوية الألوان، وقوة المشروبات، وفاعلية الطب.

ثم، خلال القرن الثامن عشر، استمر تطوير معنى كلمة "الكرم" في اتجاهات تشير إلى المعنى الأكثر خصوصية، والمعاصر للسخاء، والكرم، والحرية فيما يتعلق بمنح الأموال، والممتلكات للآخرين. وقد أصبح هذا المعنى الأكثر تحديدًا يشير إلى استخدام الكلمة الإنجليزية بحلول القرن التاسع عشر. وخلال القرون الخمسة الأخيرة في العالم الناطق باللغة الإنجليزية، تطورت الكلمة التي معناه الكرم "generosity" من كونها وصف للحالة المنسوبة المتعلقة بالنبل إلى كونها علامة إنجاز للجودة الشخصية المرغوب فيها، والإجراء الذي يمكن تنفيذه نظريًا من خلال أي شخص تعلم الفضيلة، والسمات النبيلة (سميث ٢٠٠٩).

الكرم: هو صفة أصيلة في النفس الإنسانية، ومعناها الإعطاء الإنفاق، وطيب النفس، وهو ضد اللؤم، والنذالة.

- زينة الغني الكرم، وزينة الفقير القناعة، وزينة المرأة العفة.

- العازفون على الكمان، والكلاب، والذئاب يفدون إلى الولائم بدون دعوة. ما تتخلى عنه، وتتركه هو لك، وما تخبئه، وتتحفظ عليه يذهب لغيرك.

- ليس الجود أن تعطيني ما أنا أشدّ منك حاجة إليه، وإنّما الجود أن تعطيني ما أنت أشدّ إليه حاجة مني. الكريم يحس نفسه غنيًا دائمًا.

- احذرو صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع.

- إنّ السمع نوع من الكرم...استضافة رأي الآخرين...إن حسن التلقي فن.

- إنّ من الحق على الدولة أن تعلم البخلاء كيف يكون الكرم، والجود بسلطان القانون، إذا لم يصدر عن يقظة الضمائر، وحياة النفوس.

- ظنوا أن النبي لا يحزن، كما ظن قومٌ أن الشجاع لا يخاف، ولا يحب الحياة، وأن الكريم لا يعرف قيمة المال...ولكن القلب

الذي لا يعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم، والقلب الذي لا يخاف لا فضل له في الشجاعة، والقلب الذي لا يحزن لا فضل له في الصبر.

- إنما الفضل في الحزن، والغلبة عليه، وفي الخوف، والسمو عليه، وفي معرفة المال، والإيثار عليه. (في العالم العربي تعيش، كما دمعة في عيون الكريم المحنة تطردها يرجعها الكرم في العالم العربي تعيش تلميذ في حوش المدرسة من غير فطار عينه على الشارع، وبيحيي العلم في العالم العربي تعيش، بتبص في الساعة وخايف نشرة الأخبار تفوت علشان تشوف على الشاشة ناس في العالم العربي تموت).

- ما أنبل الكرم حين يأتي من فقير معدم لا يملك من قوت يومه ما يسد به الرمق، وما أفظع الجشع حين يصدر من غني ميسور إن وُهِب ما على الأرض من ذهب لطمع في كنوز السماء، ولما تنازل لسواه عن حبة خردل.

- الكرم الحقيقي هو أن تفعل فعلًا محمودًا لشخص لن يعرف أبدًا بما فعلته. الكرم قوتنا، حتى لو لم يكن الحب كذلك.

- إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق. تنازل الكثيرون عن الكرم من أجل الإحسان.

– فلنحاول تعليم الكرم، والإيثار، فنحن نولد أنانيين.

– ومن كانَ ذا جُودٍ وليس بمكثرٍ.

فليس بمَحْسوبٍ من الكُرَماءِ.

– رأيْتُ سخيَّ النفسِ يأتيهِ رِزقهُ.

هنيئًا، ولا يُعطي على الحرصِ جاشعُ.

– وكلُّ حريصٍ لن يجاوزَ رزقه.

وكم من موَّفى رزقهُ، وهو وادعُ.

– إنّ الكريمَ ليُخفي عنكَ عسرتهُ.

حتى تَراهُ غنيًا، وهو مَجْهودُ.

– وللبخيلِ على أموالهِ عللٌ..زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودُ.

– ليس جودُ الفتيانِ من فضلِ مالٍ.

إنّما الجودُ للمقلِّ المواسي.

– إنّ السخاءَ شيمةٌ كريمة.

شريفةٌ أكرم بها من شيمة فضيلةٌ تنشرُ في الآفاقِ.

– عنكَ لسانَ الشكرِ بانطلاق لا سترَ للعيوبِ كالسخاءِ.

وعيب ذي اللؤمِ بلا غطاءِ.

– كلُّ السيادةِ في السخاءِ، ولن ترى.

ذا البخلِ يُدعى في العشيرةِ سيدًا.

– السخاء، والكرم يغطيان عيوب الدنيا، والآخرة.

– أعطني، ولا تذكر ما أعطيت.

– الجود من الموجود.

– الكرماء ينقصهم المال، والأغنياء ينقصهم الكرم.

– الكرم أثناء الحياة مختلف جدًا عن الكرم في ساعة الموت، ينشأ واحد من التسامح الأصيل، والخير، بينما ينشأ الآخر من الغرور، أو الخوف.

يكمن الكرم الحقيقي تجاه المستقبل في إعطاء الحاضر بأكمله.

– لا تُظهر الأفعال دومًا معدن الرجال، فمن يقوم بعمل كريم ليس شرطًا أن يكون كريمًا.

- الكرم الحقيقي: هو أن تقوم بشيء لطيف لشخص لن يكتشف ذلك أبدًا.

- الرحمة أعمق من الحب، وأصفى، وأطهر، فيها الحب، وفيها التضحية، وفيها إنكار الذات، وفيها التسامح، وفيها العطف، وفيها العفو، وفيها الكرم، وكلنا قادرون على الحب بحكم الجبلة البشرية، وقليل منا هم القادرون على الرحمة.

- الصدق، والإخلاص، البساطة، والتواضع، والكرم، وغياب الغرور، والقدرة على خدمة الآخرين – وهي صفات في متناول كل نفس – هي الأسس الحقيقية لحياتنا الروحية. أن من الحق على الدولة ان تُعلّم البخلاء كيف يكون الكرم، والجود بسلطان القانون إذا لم يصدر عن يقظة الضمائر، وحياة النفوس.

- من إمارات الكرم الرحمة، ومن إمارات اللؤم القسوة. الصراحة، والكرم، إذا لم يصحبهما الاعتدال فإنهما يؤدّيان بصاحبهما للخراب.

- الكرم: هو أن تعطي ما أنت بحاجة إليه فعلًا.

- الكرم: أن تكون للبذل فيما لا يتحدث عنه الناس أسرع منك للبذل فيما يشتهر أمره بينهم. إنّ الكرم بالوعود هو أتفه أنواع الكرم، وأقلها عناء، وكلفة.

- الحياة في أمريكا مثل الفاكهة الأمريكية... مغرية، وبراقة من الخارج لكنها بلا طعم...دكتور كرم دوس.

- لا تسامح، لا أخلاق، لا كرم...كن ذئبًا بين الذئاب.

- من كرم الحب لم أحصل سوى على عناقيد الدموع.

- العالم مكون من الكرم، والدناءة معًا، لذلك يستحيل أن نطلب الإجماع، وإلّا كنّا واهمين.

دراسة علمية حديثة تكشف عن وصلة عصبية بين مناطق الدماغ التى يجري تفعيلها عندما يمارس أحد الأفراد سلوك الكرم، ومنطقة الدماغ المسؤولة عن الشعور بالسعادة.

تمنحنا تقنيات تصوير الدماغ صورًا عن مجريات النشاط بداخلها تستند إلى قياس زيادة تدفُّق الدم في باحات معينة فيها.

الناس غالبًا ما يكونون أسخياء، على الرغم مما قد يترتب على هذا السلوك من تكلفة مادية، ولعل السبب وراء ذلك كما يبرهن لنا العلم

الحديث، هو أنهم يشعورن بالسعادة كلما أتوا فعلًا، أو تصرفًا كان عنوانه الكرم، والسخاء.

هذا ما ما انتهت إليه دراسة منشورة في دورية نيتشر كومينوكيشين، الأسبوع الماضي، فوفق فريق من الباحثين بجامعة زيورخ الألمانية، هناك وصلة عصبية بين مناطق الدماغ التى يجري تفعيلها عندما يمارس أحد الأفراد سلوك الكرم، وتلك المنطقة المسؤولة عن الشعور بالسعادة.

وتقدِّر المجتمعات، والثقافات سلوك الكرم، ولكن، ولأنه يدفع صاحبه إلى استثمار موارده الخاصة دون مقابل مادي، كان من الصعب تفسيره باستخدام المنطق الاقتصادي المتعارف عليه، كما هو الحال فيما يتعلق بالتبادلات المادية بين البشر.

ومع ذلك، اقترحت عدد من الأبحاث العلمية أن الدافع وراء سلوك الكرم هو ما يرتبط به من زيادة الشعور بالسعادة لدى أصحابه، ما يعزِّز رغبتهم في مزيد من الكرم، والعطاء.

تقول سويونغ بارك – الباحثة في جامعة زيورخ – في تعليقها على نتائج الدراسة لـ«للعلم»: "هناك العديد من الدراسات السلوكية التي توصلت إلى أن سلوك الكرم يؤدي إلى الشعور بالسعادة، ولكن لم يكن واضحًا لماذا، وكيف بالضبط ترتبط هاتان العمليتان داخل أجزاء الدماغ".

وللتحقيق في آليات الدماغ التي تربط سلوك الكرم بالسعادة، عملت بارك وفريق عملها، على تحليل نشاط الدماغ في ٥٠ مشاركًا قاموا بأداء مهمة إنفاق المال، إذ أُبلِغوا بأنهم سيحصلون على ٢٥ فرنكًا سويسريًّا (حوالي ٢٦ دولارًا أمريكيًّا) ينفقونها كل أسبوع، ولمدة أربعة أسابيع، لهذا الغرض البحثي.

أُبلِغ نصف المشاركين بأن هذه الأموال هي لأنفسهم، وطُولبوا أن يكتبوا كيف سينفقونها (على سبيل المثال، في شراء وجبة لأنفسهم)؛ في حين أُخبر النصف الآخر من المشاركين بأن الأموال ستُنفَق على شخص آخر، وطُلب منهم أن يكتبوا كيف سينفقونها (على سبيل المثال، دعوة صديق، أو شريك إلى العشاء).

وجد الباحثون أن المشاركين الذين التزموا بإنفاق أموالهم على الآخرين كان لديهم المزيد من النشاط في منطقة معينة من الدماغ مرتبطة بالشعور الشخصي بالسعادة. أخْذ كل نتائج الدراسة مجتمعة معًا بعين الاعتبار، يكشف لنا عن مناطق الدماغ التي تربط الالتزام الناجم عن سلوك الكرم (السخاء) مع شعور الأفراد الأسخياء (الكرماء) بالسعادة، وفق بارك.

تعهد المشاركون بإنفاق المال على مدى الأسابيع الأربعة التالية على آخرين (المجموعة التجريبية)، أو على أنفسهم (المجموعة الضابطة). بالمقارنة مع أفراد المجموعة الضابطة، اتخذ المشاركون في

المجموعة التجريبية خيارات أكثر كرمًا، وسخاءً في مهمة لصنع قرار مستقل عن القائمين على الدراسة، ظهرت خلاله زيادات أقوى في مستويات السعادة المبلَّغ عنها ذاتيًّا من قبلهم.

وللبرهنة على ذلك بالدليل العلمي، استخدم الباحثون في هذه الدراسة تقانة التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي functional magnetic resonance imaging وتُعرف اختصارًا بـfMRI، بالإضافة إلى تعهد المشاركين بسلوك مسلك الكرم في المستقبل، وذلك للتحقيق في آليات الدماغ التي تربط سلوك الكرم بارتفاع مستويات السعادة.

ويعطي التصوير الوظيفي بالرنين المغناطيسي صورًا عن نشاط الدماغ تستند إلى قياس زيادة تدفُّق الدم في باحات معينة من الدماغ، مما يساعد على دراسة البشر في أثناء خضوعهم لاختبار كيفية تحفيز ظواهر سلوكية معينة في الدماغ.

أظهرت نتائج الدراسة أن القرارات السخية أشركت منطقة الموصل الصدغي الجداري TPJ (temporo-parietal junction) بالدماغ في المجموعة التجريبية أكثر مما كانت عليه في المجموعة الضابطة، وعدلت بشكل أكبر الاتصال بين منطقة الصدغي الجداري، والمنطقة البطنية المخططة ventral striatum المسؤولة عن الشعور بالسعادة.

تعلق بارك على الأمر بقولها: "يبدو أن منطقة الموصل الصدغي الجداري تُرمِّز قرارات الكرم، والسخاء، وقد ارتبط ذلك بالزيادة في

مستويات الشعور بالسعادة، وما أثار انتباهنا هو أن المنطقة المسؤولة عن سلوك الكرم تغيرت مع ارتباطها بالمنطقة المسؤولة عن السعادة في الدماغ عند الإتيان بفعل الكرم"، مضيفةً أن هذا ما فسرناه عمليًّا بوجود وصلة عصبية بين المنطقتين تربط بين سلوك الكرم، وشعور السعادة. وشددت بارك على أن: "الأمر يرتبط بأشكال العطاء، والكرم كافة".

هذه النتائج تثبت أن السيطرة من المنطقة المعنية بالسعادة في الدماغ على النشاط في المنطقة المسؤولة عن سلوك الكرم تؤدي دورًا أساسيًّا في الربط بين سلوك الكرم، والإحساس بالسعادة. ببساطة، سلوك الأفراد مسلك الكرم ينشط ما يُعرف بمنطقة الإيثار في الدماغ، ويؤدي إلى تفاعُل مكثَّف بين مجال هذه المنطقة، والمنطقة المرتبطة بالسعادة، وفق قول فيليب توبلر – الباحث في قسم الاقتصاد بجامعة زيورخ – لموقع ساينس دايلي، والذي يشدد على أنه: "من الملحوظ أن النية وحدها تولِّد تغييرًا عصبيًّا حتى قبل تنفيذ سلوك الكرم فعليًّا".

وتستفيد المجتمعات البشرية من سلوكيات أعضائها الأسخياء، مثل التبرُّع للجمعيات الخيرية، أو التطوُّع، ولو مرةً واحدة في نشاط خيري. وعلى الرغم من أن السلوك السخي مكلف، إذ ينطوي على استثمار الموارد الخاصة بأحد الأفراد لمصلحة الآخرين، إلا أنه سلوك شائع. لهذه الأسباب، تفشل النظرية الاقتصادية في تفسير سلوك الكرم، بينما استطاع العلم أخيرًا تفسير الدوافع النفسية التي تقف وراءه لدى البشر.

وكان عدد من البحوث السابقة في مجال علم النفس قد اقترح أن الدافع المحتمل للسلوك السخي هو زيادة الشعور بالسعادة التي يرتبط بها، إلا أنها المرة الأولى التى ينجح العلماء في استخدام تقنيات تصوير الدماغ في البرهنة على صحة ذلك الطرح. على سبيل المثال، وجد دان، وفريقه البحثي في بحثهم المنشور عام ٢٠١٤ في دورية برسونالتي، وسوشيال سيكولوجي Personality and Social Psychology تحت عنوان "الإنفاق الاجتماعي، والشعور بالسعادة" أن إنفاق المال على الآخرين يُنبِئ بزيادة في الشعور بالسعادة. جرى تدعيم هذه النتائج بالدراسات التجريبية عبر الثقافات، والمراحل العمرية المختلفة، والتي أظهرت أن المشاركين الذين أنفقوا المال، (أو الحلويات) على الآخرين سجلوا مستويات أعلى من السعادة مقارنة بأولئك الذين أنفقوا المال، (أو الحلويات) على أنفسهم. وهذا يتماشى مع فكرة أن السلوك السخي الذى يتحرك مدفوعًا بالمشاعر الإيجابية، أو ما يطلق عليه اقتصاديًّا (التوهج الدافئ).

وظاهرة التوهج الدافئ هي ظاهرة اقتصادية وصفها جيمس أندريوني James Andreoni في عام ١٩٨٩، في محاولة لتفسير لماذا يعطي الناس أموالهم، ووقتهم للجمعيات الخيرية من خلال الانخراط في سلوك إيثاري، في مقابل ذلك الشعور العاطفي الإيجابي الذي يحصلون عليه عند مساعدة الآخرين.

وعلى الرغم من العلاقة الواضحة بين الدوافع التي تقف وراء هذا السلوك، والإتيان به، لكن لم يكن لدينا فهم للكيفية التي تربط النشاط العصبي في الدماغ بالكرم، والسعادة، وفق بارك.

ومن خلال التجارب، وجد الباحثون أن الناس الذين تصرفوا بكرم كانوا أكثر سعادةً من أولئك الذين تصرفوا بأنانية. ومع ذلك، فإن الزيادة في معدلات الإتيان بسلوك الكرم لا ترتبط بالضرورة بالزيادة في الشعور بالرضا، كما يقول فيليب توبلر: "لست بحاجة إلى أن تصبح شهيدًا للتضحية بالنفس كي تشعر بالسعادة، لكن القليل من الكرم سيكون كافيًا".

وفيما يتعلق بإذا ما كانت هناك أي خطوات أخرى تالية لهذه الدراسة، تقول بارك: "نعم بالفعل هناك الكثير من الخطوات التى نشرع في اتخاذها لاختبار أية طرق، ومتغيرات أخرى يمكنها أن تزيد من القرارات المتعلقة بسلوك الكرم".

الكرم :هو بذل المال، أو الطعام، أو غيره عن طيب نفس، وكرم دون بخل، والكرم من أفضل، وأشرف الخصال، وأعز المواهب، وكل نفيس جليل يوصف بالكرم ويعزى إليه، ولذلك أهل البيت (عليهم السلام) يوصفون بالكرم، والكرماء، وهنا في مقالي هذا جمعتُ لكم بعض من الأقوال عن الكرم:

- الكرم أثناء الحياة مختلف جدًا عن الكرم في ساعة الموت، ينشأ واحد من التسامح الأصيل، والخير، بينما ينشأ الآخر من الغرور، أو الخوف.

- الكرم: هو أن تعطي أكثر مما تستطيع، والغرور: هو أن تأخذ أقل مما تحتاج.

- ليس من الكرم أن تعطيني ما أحتاجه أكثر منك، وإنما الكرم أن تعطيني ما تحتاجه أكثر مني.

- البشرية: هي فضيلة المرأة، وسخاء الرجل.

- لم يدرك أي أحد حتى الآن ثروة العطف، واللطف، والكرم المخبأة في نفس الطفل... ينبغي أن يكون مسعى كل تعليم حقيقي فتح الكنز.

- غالباً ما يتم إبراز أداء المرء بتألق، وكرم الآخرين.

- الكرم الحقيقي: هو أن تقوم بشيء لطيف لشخص لن يكتشف ذلك أبدًا.

- يكمن الكرم الحقيقي تجاه المستقبل في إعطاء الحاضر بأكمله.

– لا يعلم الفقراء أن وظيفتهم في الحياة ممارسة كرمنا.

– السخاء، والكرم يغطيان عيوب الدنيا، والآخرة.

– تنازل الكثيرون عن الكرم من أجل الإحسان.

– أكرم الكرم حسن الخلق.

– الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعمل، والإخلاص، والأمانة، والكرم هذه الفضائل بمثابة الملائكة.

– إذا أنت أكرمت الكريم ملكته .

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا.

– احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع.

– لا تُظهر الأفعال دوما معدن الرجال، فمن يقوم بعمل كريم ليس شرطًا أن يكون كريمًا.

– زينة الغني الكرم، وزينة الفقير القناعة، وزينة المرأة العفة.

– العازفون على الكمان، والكلاب، والذئاب يفدون إلى الولائم بدون دعوة.

– ما تتخلى عنه، وتتركه هو لك، وما تخبئه، وتتحفظ عليه يذهب لغيرك.

– ليس الجود أن تعطيني ما أنا أشدّ منك حاجة إليه، وإنما الجود أن تعطيني ما أنت أشدّ إليه حاجة مني.

– الكريم يحس نفسه غنيا دائمًا.

– احذر وصوله للكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع.

– إن السمع نوع من الكرم.

– إن حسن التلقي فن.

– إن من الحق على الدولة أن تعلم البخلاء كيف يكون الكرم، والجود بسلطان القانون، إذا لم يصدر عن يقظة الضمائر، وحياة النفوس.

– ظنوا أن النبي لا يحزن، كما ظن قومٌ أن الشجاع لا يخاف، ولا يحب الحياة، وأن الكريم لا يعرف قيمة المال.

– ولكن القلب الذي لا يعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم، والقلب الذي لا يخاف لا فضل له في الشجاعة، والقلب الذي لا يحزن لا فضل له في الصبر.

- إنما الفضل في الحزن، والغلبة عليه، وفي الخوف، والسمو عليه، وفي معرفة المال، والإيثار عليه.

- ما أنبل الكرم حين يأتي من فقير معدم لا يملك من قوت يومه ما يسد به الرمق، وما أفظع الجشع حين يصدر من غني ميسور إن وُهِب ما على الأرض من ذهب لطمع في كنوز السماء ولما تنازل لسواه عن حبة خردل.

- الكرم الحقيقي: هو أن تفعل فعلًا محمودًا لشخص لن يعرف أبدًا بما فعلته. الكرم قوتنا، حتى لو لم يكن الحب كذلك.

- إن أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق. تنازل الكثيرون عن الكرم من أجل الإحسان.

- رأيْتُ سخيَّ النفسِ يأتيهِ رِزقهُ ...

هنيئًا، ولا يُعطى على الحرصِ جاشعُ.

- وكلُّ حريصٍ لن يجاوزَ رزقه ...

وكم من موَّفى رزقهُ وهو وادعُ.

- إِن الكريمَ ليُخفي عنكَ عسرتهُ ...

حتى تَراهُ غنيًا، وهو مَجْهودُ.

– وللبخيلِ على أموالهِ عللٌ ...

زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودُ.

– ليس جودُ الفتيانِ من فضلِ مالٍ.

إنما الجودُ للمقلِّ المواسي.

– إن السخاءَ شيمةٌ كريمة.

شريفةٌ أكرم بها من شيمة فضيلةٌ تنشرُ في الآفاقِ.

– عنكَ لسانَ الشكرِ بانطلاق لا سترَ للعيوبِ كالسخاءِ.

وعيب ذي اللؤمِ بلا غطاءِ.

– كلُّ السيادةِ في السخاءِ ولن ترى.

ذا البخلِ يُدعى في العشيرةِ سيدا.

– أعطني، ولا تذكر ما أعطيت.

– الجود من الموجود.

- يكمن الكرم الحقيقي تجاه المستقبل في إعطاء الحاضر بأكمله.

- لا تُظهر الأفعال دوما معدن الرجال، فمن يقوم بعمل كريم ليس شرطا أن يكون كريما.

- الكرم الحقيقي: هو أن تقوم بشيء لطيف لشخص لن يكتشف ذلك أبدًا.

- الرحمة أعمق من الحب، وأصفى وأطهر، فيها الحب، وفيها التضحية، وفيها إنكار الذات، وفيها التسامح، وفيها العطف، وفيها العفو، وفيها الكرم، وكلنا قادرون على الحب بحكم الجبلة البشرية، وقليل منا هم القادرون على الرحمة.

- الصدق، والإخلاص، البساطة، والتواضع، والكرم، وغياب الغرور، والقدرة على خدمة الآخرين (وهي صفات في متناول كل نفس (هي الأسس الحقيقية لحياتنا الروحية.

- إن من الحق على الدولة أن تُعلم البخلاء كيف يكون الكرم، والجود بسلطان القانون إذا لم يصدر عن يقظة الضمائر، وحياة النفوس.

- تنازل الكثيرون عن الكرم من أجل الإحسان.

- من إمارات الكرم الرحمة، ومن إمارات اللؤم القسوة.

- الصراحة، والكرم، إذا لم يصحبهما الاعتدال فإنهما يؤديان بصاحبهما للخراب.

- الكرم: هو أن تعطي ما أنت بحاجة إليه فعلًا.

- الكرم أن تكون للبذل فيما لا يتحدث عنه الناس أسرع منك للبذل فيما يشتهر أمره بينهم.

- إن الكرم بالوعود هو أتفه أنواع الكرم، وأقلها عناء، وكلفة.

- الحياة في أمريكا مثل الفاكهة الأمريكية. مغرية وبراقة من الخارج لكنها بلا طعم ... دكتور كرم دوس.

- لا تسامح، لا أخلاق، لا كرم. كن ذئبا بين الذئاب.

- من كرم الحب لم أحصل سوى على عناقيد الدموع.

- الكرم من الأخلاق العريقة التي ألفها منذ الأزل أصحاب النفوس العظيمة، فأكبدوها في تعاملاتهم، ومدحوا بها ساداتهم، وجعلوها دليل الرفعة، والفخار، وغاية المجد لما فيها من الإيثار، وعلو الهمم، والأقدار، وكانت عندهم نقيض اللؤم، والشنار، وفي فقدها كل مذمة، وعار، فالكرم عادة السادات،

وشيمة الأحرار، وعادة السادات سادات العادات، وشيمة الأحرار أحرار الشيم.

قال أحد الحكماء: أصل المحاسن كلها «الكرم»، وأصل الكرم: "نزاهة النفس عن الحرام، وسخاؤها بما تملك على الخاص، والعام، وجميع خصال الخير من فروعه".

ولقد كانت الشجاعة، والكرم من أبرز صفات المجتمع العربي الجاهلي، وظهر منهم في كل عصر، ومصر أقطاب اشتهرت بالكرم، وروى عنهم مواقف عظيمة في الجود، والسخاء، وكان من أبرزهم، وأشهرهم (حاتم الطائي) الذي كان مضرب المثل فيهم بالكرم.

ومما يؤثر عنه في ذلك ما ذكره التنوخي في المستجاد قال: إن رجلًا سأل حاتمًا الطائي، فقال: "يا حاتم، هل غلبك أحد في الكرم؟ قال: نعم، غلام يتيم، وذلك أني نزلت بفنائه، وكان له عشرة أرؤس من الغنم، فعمد إلى رأس فذبحه، وأصلح لحمه، وقدمه إليّ، وكان فيما قدم الدماغ، فقلت: طيب والله، فخرج من بين يدي، وجعل يذبح رأسًا بعد رأس، ويقدم الدماغ، وأنا لا أعلم، فلما رجعت لأرحل نظرت حول بيته دمًا عظيمًا، فإذا هو قد ذبح الغنم بأسرها، فقلت له: لم فعلت ذلك؟ قال: يا سبحان الله، تستطيب شيئًا أملكه، وأبخل عليك به، إن ذلك لسبه على العرب قبيحة، فقيل: يا حاتم، فبماذا عوضته؟ قال: بثلثمائة ناقة حمراء، وبخمسمائة رأس من الغنم، فقيل: أنت أكرم منه، قال:

هيهات، بل هو، والله أكرم؛ لأنه جاد بكل ما ملك، وأنا جدت بقليل من كثير".

ومن الأجواد المشاهير في الجاهلية أيضًا (عبد الله بن جدعان)، وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره، ووقع فيها صغير فغرق، وذكر ابن قتيبة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "لقد كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمَىٍّ" أي وقت الظهيرة. وذكروا أنه كان يطعم التمر، والسويق، ويسقى اللبن حتى سمع قول أميه بن أبى الصلت.

ولقد رأيت الفاعلين، وفعلهم فرأيت أكرمهم بني الديان.

البر يلبك بالشهاد طعامــهم لاما يعلـــــلنا بنو جدعان.

فأرسل ابن جدعان إلى الشام ألفي بعير تحمل البر، والشهد، والسمن، وجعل مناديًا ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة: أن هلموا إلى جفنة ابن جدعان، فقال أمية في ذلك

له داع بمكة مشـــــمعل وآخر فوق كعبتها ينادي.

إلى روح من الشيزي ملاء لباب البر يلبك بالشـهاد.

ولقد أحب العرب الكرم، واتخذوا له رموزًا، وإشارات، فكانت تسمى الكلب داعي الضمير، ومتمم النعم، ومشيد الذكر لما يجلب من

الأضياف بنباحه، وكانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح لم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالي الحي، وربطوها إلى العتمة لتستوحش فتنبح فتهدى الضلال، وتأتي الأضياف على نباحها.

ولقد كان الكرم العربي له عدة دوافع، وأسباب نستطيع أن نوجزها في النقاط الآتية:

فلقد كانت البيئة العربية صحراء قاحلة، وكان سكانها من البدو في ترحال مستمر، فرارًا من الجدب، وبحثًا عن موارد المياه، والكلأ. تلك البيئة جعلت العربي يدرك قيمة قرى الضيف، وإعانة المحتاج، ونصرة المظلوم، وغيرها من القيم النبيلة، فكان يتشبث بهذه القيم حتى تعم، وتنتشر ويعود إليه في النهاية خيرها، ويشمله أثرها.

حيث انتشرت في البيئة العربية صفة حب الفخر، والتباهي بخصال الكرم، والسخاء، وفعل الآباء، والأجداد، فأحب العربي أن يرتبط ذكره بما أحبه الناس من تلك الخلال، وكان الكرم أكثرها تأثيرًا في النفوس. كما كان للحرب، والنزاعات المستمرة بين القبائل دورًا في انتشار الكرم، وحرص العرب عليه، حيث كان من آثار الحروب انتشار الفقر، والبؤس في البلاد، فقل الغذاء، وعز الطعام، فأحسوا بالجوع ينبش أنيابه بين أحشائهم، ويكاد يفتك بهم، وبخاصة إذا كانوا مسافرين، أو عابري سبيل، فقدروا معنى الإنسانية الحقيقية، بتقديم ما يحفظ على الإنسان حياته، أو يسد رمقه، أو يروي غلته، ولذلك عظموا الكرم، وإطعام

الطعام، ووصفوا بالكرم عظماء القوم، وكان الكرم في مقدمه الفضائل التي يحب العربي أن يتحلى بها.

وخلاصة القول أن الكرم، وإن شاع في المجتمع العربي القديم قبيل الإسلام، إلا أنه ارتبط بمنافع دنيوية، وغايات نفعيه، ومطامع، ومكاسب مادية، ليس الدين، أو التدين واحدًا منها، لكن مع بزوغ شمس الإسلام احتلت القيم الإنسانية مكانة هامة في نظامه، وهيكله، واختلف الأمر بالنسبة للمسلم، فلقد تعلق برب رحيم يرضيه مكارم الأخلاق، ويغضبه كل دنيئة، واتضحت رسالة الإنسان الحقيقية على الأرض – ألا وهي عبادة رب العالمين – ثم حساب ثم إلى جنة، أو إلى نار، وكانت هذه القيم الإنسانية أحد الأركان الأساسية التي بها تقوم بها العبادة، والتي بها ينجو المسلم من نار تلظى، إلى جنة عرضها السماوات، والأرض أعدها الله للمتقين.

كان الكرم أحد هذه القيم النبيلة التي اهتم بها الإسلام، وأمر بها، فلقد عرف الله سبحانه، وتعالى نفسه لعبادة بأن الكرم اسم من أسمائه تعالى (الكريم)، وصفه من صفاته عز وجل؛ لأنه هو الذي انفرد بالملك، والغنى، وتوحد بالعظمة، والثناء والسنا، واختص بالجاه، والسلطان، فهو إذا عصى غفر، وإذا اطلع أمهل، وستر، وإذا وعد وفي، وإذا أوعد عفا، لا يضيع من لجأ إليه، ولا يثلم من توكل عليه، يداه مبسوطتان بالخيرات، وله خزائن الأرض، والسماوات، لا ينازع في قسمة رزقه، ولا يراجع في تدبير خلقه، فهو الكريم بالإطلاق، وكما أنه الكريم نادى عبادة بحب

الكرم، وبذل المال رضاء وجه، وابتغاء مرضاته، ونهاهم عن الشح، والبخل.

قال تعالى:

- "وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين" [آل عمران:١٣٣-١٣٤]

- "إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور" [فاطر:٦٧]

- "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم" [آل عمران:٩٢]

- "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبه أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" [البقرة:٢٦١]

- "وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنت لا تظلمون" [البقرة: ٢٧٢]

- "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى" [الليل:٥-١٠]

كما تعددت الأحاديث النبوية لهذه الأمة تدعوا المسلمين للبذل، والسخاء، وتبين لهم أنه طريق من طرق النجاة.

- فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الله تعالى جواد يجب الجود، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها" [الترمذي].

- وعن أبى هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا" [البخاري].

- وعن أبى ذر –رضي الله عنه– قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "ما من مسلم ينفق من كل مال له زوجين في سبيل الله إلا استقبلته حجبة الجنة كلهم يدعوه إلى ما عنده" [أحمد].

- وعن علي –رضي الله عنه– قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "إن في الجنة غرفًا يرى بطونها من ظهورها، وظهورها

من بطونها" فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: "هي لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل، والناس نيام" [الترمذي].

- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: "أن تصدق، وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان" [مسلم].

- "لا يجتمع شح، وإيمان في قلب عبد أبدًا" [صحيح الجامع: ٧٦١٦].

- "شر ما في رجل شح هالع، وجبن خالع" [أبو داود]، وفي حديث آخر: "اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم" [مسلم].

كما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعظم قدوة عملية للمسلمين في هذا الشأن فعن جوده، وكرمه حدث، ولا حرج:

فعن جابر -رضي الله عنه- قال: "ما سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن شيء قط، فقال: لا". [رواه البخاري في الأدب].

وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: "كان النبي –صلى الله عليه وسلم– أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس". [رواه البخاري]

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "كان النبي –صلى الله عليه وسلم– أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة في رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله – صلى الله عليه وسلم– أجود من الريح المرسلة". [البخاري].

وأتاه –رضي الله عنه– رجلا فسأله، فأعطاه غنمًا سدت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه، وقال: "أسلموا، فإن محمدًا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر".

كما أن منهج الإسلام بروعته أضاف للكرم آداب، وحدود، وضوابط، زادت طهارته طهارة، ورفعته رفعه، وبريقه بريقًا، نذكر من أهمها:

فالإخلاص، وهو أداء العمل ابتغاء رضا الله وحده، وليس لأي مأرب آخر، من مدح مادح، أو تحصيل منفعة دنيوية، ولقد شرطه الله شرطًا أساسيًا؛ لقبول العمل الصالح، قال تعالى: "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً" [الكهف:١١٠].

وحسبك بعمل خالطه الإخلاص، ولذلك كان كرم الأجواد من أهل الجاهلية ليس له وزن، ولا قيمة في الإسلام؛ لأنه لغير ابتغاء وجه الله

تعالى، بل كان دافعه منافع دنيوية، وغايات نفعية، ومطامع، ومكاسب مادية كما أشرنا من قبل.

ولقد ثبت في صحيح مسلم أن عائشة –رضي الله عنها– قالت: يا رسول الله، إن ابن جدعان كان يطعم الطعام، ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: "لا، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين".

ولما ذكر ابن كثير ترجمه (حاتم الطائي) في البداية، والنهاية، قال موضحًا موقف الإسلام من كرمه: كان جوادًا ممدوحًا في الجاهلية، وكذلك كان ابنه في الإسلام، وكانت لحاتم مآثر، وأمور عجيبة، وأخبار مستغربه في كرمه يطول ذكرها، ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله، والدار الآخرة، وإنما كان قصده السمعه، والذكر.

إن المؤمن إذا جاد فإن الإسلام علمه أن يجود لله، وفي ذلك يقول الشاعر:

– ليس يعطيك للرجاء، أو الخوف ––– ولكن يلذ طعم العطاء.

ويعتبر الإنفاق من طيب المال من أفضل ما يتميز الكرام الطيبون.

قال تعالى: "يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد" [البقرة٢٦٧].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل" [البخاري].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: "يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا..." وقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون" ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك" [مسلم].

فالمن بالعطاء، والأذى بعدة ليس من صفات المخلصين، بل هو إلى الرياء، والنفاق أقرب، قال تعالى: "الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم" [البقرة:٢٦٢-٢٦٣]

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا

يزكيهم ولهم عذاب أليم» قلت من هم يا رسول الله قد خابوا، وخسروا؟ فأعادها ثلاثاً. قلت: من هم خابوا وخسروا؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، أو الفاجر" [رواه مسلم].

فهذا يملأ نفس المعطى رحمة، ويملأ نفس المتلقي بشرًا، وأمنًا، وقد جاء في الحديث الصحيح:

"تبسمك في وجه أخيك صدقة" [رواه الترمذي].

فإننا لن نسع الناس بأموالنا، ولكن نسعهم بحسن الخلق.

لقد علم الإسلام أبناءه فضيلة الجود، والسخاء فجمعوا المال، وبذلوه ابتغاء رضا الله تعالى، وكانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم، ولسان حالهم في ذلك يقول: "المال وسيله وليس غاية".

روى عن سعيد بن المسيب إمام التابعين أنه كان يجعل على ظهره إهاب الشاه، وكان له مال يتجر فيه، ويقول: "اللهم إنك تعلم أني لم أمسكه بخلًا، ولا حرصا عليه، ولا محبه للدنيا، ونيل شهواتها، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان حتى ألقى الله فيحكم في، وفيهم، وأصل منه رحمي، وأؤدي منه الحقوق التي فيه، وأعود منه على الأرملة، والفقير، والمسكين، واليتيم، والجار".

وعن عمرو بن دينار قال: "ما رأيت أحد أنص للحديث من الزهري، ولا أهون من الدينار، والدرهم عنده، وما الدرهم، والدنانير عند الزهري إلا بمنزله البعر".

وكان طلق بن حبيب العنزي لا يخرج إلى صلاة إلا، ومعه شيء يتصدق به، وإن لم يجد إلا بصل، ويقول: قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة" [المجادلة:١٢] فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم، وأعظم.

امتزجت هذه المبادئ السامية بقلوب المسلمين، فصار منهم في الجود، والكرم، والسخاء قمم يتصاغر أمامها كرم حاتم الطائي، وعبد الله بن جدعان .. وأمثالهم. وكيف لا، وقد كان كرم المؤمنين لله تعالى وحده، فرفع الله به ذكرهم، وأعلى شأنهم.

ونحن نذكر طرفًا من جودهم نشحذ به الهمم الراكدة، ونتذكر مجد أبناء الإسلام.

- كان عبد الله بن عمر بن الخطاب –رضي الله عنهما– شديد السخاء، يقال أنه ما مات حتى أعتق ألف رقبة، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألف، وكانت تمضى عليه الأيام الكثيرة، والشهر لا يذوق فيه لحما إلا، وعلى يديه يتيم، وبعث إليه معاوية –رضي الله عنه– بمائه ألف لما أراد أن يبايع ليزيد فما حال عليه الحول وعنده منها شيء.

- دخل عبيد الله بن أبى بكرة على الحجاج مرة، وفي يده خاتم، فقال له الحجاج: "كم ختمت بخاتمك هذا؟ قال: على أربعين ألف ألف دينار. قال: ففيم أنفقتها؟ قال: في اصطناع المعروف، ورد الملهوف، والمكافأة بالصناع، وتزويج العقائل. وقيل إن عبيد الله عطش يوما، فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد، فأعطاها ثلاثين ألف. وقيل إنه أهدى إليه، وصيف، ووصيفه، وهو جالس بين أصحابه، فقال لبعض أصحابه: خذهما لك، ثم فكر وقال: إن إيثار بعض الجلساء على بعض لشح قبيح، ودناءة رديئة، ثم قال: يا غلام، ادفع إلى كل واحد من جلسائي، وصيفًا، ووصيفة، فأحصى ذلك فكانوا ثمانين وصيفًا، ووصيفة".

- وكان عبد الله بن جعفر من أسخا الناس، يعطى الجزيل الكثير، ويستقله، وقد تصدق مرة بألفي ألف، وأعطى مرة رجلًا ستين ألفا، ومرة أعطى رجلًا أربعة آلاف دينار، وقيل إن رجلًا جلب مرة سكرًا إلى المدينة فكسد عليه فلم يشتره أحد، فأمر ابن جعفر قيمة أن يشتريه، وأن يهديه للناس.

- رأى أسماء بن خارجه الفزاري يومًا شابًا على باب داره جالسًا، فسأله عن قعوده على بابه، فقال: حاجة لا أستطيع ذكرها. فألح عليه، فقال: جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها، وقد خطفت قلبي معها. فأخذ بيده، وأدخله داره، وعرض

عليه كل جاريه عنده حتى مرت تلك الجارية، فقال: هذه. فقال له: اخرج فاجلس على الباب مكانك، فخرج الشاب فجلس مكانة ثم خرج إليه بعد ساعة، والجارية معه قد ألبسها أنواع الحلي، وقال له: ما منعني أن أدفعها إليك، وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأختي، وكانت ضنينة بها، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف، وألبستها هذا الحلي، فهي لك بما عليها، فأخذها الشاب، وانصرف.

- وكان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون، ومن يعطيهم، فلما مات على بن الحسين [زين العابدين] فقدوا ذلك، فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به، ولما مات وجدوا في ظهره، وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل، والمساكين في الليل، وقيل إنه كان يعول مائه أهل بيت بالمدينة، ولا يدرون بذلك حتى مات، ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أسامة، فقال: ما يبكيك؟ قال: على دين. قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار. فقال: هي علي.

- أصاب يزيد بن المهلب –قائد المسلمين– في أحد فتوحاته أموالًا كثيرة، فكان من جملتها تاج فيه جواهر نفيسة، فقال أتدرون أحدًا يزهد في هذا؟ قالوا: لا نعلمه. فقال: والله إني لأعلم رجلًا لو عرض عليه هذا، وأمثاله لزهد فيه. ثم دعا

بمحمد بن واسع – وكان في الجيش مغازيا – فعرض عليه أخذ التاج. فقال: لا حاجة لي فيه. فقال: أقسمت عليك لتأخذنه. فأخذه، وخرج به من عنده، فأمر يزيد رجلًا أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج، فمر بسائل فطلب منه شيئًا فأعطاه التاج بكامله، وانصرف، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج، وعوضه عنه مالًا كثيرًا.

- قال الليث: "كان الزهري أسخى ما رأيت، يعطي كل من جاء يسأله حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف، وكان يطعم الناس الثريد، ويسقيهم العسل، وكان يستمر على شراب العسل كما يستمر أهل الشراب على شرابهم، ويقول اسقونا، وحدثونا".

وقضى عنه هشام مرة ثمانين ألف درهم، وعتب رجاء بن حيوه على الزهري في الإسراف، وكان يستدين، فقال: لا آمن أن يحبس هؤلاء القوم ما بأيديهم عنك، فتكون قد حملت على أمانيك. فوعده الزهري أن يقصر، فمر به بعد ذلك، وقد وضع الطعام، ونصب موائد العسل، فوقف به رجاء، وقال: يا أبا بكر، ما هذا الذي فارقتنا عليه. فقال له الزهري: "انزل فإن السخي لا تؤدبه التجارب".

له سحائب جود في أنامله ... أمطارها الفضة البيضاء، والذهب.
يقول في العسر إن أيسرت ثانية ... أقصرت عن بعض ما أعطى، وما أهب.
حتى إذا عاد أيام اليسار له ... رأيت أمواله في الناس تنتهب.

من الصفات المميزة لمن تأصلت فيه خصلة الكرم أنه لا يرد أحدًا يسأله .

- لا تعطي كلك إلى من يعطيك بعضه، ولا تعطي حتى بعضك إلى من لا يعطيك كله، فالبخل بالنفس لا يسلبها الكرم، بل يمنحها الكرامة..!

أربعة تزيد ماء الوجه:

- الوفاء بالعهد.
- الكرم.
- الكلام الطيب.
- وطاعة الله.

الكرم أثناء الحياة مختلف جدًا عن الكرم في ساعة الموت، ينشأ واحد من التسامح الأصيل، والخير، بينما ينشأ الآخر من الغرور أو الخوف.

- الكرم الحقيقي: هو أن تفعل فعلًا محمودًا لشخص لن يعرف أبدًا بما فعلته.

- الرحمة عاطفة إنسانية راقية مركبة، ففيها الحب، وفيها التضحية، وفيها إنكار الذات، وفيها التسامح، وفيها العطف، وفيها العفو، وفيها الكرم.

- قالوا عن الكرم : "فلا الجودُ يفني المالَ، والجدُّ مقبلٌ، ولا البخلُ يبقي المالَ، والجدُّ مدبرُ".

فالكريم يعُرف بشرف المنزلة.

قال بعض الحكماء: "أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفوس عن الحرام، وسخاؤها بما ملكتْ من الخاصِّ والعامِّ، وجميع خصال الخير، وفروعه".

- إذا جادتِ الدنيا عليكَ فجُدْ بها على الناسِ طرًا إنها تَتَقَلَّبُ.

- فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت، ولا البخلُ يُبْقيها إذا هي تَذْهَبُ.

- الكرم شيمة الفضلاء.

- زينة الغني الكرم، وزينة الفقير القناعة، وزينة المرأة العفة، والحياء... شكسبير.

- ثلاث من مكارم الأخلاق ما اجتمعت بأحد ألا أجمع الناس على حبه:

- الكرم، والكلمة الطيبة، والوجه البشوش.

- الشجاعة الداخلية للنفس تحثها على الكرم أما الشجاعة الخارجية تكسبها الشهامة.

- فالكريم، والشهم كلاهما في حاجة للشجاعة للتغلب علي نفسه.

- الصبر في نفس الإنسان هو العامل الذي يجعله يثبت على مواجهة نفسه في الداخل التي تجبن عن الكرم فتدعوه إلى البخل.

- الصبر خلق متفرع عن الشجاعة.

- الْبِشْرَ دال على الكرم.

- عندما يكون الكرم محصور في البطن، والشرف محصور في الأعضاء التناسلية يصبح لديك حالة اجتماعية محزنة.

- حفظ الرجل أخاه بعد وفاته في تركته كرم جعفر الصادق.

- أكرموا الخبز فإن الله أنزل له كرامة، وقيل له: "وما كرامته ؟ قال: أن لا يقطع، ولا يوطأ ، وإذا حضر لم ينتظر به سواه"؟ جعفر الصادق.

- "من كرم أصله حسن فعله". علي بن أبي طالب.

علمتني الحياة ألا أكون فاجراً

فالفاجر: هو المُفارِق، والمُنْشَقُّ عن طريق الحق، والصلاح، والفُجُورُ: هو المُفَارقة، والانشقاق ، ومنه قول الله عزَّ و جَلَّ : "وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ" سورة البقرة آية (٦٠).

فإنَّ معنى "فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً" هو انشقَّت ، وسُمِّيَ الفَجْرُ فَجْرًا لانشقاق الظُّلمة عن الضِّياء، وأصله المُفَارَقَة، ومنه تفجير الأنهار؛ لِمُفارَقَةِ الماء لأحد جانبي النهر.

و يُستعمل الفجور بمعنى البذاء، والفحش في القول، والبهت عند الخصومة، كما يُطْلَقُ الفُجُورُ أيضًا على الزِّنا.

يمكننا أن نلخص الفارق بين هذه الأوصاف الدينية، ونوضحه على الوجه الآتي:

الفسق: يغلب استعماله في كبائر الذنوب، كالسرقة، وأكل الربا، والزنا، ونحو ذلك.

وأما الفجور، فيغلب استعماله في كبائر الذنوب أيضا، ولكنه كثيرًا ما يخص إطلاقه على الإكثار من الكبائر، والاستهتار بها، والانطلاق فيها، أو بالكبائر الأشد شناعة، التي يستنكرها كل عاقل حتى لو لم يكن مسلما، كاللواط، وزنا المحارم، والبهتان، والتنكيل في القتل، واليمين الغموس، ونحو ذلك.

فالفجور أشنع من الفسق، والمعصية أقل منهما درجة.

يقول أبو هلال العسكري رحمه الله:

الفرق بين الفسق، والفجور:

أن الفسق: هو الخروج من طاعة الله بكبيرة.

والفجور: الانبعاث في المعاصي، والتوسع فيها، وأصله من قولك: (أَفْجَرتُ السَّكْر) إذا خرقتَ فيها خرقا واسعا، فانبعث الماء كل منبعث، فلا يقال لصاحب الصغيرة فاجر، كما لا يقال لمن خرق في السَّكر خرقا صغيرا أنه قد (فجر) السَّكْر [السكر: هو سد النهر] .

ثم كثر استعمال الفجور حتى خص بالزنا، واللواط، وما أشبه ذلك "انتهى من الفروق"(٢٣١).

ويقول أبو المكارم الخوارزمي (ت٦١٠هـ) رحمه الله:

"الفجور، والفسوق، والعصيان، كأن الفاجر يفتح معصيته، ويتسع فيها، وفي دعاء القنوت، ونترك من يفجرك، أي: يعصيك "انتهى من "المغرب في ترتيب المعرب" (ص: ٣٥١).

ما سبق لا يمنع إطلاق كل هذه الأوصاف: الفسق، الفجور، المعصية، على بعضها بعضا، فما سبق تقريره من الفارق بينهما إنما يكون عند اجتماع هذه الألفاظ مع بعضها ، أو عند إطلاقها، وإرادة تخصيصها بالاصطلاح السابق، ولكن عند إطلاقها مفترقة، يصح إرادة أي معنى من المعاني السابقة، فاللواط مثلا معصية، وكبيرة، وفجور، وهكذا قال أبو البقاء الكفوي رحمه الله: "الفاجر: يطلق على الكافر، والفاسق" انتهى من "الكليات" (ص/٦٩٣).

اللهم إلا أن صغائر الذنوب لا يطلق عليها . عادة . وصف الفسق، أو الفجور، فهذا الإطلاق علامة على كون الذنب من كبائر الذنوب كما يقول العلماء، ويراجع في ذلك كتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر" (٨/١).

وقد ورد قليلا إطلاق الفسق، والفجور على مطلق المعصية:

يقول أبو المكارم الخوارزمي (ت٦١٠هـ) رحمه الله:

" في دعاء القنوت (ونترك من يفجرك) أي يعصيك "انتهى من" المغرب في ترتيب المعرب " (ص: ٣٥١) ، وكذا قال العيني في "عمدة القاري" (٣٠٧/١٤).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" الفجور : اسم جامع لكل متجاهر بمعصية، أو كلام قبيح يدل السامع له على فجور قلب قائله "انتهى من "مجموع الفتاوى" (١٥/٢٨٦).

ويقول أبو البقاء الكفوي:

"الفسق في القرآن على وجوه – فعدها، وذكر منها – بمعنى السيئات، نحو: (ولا فسوق، ولا جدال في الحج)، وكله راجع في اللغة إلى الخروج. من قولهم: فسقت الرطبة عن القشر" انتهى من "الكليات" (ص/٦٩٣).

والخُلاصة:

أنه إذا اجتمعت هذه الأسماء فالأشنع هو: الفجور، ثم الفسق، ثم المعصية.

وإذا افترقت فيجوز إطلاق كل منها على الآخر.

إلا أن إطلاق الفجور، والفسق على مطلق المعصية؛ لتشمل أي صغيرة، أو سيئة: قليل غير شائع الاستعمال.

والله أعلم.

هذا الحديث يُروى عن الصحابي الجليل معاوية بن حيدة رضي الله عنه، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "أَتَرعُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ! اذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ كَي يَعْرِفَهُ النَّاسُ وَيَحْذَرَهُ النَّاسُ".

رواه ابن أبي الدنيا في "الغيبة" (رقم/٨٤)، والعقيلي في "الضعفاء" (٢٠٢/١)، وابن حبان في "المجروحين" (٢٢٠/١)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٤١٨/١٩)، وابن عديّ في "الكامل" (١٧٣/٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢١٠/١٠) وغيرهم كثير:

جميعهم من طريق أبي الضحاك الجارود بن يزيد، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، به.

وهذا إسناد ضعيف جدًا بسبب الجارود بن يزيد:

جاء في ترجمته في "ميزان الاعتدال" (١٠٨/٢):

"كذبه أبو أسامة، وضعفه علي، وقال يحيى: ليس بشيء. وقال أبو داود: غير ثقة. وقال النسائي، والدارقطني: متروك. وقال أبو حاتم: كذاب" انتهى.

وقد تواردت نصوص أهل العلم على التصريح بضعف هذا الحديث:

قال الإمام أحمد رحمه الله:

"هذا حديث منكر" انتهى.

نقله في "الكامل" لابن عدي (٢/١٧٣).

وقال العقيلي رحمه الله:

"ليس له من حديث بهز أصل ، ولا من حديث غيره، ولا يتابع عليه" انتهى.

"الضعفاء الكبير" (١/٢٠٢).

وقال ابن حبان رحمه الله:

"والخبر في أصله باطل، وهذه الطرق كلها بواطيل لا أصل لها " انتهى.

"المجروحين" (١/٢٢١).

وقال الإمام البيهقي رحمه الله:

"فهذا حديث يعرف بالجارود بن يزيد النيسابوري، وأنكره عليه أهل العلم بالحديث

سمعت أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ غير مرة يقول: كان أبو بكر الجارودي إذا مر بقبر جده يقول: يا أبت! لو لم تحدث بحديث بهز بن حكيم لزرتك" انتهى.

"السنن الكبرى" (١٠/٢١٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ليس هو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه مأثور عن الحسن البصري أنه قال: أترغبون عن ذكر الفاجر، اذكروه بما فيه يحذره الناس" انتهى.

"مجموع الفتاوى" (٢٨/٢١٩).

وقال السخاوي رحمه الله:

"لا يصح" انتهى.

"المقاصد الحسنة" (ص/٥٦٣).

وقال الألباني رحمه الله:

"موضوع" انتهى.

"السلسلة الضعيفة" (رقم/٥٨٣).

أما قول أبي إسماعيل الهروي رحمه الله:

"هذا حديث حسن من حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده، وقد توبع جارود بن يزيد عليه، وزعم بعض الناس أن حديث بهز تفرد به، وقد وهم" انتهى.

"ذم الكلام، وأهله" (٤/٢٠٤-٢٠٦).

فهو كلام غير مقبول؛ لأن المتابعات المذكورة للجارود إنما هي سرقات للحديث، وطرق منكرة مكذوبة، والضعيف لا يتقوى بمثل ذلك، وهذا من الشروط المهمة في أبواب تقوية الحديث الضعيف، وقد بين العلماء أسماء الذين سرقوا الحديث، وأكدوا أن مثل هذه المتابعات لا تقوي الحديث.

قال ابن حبان رحمه الله:

"وأما حديث بهز بن حكيم فما رواه عن بهز بن حكيم إلا الجارود هذا.

وقد رواه سليمان بن عيسى السجزي عن الثوري عن بهز ، قدم نيسابور فقيل له: إن الجارود يروي هذا الحديث عن بهز؟ فقال: حدثنا سفيان الثوري عن بهز، فصار حديثه، وسليمان بن عيسى يؤلف في الروايات.

واتصل هذا الخبر بعمرو بن الأزهر الحراني، وكان مطلق اللسان فرواه عن بهز بن حكيم. ورواه العلاء بن بشر لما اتصل عن ابن عيينة عن بهز، وقلب متنه.

ورواه شيخ من أهل الأبلة يقال له نوح بن محمد، رأيته، وكان غير حافظ للسانه، عن أبي الأشعث، عن معتمر عن بهز" انتهى.

"المجروحين" (١/٢٢٠-٢٢١).

وقال الدارقطني رحمه الله:

"هذا حديث الجارود عن بهز وضعه عليه، وسرقه منه عمرو بن الأزهر، فحدث به عن بهز، وعمرو كذاب.

وسرقه منه سليمان بن عيسى، وكان دجالا فرواه عن الثوري عن بهز.

وسرقه شيخ يعرف بالعلاء بن بشر فرواه عن سفيان بن عيينة عن بهز، وابن عيينة لم يسمع من بهز شيئا ، وغيَّر لفظه فقال : ليس للفاسق غيبة" انتهى.

نقله ابن الجوزي في "العلل المتناهية" (٢/٢٩٥).

وقال الإمام البيهقي رحمه الله:

"وقد سرقه عنه جماعة من الضعفاء فرووه عن بهز بن حكيم، ولم يصح فيه شيء" انتهى.

"السنن الكبرى" (١٠/٢١٠).

وقال أيضا رحمه الله:

"هذا حديث يُعد في أفراد الجارود بن يزيد، عن بهز، وقد روي عن غيره، وليس بشيء، وهو إن صح فإنما أراد به فاجرًا معلنا بفجوره، أو فاجرًا يأتي بشهادة، أو يعتمد عليه في أمانة فيحتاج إلى بيان حاله لئلا يقع الاعتماد عليه، وبالله التوفيق" انتهى.

وقال ابن عدي رحمه الله:

"وقد سرق من الجارود ضعفاء مثل عمرو بن الأزهر، وغيره" انتهى.

وقال أيضًا:

"وهذا يعرف بالجارود بن يزيد، وقد رواه عمرو بن الأزهر، وغيره عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وروي عن الثوري من رواية ضعيف عنه، وكل من روى هذا الحديث فهو ضعيف" انتهى.

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله:

"روي أيضا عن سفيان الثوري، والنضر بن شميل، ويزيد بن أبي حكيم، عن بهز، ولا يثبت عن واحد منهم ذلك، والمحفوظ أن الجارود تفرد برواية هذا الحديث" انتهى.

وأما ذكر الفاسق، بما فيه فإنما يباح حيث كان متعالنًا بفسقه، مجاهرا به، لا يبالي بما يظهر منه للناس، فمثل هذا يحذر من حاله، وينهي عن منكره، ولو كان بذكر ما هو فيه من الفسق، والفجور، فهو الذي أسقط حرمة نفسه؛ لكن على ألا يحمل عليه غير ما يفعل، أو يفضح بأمر استسرّ هو به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ليس للمعلن بالبدع، والفجور غيبة، كما روي ذلك عن الحسن البصري، وغيره ؛ لأنه لما أعلن ذلك استحق عقوبة المسلمين له، وأدنى ذلك أن يذم عليه؛ لينزجر، ويكف الناس عنه، وعن مخالطته، ولو لم يذم، ويذكر بما فيه من الفجور، والمعصية، أو البدعة لاغتر به الناس، وربما حمل بعضهم على أن يرتكب ما هو عليه ، ويزداد أيضًا هو جرأة، وفجورًا، ومعاصي، فإذا ذكر بما فيه انكف، وانكف غيره عن ذلك، وعن صحبته، ومخالطته".

قال الحسن البصري:

"أترغبون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه كي يحذره الناس"، وقد روي مرفوعًا.

و"الفجور" اسم جامع لكل متجاهر بمعصية، أو كلام قبيح يدل السامع له على فجور قلب قائله، ولهذا كان مستحقًّا للهجر إذا أعلن بدعة، أو معصية، أو فجورًا، أو تهتكًا أو مخالطة لمن هذا حاله بحيث لا يبالي بطعن الناس عليه" انتهى باختصار.

الكذب، وسنينه

يُعرَّف الكذب في معاجم اللغة بأنَّه الإخبار بما يُخالِف الواقع، ويُجانِبه، وهو عكسُ الصِّدق، وهو إتيانُ النَّبأ بغيرِ تحقُّقٍ وتَثبُّت، أو هو الإخبارُ بالكَذبِ، وهو القول بمخالفة الواقع بعلم، فمن أخبرَ عن شيءٍ، أو ادَّعى قولاً يُخالف صِحَّة الواقعِ بعلمهِ، ودرايته فقد أتى الكذِب، وفاعِله كاذب، ويُعرَّفُ الكَذب اصطلاحًا بأنَّه الإخبارُ المُتعمَّد عن الشَّيء بما يُخالف الواقع، والحقيقة.

كيفيّة معرفة إذا كان الشخص كاذبًا:

يستطيع الشخص العاديّ معرفة ما إذا كانَ الشّخصُ الذي يتعامل معه كاذبًا أم لا بالملاحظة المجرَّدة؛ إذا تنبَّه لبعض أساليب الأشخاص الذين يحاولون تمرير واقعٍ مُزيَّفٍ، أو تغيير الحقائق لاستهداف الآخرين، وقد يستدلُّ النَّاس على زيفِ المعلوماتِ، وكَذب ناقلها بالإحساس، والبديهة، والغريزة البشريَّة القادرة في الغالب على التحقُّق من ذلك فطريًّا، غير أنَّ العاملينَ في أنماط علم النَّفس السلوكيَّة، وخبراء السُّلوك النَّمطيّ بيَّنوا بعض المُحدِّدات المُهمَّة في كشف الكاذب بسهولةٍ ودون تعقيد.

ومن أبرز العلامات التي حدَّدها المُختصُّون لكشفِ الكاذب، والتعرُّف عليه، ما يأتي:

لُغة العيون: يستطيع النَّاس ملاحظة الكاذب الذي يُخفي ارتباكه؛ خشيةً من اكتشاف النَّاس لزيفه، وكذبه، عن طريق ملاحظة سلوكينِ بصريّينِ تُجريهما عيناه على الأغلب؛ فقد يلجأ الكاذب إلى الإشاحة ببصره بعيدًا عن عينَي الشَّخصِ المُخاطَب كسلوكٍ غيرَ مُدرَكٍ؛ لمخاوفه من الاكتشافِ، والسُّقوط، أمَّا النَّمط الآخر لسلوك الكاذب البصريّ فيتمثَّل بالتَّواصل المستمرّ، والمُركَّز للبصر، كنوعٍ من تثبيتِ صدقه، وتدعيم موقفه، وقوَّة حديثه.

حركة العينين: حسبَ ما يقوله المختصّون فإنّ من يكتب بيده اليُمنى سيكون صادقًا عند سرده للمعلومات في حال وجّه عينيه إلى يساره، بينما سيكون كاذبًا لو وجّه بصره ناحية اليمين، والأمر ذاته ينطبق على من يكتب بيده اليُسرى، ولكن بمخالفة الاتّجاهات.

يُحاول الكاذب إعطاء انطباع عن مدى صدقه أمام من يُحادِثهم، فيتجنّب التكلُّف الحركيّ؛ تعزيزًا لنفسه، وتثبيتًا لموقفه كأحد دوافع درء الاشتباهِ بكذبه، ظنًّا منه أنّ ذلك يجعله أكثر مصداقيّةً.

تظهر هذه الحالة بصورةٍ معاكسةٍ للحالة السّابقة؛ إذ لا يكون الكاذب قادرًا على إخفاء التكلُّف الجسدي فيظهر القلق في لغته

الجسديَّة عفويّاً؛ إذ تُصبِح نبراتُه الصَّوتيَّة مُغايرةً لطبيعتها، وتضطرب حركة يدَيه، وتميلُ حركاتُه إلى العشوائيَّة، وكأنَّها تحدث بصورةٍ لا إراديَّة.

يؤدّي ارتباكُ الكاذب إلى اختلال سيطرته على المحتوى المعلوماتيّ في كلامه، فيتكلَّمُ بانسيابيَّةٍ غير منتظمةٍ تتكرَّر فيها المتلازمات اللفظيَّةُ، والتَّفاصيلُ غير المهمَّة على حسابِ المحتوى المفيدِ، والمعلوماتِ المهمَّة، ويُعبِّر عن عجزه بإنتاج جُملٍ صادقةٍ بالإسهابِ المُفرط، والاسترسال.

تُظهِر مثل هذه الحالات مزيجًا من الانتباه اللاشعوريّ لدى الشخص الكاذب للدِّفاع عن نفسه حتَّى دون أن يتَّهمه أحد، ويظلُّ الكاذب محصورًا في دائرة الدِّفاع والتبرير المُستمرَّين؛ لإثبات صحَّةِ كلامه، وصدقه المعدوم.

إذ يسوِّقُ الكاذب معلوماته المغلوطة عادةً بخليط مُنتقىً من المعلومات المُشتِّتة للمُستمع؛ بأن يخلط كلامه المكذوب ببعض المعلومات، والتفاصيل التي تُعجب المُستمِع، فينخدع بمجمل الحديث، وتختلط عليه الرِّواية، وقد تكون التفاصيل المزيدة سخيفةً، فتكشف بوضوحٍ كذب الحديث، وزيفه.

قد تصفُ حالة احمرار الخدودِ العديدَ من مشاعرِ الإنسانِ، وتقلُّباتِه المزاجيَّة، والنَّفسيَّة؛ إذ تشتركُ حالاتُ المفاجأةِ، والانبهارِ، والغضبِ، والخجلِ، وغيرها في توحُّدِ التعبيرِ المُتمثِّلِ باستجابةِ الخدودِ، واحمرارها،

غيرَ أنَّ هذه المتغيِّراتِ ليست حصريَّةً على هذه العلامة، فقد تدلُّ الخُدود المحمرَّة أيضًا على وقوعِ الإنسانِ في حالةِ الكذبِ، والزّيف التي قد يُرافقها الخجل، أو الخوف من اكتشافِ أمر الكذب.

قد تُظهِر ملامح الكاذب تعمُّدَ كذبه، وزيف رواياته؛ حيث يبدو الأشخاص الكاذبون أكثر تفاوتًا، وتغيُّرًا في ملامحهم بصورةٍ لا شعوريَّة، فتظهر عند البعضِ علاماتٌ مضطربةٌ كحكِّ الأذن، أو العينين، والتبسُّمِ السَّاخر بغير مناسبةٍ، أو لمس الأنف بشكل متكرِّر، وغير ذلك من العلاماتِ، والتغيُّرات التي تطرأ على معظم ملامح الكاذب.

يعجز الكاذب عادةً عن إعادة سرد الكلمات التي تحدّث بها، أو إعادة صياغتها، فيُعيدها بصورةٍ مختلفةٍ عن المرّة الأولى، وتتداخل التفاصيل مِرارًا؛ لتكشف اختلاقهُ للكلام، وتزييفه للواقع، ومجانبته صواب الحديث، والنَّقل.

الكذب من أخلاق المُنافقين كما أوردته السُّنَّة النبويَّة الشّريفة، وحُكمه في الشِّريعة الإسلاميَّة السَّمحة حرامٌ لا رُخصةَ فيه إلّا لدواعٍ ثلاثةٍ، وهي الحربُ، وإصلاحُ ذات البينِ، وحديثُ الزَّوجةِ لزوجها، أو حديث الزَّوجِ لزوجته، ويُستدَلُّ على ذلك من الحديثِ النَّبويِّ من روايةِ أمُّ كلثوم رضي الله عنها: "ليس الكذَّابُ الَّذي يُصلحُ بين النَّاسِ، ويقولُ خيرًا، ويُنمي خيرًا".

قال ابنُ شهابٍ: "ولم أسمعْ يرخِّصُ في شيءٍ ممَّا يقولُ النَّاسُ كذِبٌ إلَّا في ثلاثٍ: الحربُ، والإصلاحُ بين النَّاسِ، وحديثُ الرَّجلِ امرأتَه، وحديثُ المرأةِ زوجَها...".

وقد وَرَد ذِكر الكَذب في القرآن الكريم فيما يقارب مئتَي موضعٍ، وآيةٍ في معرض الذمِّ، والتّحقير، والوعيد بالعذاب، وعدَّت الشريعة الإسلاميَّة خُلُق الكذب من كبائر الذُّنوب التي تجرُّ صاحبها إلى الهلاك، يقول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ". سورة الزمر: آية(٣).

كما أشارت السنَّة النَّبويَّة إلى عاقبة المُكذّبين، وذلك فيما وردَ عن رسول الله عليه الصَّلاة، والسَّلام: "عليكمْ بالصِّدقِ؛ فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البِرِّ، وإنّ البِرَّ يهدي إلى الجنَّةِ، ولا يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ، ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتَبَ عندَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وإيَّاكم والكذِبَ، فإنّ الكذِبَ يهدي إلى الفُجورِ، وإنّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ، ولا يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ، ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتَبَ عندَ اللَّهِ كذَّابًا".

يمكن إدراك أن الشخص يكذب من خلال ملاحظة وجود العديد من التناقضات في حديثه، ووفقًا للعميل الفيدرالي نيوبيري فإنه يمكن إكتشاف الشخص الكاذب من خلال ملاحظة وجود التناقضات فيما يقول، ومن الأمثلة على ذلك إجابة إحدى السيدات اللواتي كان يستجوبهن حول ما فعلته عند سماعها لإطلاق النار بأنها ركضت،

واختبأت دون النظر إلى مكان إطلاق النار، فاكتشف بأنها تكذب بسبب التناقض في حديثها، حيث إنّ السلوك الطبيعي، والمنطقي لأي شخص يسمع إطلاق النار هو النظر باتجاه صوت إطلاق النار ثم الركض، لذلك تعتبر قصتها غير منطقية، وهذا تمامًا ما يجب على الفرد الاستناد إليه عندما يريد معرفة ما إذا الشخص يكذب أم يقول الحقيقة.

ملاحظة تغيّر السلوك يمكن إدراك أن الشخص يكذب من خلال تَغَيُرِ سلوكه فجأة، حيث إن عند انتقال الفرد من منطقة الصدق إلى منطقة الكذب ستتغير العديد من تعابير جسده، وسلوكياته، لذلك يمكن اللجوء إلى ملاحظة لغة الجسد، وتعبيرات الوجه، وحركة العينين للشخص؛ من أجل معرفة ما إذا كان يكذب، أم يقول الحقيقة، حيث إنّ كل شخص يعطي أدلة مختلفة تدل على أنه يكذب تصدر عن العقل الباطني الخاص به عند بدء بالكذب.

تكرار قول كلمة بصراحة يمكن إدراك أن الشخص يكذب، وغير صادق في حديثه من خلال ملاحظة أنه يستمر في قول بعض الكلمات أثناء التحدث، مثل قوله بصراحة، أو صدقًا، أو صدقوني، حيث إن أغلب الأشخاص الكاذبين، والذين يخفون شيئًا ما يلجؤون إلى استخدام هذه المصطلحات بشكل لا إرادي من أجل تعزيز ثقة من حولهم بما يقولون، ولا يعني ذلك أن كل شخص يقول هذه الكلمات يعتبر كاذب، ولكن إن لوحظ استخدامه لهذه المصطلحات بكثرة، وليس من فترة لأخرى فهو على الأغلب لا يقول الحقيقة.

هنالك طرق معينة لمواجهة الشخص الكاذب، فيعتبر الكذب أمر مزمن لبعض الأشخاص فلا يكادون يتفوهون بكلمة حتى تكون كذب، ويعتبر الكذب من أكثر الأمور المزعجة للأشخاص الغير كاذبين، ومن أسوأ المواقف تلك التي يتم الكذب عليهم بها، و للتعامل مع مثل هذه المواقف يتوجب على المرء معرفة كيف يمكنه أن يواجه شخص يتسم بالكذب، وللتعرف على الطرق المناسبة لمواجهة مثل هؤلاء الأشخاص، في ما يلي أهم، وأبرز هذه الطرق.

الثقة بالغريزة:

إن من، أو النصائح التي يمكن أن يتبعها المرء لمواجهة الشخص الكاذب، هي أن يمتلك الثقة الكافية بغريزته، و حدسه، ففي الغالب يشعر المرء بالغمامة تلفه عندما يصدق أمر ليس صحيحا، أو حين يصغي لشخص كاذب، ويحاول تظليله.

التحقق:

إن من أهم الخطوات التي يتوجب على المرء أن يراعيها أثناء مواجهة شخص كاذب، هي التحقق من الصواب؛ ليتمكن من مواجهة الكاذب بالأدلة، والبراهين، ومن الطرق التي يمكن التحقق من خلالها عن الصواب، سؤال بعض الأشخاص الذين لديهم صله بالأمر، أو ربما على إطلاع به، والجدير بالذكر أنه لا يتوجب على المر أن يعتمد على علامات الكذب الظاهر والتي يتم تداولها كثيرا على الإنترنت.

بعد جمع الأدلة الكافية، والتحقق من الصواب، يتوجب على المرء أن يقوم بتجهيز كل هذه الأدوات بالطريق المناسبة لمواجهة هذا الشخص الكاذب، حيث أنه يمكن له أن يستمر بالكذب، وينكر كل الإدعاءات ضده، وبالتالي من أفضل التجهيزات، هو تحضير برهان ملموس إن أمكن بحيث لا يمكن له التهرب من الحقيقة.

بعد تجهيز جميع الأدوات للمواجهة وحين يحين الوقت، يعتبر من الأخطاء بداية المواجهة بطريقة هجومية واستخدام ألفاظ حادة، مثل: أنت كاذب، وما إلى ذلك، فهذا سيقود الشخص الكاذب لوضعية دفاعية بشكل تلقائي، وبالتالي فأنه لن يكون هناك أي فائدة من المواجهة، ولذلك يفضل البدء بإظهار الأدلة بشكل لطيف، وإخبار الشخص الكاذب بأن هناك شك من بداية الأمر مما أدى لإجراء بعض التحقيقات للحصول على هذه الأدلة، وثم يمكن التطرق للمواضيع الأخرى بشكل تدريجي كمعرفة ما هي الحقيقة؟.

يعاني عدد كبير من الأفراد وجود الشخص الكذاب في حياتهم بشكل مبالغ فيه، حيث يعتمد في معظم كلامه على الحكايات المؤلفة، ومن نسج الخيال. وتقدم أستاذة علم النفس، الدكتورة رشا قمحاوي، طرقًا عدة لمواجهة الشخص الكاذب.

لا تستسلم للكذب فقط كل ما عليك إخباره بأنك سمعت هذه القصة من قبل، وبذلك تخبره بشكل غير مباشر بأنه يكذب، حاول تغيير

الموضوع، ولا تتردد في أن تقاطعه أثناء حديثه الكاذب، فهذا سوف يجعله يفكر بعد ذلك ألف مرة قبل أن يقول الكذبة التالية.

لا توجه أي أسئلة للشخص الكاذب أثناء الحديث معه حتى لا تدفعه للكذب، حاول أن تبدي مللًا من حديثه إذا شعرت أنه يتمادى في الكذب. فالشخص الكاذب يحب أن يستمتع الناس بالحديث معه لهذا فإذا بيّنت له بأنك غير سعيد بما يقول فسيسكت.

حاول أن تقدم النصيحة للشخص الكاذب، وأن تثبت له أن الكذب يقلل من ثقة الناس به، ويعرضه لكثير من الانتقادات، والمواقف المحرجة مع الأصدقاء.

يوجد طريقتين للتعامل مع الشخص الكاذب حسب نوع الكذب، وهما:

التعامل مع الشخص الذي يقول الكذب غير الضار:

يمكن فضح الكذبة مع الحرص على إبقاء الكاذب في حالة من الارتياح، أي عن طريقة محاولة تجنب إحراج الكاذب، ووضعه في موقف سيء، ومحاولة إظهار التفهم له بقبوله، والغفران له.

التعامل مع الشخص الذي يقول الكذب الضار:

في هذه الحالة يجب أن يفكر الشخص بخدمة العدالة عن طريق مواجهة الشخص بشكل مباشر حتى يتم تجنب التعرض للاستغلال من الكاذبين عن طريق إبعاد النفس عن مثل هؤلاء الأشخاص، والحرص على الحذر في المرات القادمة.

التعامل مع الشخص الكذّاب بشكل مرضي يوجد بعض الخطوات التي يمكن من خلالها التعامل مع الشخص الكذاب، وكشف الكذب المرضي، وهي:

تعلم كل ما يستطيع الشخص عن الكذب المرضي بهدف فهم سلوك الشخص الكاذب بصورة أفضل.

تمييز نوع الكذب هل هو كذب مرضي، أو كذبة صغيرة بيضاء عادية.

الاستماع للشخص عن كثب، وإيقافه عندما يقول شيئًا غريبًا في محاولة لإمساكه عند ظهور مجموعة من التناقضات في حديثه، مع تجنب مواجهته عند ذكره للأمور الكبيرة في هذه المرحلة.

إظهار التقدير للشخص في محاولة ردعه عن الكذب، وإخباره بأنه لا يحتاج لاختلاق القصص من أجل إثارة إعجاب الآخرين.

تقرير مدى سمية العلاقة مع الشخص الكاذب، وتحديد مدى الأذى الناتج عند التعامل معه.

التحدث معه في محاولة لإثبات الاهتمام به، ومواجهته بالأدلة على أكاذيبه. دعمه للخضوع للعلاج بهدف التغلب على حاجته للكذب.

طريقة كشف الكاذب يوجد عدة خطوات يمكن عن طريقها التعرف على الشخص الكاذب، وهي:

طرح أسئلة حيادية، حول الطقس، وأية أمور عامة، وملاحظة لغة الجسد، وحركة العيون.

مشاهدة لغة الجسد، والعلامات التي تبدو على الأشخاص، مثل محاولة إخفاء أصابعهم دون وعي.

مراقبة تعبيرات الوجه الصغرى مثل احمرار الوجه أو التعرق وعض الشفاه. الانتباه لنبرة الصوت وسرعة وبطء الحديث.

مراقبة الكاذب عند محاولته إزالة نفسه من القصة، وإقحام الآخرين في تفاصيلها.

الشجاعة قوة إرادة

الشجاعة من أروع، وأنبل الصفات التي تحلّى بها العرب، فهي قوة في النفس، وثقة بالله، وهي القدرة على مواجهة الصعاب، والمخاطر، والظلم، والقهر، والتغلّب على مصاعب الحياة بإيمان، وصبر، وتحمّل، وعدم الضعف، والاستسلام، وهنا أجمل الحكم عن الشجاعة، والقدرة على الصمود:

- إن الشجاعة ليست غياب الخوف، ولكن القدرة على التغلب عليه.

- الحذر ليس بجبن، كما أن التهور ليس بشجاعة.

- الشجاعة وسيلة للخوف، والثقة.

- الرجل الذي تتوفر فيه الشجاعة بلا استقامة لا يعدو أن يكون قاطع طريق.

- ليس باستطاعتنا أن نكتشف محيطات جديدة ما لم تكن لدينا الشجاعة بأن نخسر منظر الشاطئ.

- سنعمل معا لدعم الشجاعة حيث هناك خوف، لتشجيع التفاوض عندما يكون هناك صراع، وإعطاء الأمل حيث يوجد اليأس.

- أهم شيء هو ألّا تخاف، فعدوك الذي يجبرك على التراجع يخافك في تلك اللحظة ذاتها. فَن أن تكون مرة شُجاعًا، ومرة حذِرًا فهو فن النجاح.

- لا داعي للخوف من صوت الرصاص، فالرصاصة التي تقتلك لن تسمع صوتها. الشجاعة الحقيقية هي شجاعة الثالثة صباحًا.

- السيف أهول ما يُرى مسلولًا. يبدو الأسد في القفص أكثر ألفة؛ لأنه في القفص يكون في مأمن من الناس. ستتحقق كل أحلامك إذا كنت تملك الشجاعة لمطاردتها.

- الشجاع من يخلق من اليأس أملًا؛ لأن اليأس فيه طَعم الموت؛ ولأن الشجاعة معنى الحياة. من الأفضل مجابهة الخطر مرة واحدة بدلًا من البقاء دائمًا في خوف، وهلع.

- استقبال الموت خير من استدباره.

- عليك أن تتحلى بالشجاعة الكافية لاستخدام عقلك.

- نحن لا يمكن أن نتعلم الشجاعة، والصبر إذا كان كل شيء في العالم مليئًا بالفرح.

- هل شاهدت من قبل كيف يهبط الشلال الهادر من الأعلى؟ هكذا يجب أن ينقض المؤمن الشجاع على قوى الباطل.

- كل إنسان قبطان في البحر الساكن.

- رجل واحد لديه الشجاعة يمثل أغلبية.

- لا تتحدى إنسانًا ليس لديه ما يخسره.

- إنّ العواصف تجعل جذور الأشجار تتمسك بالتربة، فتصبح جذورها أعمق في باطن الأرض. الشجاعة وسيلة للخوف، والثقة.

- إنّ الجبان يموت آلاف المرات، ولكن الشجاع لا يذوق الموت إلّا مرة واحدة.

- إذا غامَرْتَ في شرف مروم، فلا تقنع بما دون النجوم.

- ربّما تَقتضِيك الشجَاعة أن تَجبن ساعة.

- كثيراً ما يتملكنا شعور بالخوف من أشياء، أو مواقف معينة، فلا يمكن إزالة هذا إلّا بالخوف من الله سبحانه، والتوكل عليه.

- لما حكم القاضي على عمر بالإعدام شنقًا حتى الموت قهقه عمر بكل شجاعة قائلًا الحُكم حُكم الله لا حُكمكم المزيف.

- خاك أخاك إن مَنْ لا أخاً له كَساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح.

- الشجاعة أهم الصفات الإنسانية؛ لأنها الصفة التي تضمن باقي الصفات.

- الشجاع محبب حتى إلى عدوه، والجبان مبغض حتى إلى أمه.

- إذا كان صاحب البيت جبانًا، واللص جريئًا فالبيت ضائع لا محالة.

- قد يجبن الشجاع بلا سلاح.

-أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر، والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة، وانغمسوا في النعيم، والترف، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم، وأنفسهم إلى، وإليهم.

- في كل إنسان هناك ضعف، وقوة، شجاعة، وجبن، وصمود، واستسلام، نقاء وقذارة، فالمخلص يقاوم، والغادر يخون، والضعيف يتهاوى تحت اليأس، والبطل يقاتل.

- في بعض الأحيان الخطوة الأولى هي الخطوة الأصعب، تقدم، وأخطوها فقط، وليكن لديك الشجاعة الكافية؛ لأن تتبع إحساسك، وحاستك السادسة.

- موت في عز خير من حياة في ذّل.

- الجبن عبودية، والشجاعة حرية.

- عندما تُدافع عن أفكارك أمَام العامة يجب عليك أنْ تكون قويًا، وشجاعًا للعيش مِن أجلها.

- من أسباب السعادة الشجاعة فإنّ الله يشرحُ صدر الشجاع بشجاعتهِ، وإقدامه.

- الجبناء يهربون من الخطر، والخطر يفر من وجه الشجعان.

- الشجاعة لا تعرف المستحيل.

- وليس يُعابُ المرءُ من جُبْنِ يومهِ.

- وقد عُرِفَتْ منه الشجاعةُ بالأمسِ.

- في الأخطار العظيمة تظهر الشجاعة العظيمة.

- الرجل الشجاع هو من يتحمل نتائج عمله.

- الشجاعة بلا حذر حصان أعمى.

- الشجاعة هي تفضيل الحق على الباطل، والصواب على الخطأ مهما كانت النتيجة.

- ليست الشجاعة أن تقول ما تعتقد، إنّما الشجاعة أن تعتقد كل ما تقول.

- الجبن، والشَّجَاعَة غرائز، وأخلاق، فالجبان يفر عن عرسه، والشجاع يقاتل عمَّن لا يعرفه. الشجاعة تقود إلى النجوم، والخوف يقود إلى الموت.

- الجبن المقنع أسوء من الجبن المكشوف.

- الجريء ينتصر على الخطر قبل أن يراه.

- أخذ خطوة جديدة، ونطق كلمة جديدة هو أكثر شيء يخافه الناس.

- تظهر الشجاعة عند المخاطر الكبرى.

- عَيْشُ يَوْمٍ واحد كالأسد خَيْرٌ من عيش مئة سنة كالنعامة.

- الشجاعة مصدرها التفكير. هناك وفرة في الذكاء في العالم لكن الشجاعة في عمل الأشياء بشكل مختلف قليلة الوجود.

- ثلاثة لا يعرفون إلّا في ثلاثة: الشجاع في الحرب، والكريم في الحاجة، والحليم عند الغضب.

- اتخاذك الوضع الدفاعي يشير إلى قوة غير كافية، بينما الهجوم يستلزم توفر القوة الزائدة.

- الأبطال يموتون واقفين دائمًا.

- لا تتحدى إنساناً ليس لديه ما يخسره.

- عليك أن تتحلى بالشجاعة الكافية لاستخدام عقلك.

- مع مرور الزمن نضحك على ما كنا نخاف منه سابقًا.

- هناك ثقافة واحدة هي ثقافة القوة، حين أكون قويًا يحترم الناس ثقافتي، وحين أكون ضعيفاً أسقط أنا، وتسقط ثقافتي معي.

- الفشل لا يهم، فمن الشجاعة أن تجعل من نفسك أضحوكة.

- لابد أن يدرك الرجل حقيقة هامة ألآ، وهي أن الرجولة أفعال، وليست أقوال. ابتعدي عن رجل لا يملك شجاعة الاعتذار، حتى لا تفقدي يومًا احترام نفسك، وأنتِ تغفرين له إهانات، وأخطاء في حقكِ، لا يرى لزوم الاعتذار عنها، سيزداد تكرارًا لها.

– الشجاعة تقود إلى النجوم، والخوف يقود إلى الموت.

– علينا أن نقدم الاعتذار بنية صادقة معترفين بالأذى الذي وقع على الآخر، كلنا نخطئ، ولكن حينما نخطئ، ونعرف خطأنا يجب علينا المسارعة بالاعتذار، فذلك دليل الشجاعة، والمحبة، والثقة بالنفس، وقوة الشخصية.

– من لا يجد في نفسه الشجاعة الكافية للمخاطرة لن يحقق شيئًا في حياته. فقدان الشجاعة يؤلم أكثر من الصبر.

– حتى الذين أضحت شجاعتهم مضرب المثل، لا يمكنهم الادعاء أن الخوف لم يتطرق إلى قلوبهم.

– ستتحقق كل أحلامك إذا كنت تملك الشجاعة لمطاردتها. الشجاعة من غير حكمة ثور هائج. أشجع الناس من قاوم هوى نفسه، وحبسها عن الدنيا.

– إذا لم تستطع الاختيار بين طريقين متساويين للتصرف اختر الأجرء. تكمن الشجاعة في القدرة على التعافي من الصدمات.

– العقول الشجاعة دائما تفكر. عندما تتحقق من أن القوة الوحيدة التي تمتلكها للسيطرة على نفسك هي إيمانك بها عندئذٍ يمكنك أن تسمو فوق كل السلبيات، وسوف تصبح حراً إذا جربت هذه الحقيقة، وطبقتها على نفسك.

– الشجاعة: هي ما أن تقف، وتتحدث، وهي أيضا أن تجلس، وتستمع. الشجاعة التي نريدها، ونكافئ عليها ليست شجاعة الموت بطريقة مشرفة، بل شجاعة الحياة برجولة. كن شجاعًا لو خسرت ووديعًا لو انتصرت.

– البحث عن المصائب ليس شجاعة وإنّما غباء، فالشجاعة هي الاستعداد لمواجهة المصائب التي لا مهرب منها برباطة جأش.

– الشجاعة معروفة كذلك بالثبات، و الجرأة، وتنقسم إلى نوعين:

- شجاعة طبيعية :

و هي شجاعة تجاه الألم الطبيعي، والمشقّة، أو التهديد بالموت.

- شجاعة أخلاقية :

وهي القدرة على التصرف بشكل صحيح تجاه المعارضة الشعبية، والخزي والفضيحة، أو الإحباط.

في اللغة: يرد معناها إلى أصل واحد هو الجرأة، والإقدام . في لسان العرب: شَجُع شجاعة : اشتد عند البأس، والشجاعة: شدة القلب في البأس، ومن يتصف بهذا الخلق يقال له : شَجاع، وشِجاع، وشُجاع، وأشجع، وشَجع، وشَجيع، وشِجَعَة، ويُجمع على: شُجْعان، وشِجعان،

وشَجَعَاء، وشِجَعَة، وشِجْعَة، وشَجْعَة، وشُجْعَة، وشِجَاع، والمرأة شِجَاعَة، وشَجِعَة، وشَجِيعَة، وشَجْعَاء.

- العزة، والشجاعة من المترادفات المتكاملة، والتي توصف بالنقاء، والعفة، والقدوة.

العزة: هي شعور نقيض الذل يشعر به الإنسان في مواقف اجتماعية معينة، وتكون العزة عادة بعدم قيام الإنسان بشيء لا يوافق عليه المجتمع، أو يشمئز منه كالتسول، والسرقة، والخيانة، وأما الشجاعة معروفة كذلك بالثبات، والجرأة، فالشجاعة طبيعية كانت: هي شجاعة تجاه الألم الطبيعي، والمشقّة، أو التهديد بالموت، أوشجاعة أخلاقية، وهي القدرة على التصرف بشكل صحيح تجاه المعارضة الشعبية، والخزي، والفضيحة، أو الإحباط.

- جيمس جارفيلد: "الرجل الشجاع هو من ينظر في وجه الشيطان، ويقول له: "أنت شيطان".

- رالف والدو إمرسون: "تكمن الشجاعة في القدرة على التعافي من الصدمات".

- توماس كارليل: "الشجاعة الحقيقية ضبط الأعصاب".

- أرسطو: "الشجاعة أهم الصفات الإنسانية؛ لأنها الصفة التي تضمن باقي الصفات".

- جون لانكستر سبالدنغ: "أعلى درجات الشجاعة أن تجرؤ على ظهور حقيقتك".

- وليم شكسبير: "ليس من الشجاعة أن تنتقم، بل أن تتحمل، وتصبر".

- والت ديزني: "ستتحقق كل أحلامك إذا كنت تملك الشجاعة لمطاردتها".

- ألبير كامو: "من تنقصهم الشجاعة يجدون دائما فلسفة يفسرون بها ذلك".

- جيريمي كولبير: " العقول الشجاعة دائما تفكر".

- عمرو خالد: من يفقد ثروة يفقد كثيرا، ومن يفقد صديقا يفقد أكثر، ومن يفقد الشجاعة يفقد كل شيء.

- نيلسون مانديلا: "الجبناء يموتون مرات عديدة قبل موتهم، والشجاع لا يذوق الموت إلا مرة واحدة".

- رالف إمرسون: "البطل ليس رجلًا أشجع من الآخرين، ولكنه يملك شجاعة تدوم أكثر ٥ مرات زمنيًا منهم".

- هارفي بينك: "كن شجاعًا لو خسرت، ووديعًا لو انتصرت".

- باولو كويلو: "كن شجاعًا، وقم بالمخاطرات، فلا شيء يضاهي الخبرات في الحياة".

- جيمس كلارك: "كي تكون شجاعًا... اتبع ضميرك".

- أنديرا غاندي: "الغفران فضيلة الشجعان".

- تيرنتيوس: " الحظ يفضل الشجعان".

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله".

- مارك توين: "الشجاعة إتقان الخوف، وليس غياب الخوف".

- أخاك أخاك إن مَنْ لا أخا له كَساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح.

- أخوك من صدقك النصيحة.

- المتنبي: إذا غامَرْتَ في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم.

- فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم. إذا لم يكن إلا الأَسِنَّةُ مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها.

-استقبال الموت خير من استدباره.

- أكرم نفسك عن كل دنيء.

- الإفراط في التواضع يجلب المذلة.

- الجود بالنفس أقصى غاية الجود.

- السيف أهول ما يُرى مسلولا.

- العز في نواصي الخيل.

- القَصَّابُ لا تهوله كثرة الغنم.

- إن الجبان حتْفُه من فوقه.

- أنا لها، ولكل عظيمة.

- بنفسي فَخَرْتُ لا بجدودي.

- تجوع الحرة، ولا تأكل بثدييها.

- النابغة الذبياني: تعدو الذئاب على من لا كلاب له، وتتقي صولة المستنفر الحامي.

- ذل من لا سيف له.

- المتنبي: عش عزيزا، أو مت، وأنت كريم بين طعن القنا، وخفق البنود.

- فلان كالكعبة تُزارُ، ولا تُسْتَزارُ.

- قد يتوقى السيف، وهو مغمد.

- قد يجبن الشجاع بلا سلاح.

- لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها.

- من تعرض للمصاعب ثبت للمصائب.

- من لم يركب الأهوال لم ينل المطالب.

- موت في عز خير من حياة في ذل.

- وكل شجاعة في المرء تغني، ولا مثل الشجاعة في الحكيم.

- ولم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام.

ولو لم يكن في كله غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله. وما أنا إلا من غُزَيَّةَ إن غوت غويت، وإن ترشد غُزَيَّةُ أرشد. وما تنفع الخيل الكرام، ولا إلقنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام.

- تأبي الرماح إذا اجتمعن تكسرا، وإذا افترقن تكسرت إحداها.

- إما أن نجد طريقًا ما، أو أن نستحدث واحدًا.

- وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام.

- قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

"أن المكارم أخلاق مطهرة الدين أولها، والعقل ثانيها، والعلم ثالثها، والحلم رابعها، والجود خامسها، والعرف سادسها، والبر سابعها، والصبر ثامنها، والشكر تاسعها، واللين عاشرها، والنفس تعلم إنى لا أصدقها، ولست أرشد الأحين أعصيها، والعين تعلم من عيني محدثها أن كان من حزبها، أو كان من معاديها عيناك قد دلتا عيني منك على أشياء لولاهما ما كنت تبديها".

- وقال أيضًا:

"البس أخاك على عيوبه، واستر، وغط على ذنوبه، واصبر على ظلم السفيه، وللزمان على خطوبه، ودع الجواب تفضلا، وكل الظلوم إلى حسيبه".

- قال عنترة بن شداد: "حكم سيوفك في رقاب العذل، وإذا نزلت بدار ذل، فارحل، وإذا بليت بظالم كن ظالمًا، وإذا لقيت ذوي الجالة فاجهلِ".

- لا تحزنن على غدر الزمان فلطالما.

- رقصت على أجثاث الأسود كلاب لا تحسبن بغدرها تعلوا على أسيادها تبقى الأسود أسود، والكلاب كلاب.

- السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد، واللعب.

-المؤمن كالورقة الخضراء لا يسقط مهما هبت العواصف.

- الشَّجَاعَة لها فوائد تعود على الفرد، والمجتمع، منها:

- قال ابن القيم: "فإنَّ الشجاع منشرح الصدر، واسع البطان، متسع القلب، والجبان أضيق النَّاس صدرًا، وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له، ولا سرور، ولا لذة له، ولا نعيم إلا من جنس ما للحيوان البهيمي، وأما سرور الروح، ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرم على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل، وعلى كل معرض عن الله سبحانه، غافل عن ذكره، جاهل به وبأسمائه تعالى، وصفاته، ودينه، متعلق القلب بغيره".

فمن يتصف بالشَّجَاعَة يتحلى أيضًا بالنجدة، وعظم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم، وعدم الطيش، والشهامة، واحتمال الكد.

- قال ابن القيم: "والشَّجَاعَة تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق، والشيم، وعلى البذل، والندى، الذي هو شجاعة النفس، وقوتها، على إخراج المحبوب، ومفارقته،

وتحمله على كظم الغيظ، والحلم، فإنَّه بقوة نفسه، وشجاعتها، يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ، والبطش". كما قال: "ليس الشديد بالصرعة، إنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"، وهو حقيقة الشَّجَاعَة، "وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه".

– قال ابن القيم: "والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق، وأهل الجبن: هم أهل سوء الظن بالله، وأهل الشَّجَاعَة، والجود: هم أهل حسن الظن بالله، كما قال بعض الحكماء في وصيته: عليكم بأهل السخاء، والشَّجَاعَة، فإنَّهم أهل حسن الظن بالله، والشَّجَاعَة جُنَّة للرجل من المكاره، والجبن إعانة منه لعدوه على نفسه، فهو جند، وسلاح يعطيه عدوه؛ ليحاربه به، وقد قالت العرب: الشَّجَاعَة وقاية، والجبن مقتلة، وقد أكذب الله سبحانه أطماع الجبناء في ظنِّهم أنَّ جبنهم ينجيهم من القتل، والموت، فقال الله تعالى: "قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً" [الأحزاب: ١٦].

– ولقد أحسن قطري بن الفجاءة بقوله:

أقول لها، وقد طارت شعاعًا ... من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرًا في مجال الموت صبرًا ... فما نيل الخلود بمستطاع

ومــا ثــوب الحيــاة بثــوب عــز	فيطوى عن أخي الخنع اليراع
ســبيل المــوت غايــة كــل حــي	وداعيــه لأهــل الأرض داعــي
ومــن لــم يعتــبط يســأم، ويهــرم	وتســلمه المنــون إلــى انقطــاع
ومــا للمــرء خيــر فــي حيــاة	إذا مــا عــدَّ مــن ســقط المتــاع

– قال ابن تيمية: "لا تتم رعاية الخلق، وسياستهم، إلا بالجود الذي هو العطاء، والنجدة التي هي الشَّجَاعَة، بل لا يصلح الدين، والدنيا إلا بذلك، ولهذا كان من لا يقوم بهما، سلبه الأمر، ونقله إلى غيره". كما قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [التوبة: ٣٨–٣٩].

وقال تعالى: "هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ" [محمد: ٣٨].

وقد قال الله تعالى: "لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى" [الحديد: ١٠].

فعلق الأمر بالإنفاق الذي هو السخاء، والقتال الذي هو الشَّجَاعَة، وكذلك قال الله تعالى في غير موضع: "وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ" [التوبة: ٤١]).

وقال في موضع آخر: "كما أنَّ عليهم -أي ولاة الأمور- من الشَّجَاعَة، والسَّمَاحَة ما ليس على غيرهم؛ لأنَّ مصلحة الإمارة لا تتم إلا بذلك".

الشجاعة تجمع جملة من الفضائل، وهي :

أ- كِبَرُ النفس:

وهو: الاستهانة باليسير، والاقتدار على حمل الكرائه، فصاحبه أبدًا يؤهل نفسه للأمور العظام مع استخفافه لها.

ب- النَّجدة:

وهي ثقة النفس عند المخاوف، حتى لا يخامرها جزع.

ج- عظم الهمة:

وهي فضيلة للنفس، تحتمل بها سعادة الجد، وضدها، حتى الشدائد التي تكون عند الموت.

د- الثبات:

وهو: فضيلة للنفس، تقوى بها على احتمال الآلام، ومقاومتها في الأهوال خاصة.

هـ- الحلم:

وهو: فضيلة للنفس، تكسبها الطمأنينة، فلا تكون شغِبَة، ولا يحركها الغضب بسهولة، وسرعة.

و- السكون:

وهو: عدم الطيش، فهو إمَّا عند الخصومات، وإمَّا في الحروب التي يذب بها عن الحريم، أو عن الشريعة. وهو قوة للنفس، تقسر حركتها في هذه الأحوال لشدتها.

ز- الشهامة:

وهي: الحرص على الأعمال العظام، توقعًا للأحدوثة الجميلة.

ح- احتمال الكد:

وهو: قوة للنفس، بها تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية، بالتمرين، وحسن العادة.

الشجاعة:

يكتسب الفرد صفة الشجاعة من أبيه، أو من قبيلته، أو إما أن يكون قد تأثر بشخصية معينة، أو لربما كان شجاعًا بالفطرة، والشجاعة لا تكون بدنية فقط، فالقدرة على الاعتراف بالخطأ، والوقوف في وجه الظلم، ورفض الباطل بثبات، وإصرار مهما كلف الأمر يعد من أقوى أنواع الشجاعة، وهي من شيم القبائل العربية التي كانت تدافع عن الضعيف، وتقف في نصرة الحق، وفي هذا المقال سيتم تعريف الشجاعة، وتاليًا مواقف من شجاعة الرسول لكريم.

ومن الممكن تعريف الشجاعة بأنها الجرأة، والإقدام، وثبات القلب، وهي قدرة الفرد على التصرف بشكل صحيح تجاه أي موقف يواجهه دون خوف، أو تردد، وهي خلق نبيل يتصف به كل إنسان يرفض في نفسه الجبن.

من الواجب علينا تربية الأبناء على الشجاعة، ويجب أن نخبرهم عن سيرة الرسول الكريم –عليه السلام – ومواقفه المتعددة في الشجاعة؛ ليقتدوا به، ويتخلقوا بأخلاقه فمن هذه المواقف:

خاض الرسول عليه السلام معارك عدة أثبت فيها شجاعته أمام الكفار، والمشركين، فكانوا يفرون منه في كثير من المعارك.

ولا يُنسى موقفه حين تآمر عليه كفار قريش ليقتلوه، ويتخلصوا منه، لكنه ثبت أمام اختبار الله له، وخرج عليهم بكل شجاعة، ونثر التراب على أعينهم.

ومن مواقفه الشجاعة أيضًا موقفه مع أبي بكر -رضي الله عنه - حين كانا في الغار فقال له بكل ثقة: "لا تحزن إن الله معنا".

وكان بعض الصحابة أثناء الحرب إذا اشتدت يحتمون برسول الله، وهذا خير دليل على شجاعته وقوته.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: "المؤمن القوي خير، وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير"، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجبن حيث قال: "اللهم إني أعوذ بك من الهم، والحزن، والعجز، والكسل، والبخل، والجبن، وغلبة الرجال".

- القدرة على مواجهة الباطل، وإثبات الحق.

- الشجاع يهابه الجبناء.

- سبب لانشراح الصدر.

- الشجاعة صفة تجمع بين كل الصفات؛ فالصدق، والكرم، والصبر أمور تحتاج إلى إنسان شجاع.

- مقدام لا يهاب الموت.

- واثق من نفسه ذو عزيمة، وإرادة قوية.

- صاحب همة عالية.

- لا يهاب، ولا يجبن، ولا يخاف.

- خطاه ثابتة واضحة.

- يفي بوعوده، وعهوده.

- قادر على نصرة المظلوم، وحماية الضعيف.

- لا ييأس بل ينهض، ويحاول مرارًا، وتكرارًا.

- يتحكم بمشاعره، وبتصرفاته، وقادر على ضبطها.

- التعرف على المخاوف، ومواجهتها، والسيطرة عليها.

- التعرف على النفس أكثر، والوثوق بها، ومحاكاتها مثل: أنا أقدر، أنا أستطيع، أنا شجاع.

- اتخاذ القرارات السليمة في الوقت المناسب، وإعطاء النفس وقتًا كافيًا لذلك.

- الخوض في تجارب مختلفة في الحياة، والتعلم من الغير.

- ممارسة بعض الرياضات البدنية كالرماية، والسباحة، وركوب الخيل.

- النظر في سيرة الشجعان، واتخذهم قدوة كسيرة الرسول (عليه السلام)، وعمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد.

- تصغير الأمور، وعدم إعطاء الأشياء أكبر من حجمها، والمسارعة بالتنفيذ، والبدء بالعمل دون تردد، أو تأجيل.

- الشجاعة هي المواقف البطولية التي يخوضها الإنسان في حياته سواء أكانت مواقفًا تتعلق به، أو بالناس، وهي أهمّ مقومات النجاح، فحتى تنجح بحياتك يجب أن تكون شجاعًا، وتتحدّى الخوف؛ لأنّه عدوّ النجاح، وفيما يلي أهمّ أقوال الحكماء عن الشجاعة: أقوال عن الشجاعة.

- فنٌّ أن تكون مرّة شجاعًا، ومرّة حذرًا هو فن النجاح.

- الشجاعة الحقيقية هي شجاعة الثالثة صباحًا.

- يبدو الأسد في القفص أكثر ألفة؛ لأنه في القفص يكون في مأمن من الناس.

- من الأفضل مجابهة الخطر مرة واحدة بدلًا من البقاء دائمًا في خوف، وهلع

كل إنسان قبطان في البحر الساكن.

- لا تتحدّى إنسانًا ليس لديه ما يخسره.

- ربّما تَقتضِيك الشَّجَاعة أن تَجْبُن سَاعَة.

- لما حكم القاضي على عمر بالإعدام شنقًا حتى الموت قهقه عمر بكل شجاعة قائلًا الحكم حكم الله لا حكمكم المزيف.

- الشجاعة وسيلة للخوف، والثقة.

- الشجاعة أهم الصفات الإنسانية؛ لأنها الصفة التي تضمن باقي الصفات. إذا كان صاحب البيت جبانًا، واللص جريئًا فالبيت ضائع لا محالة.

- أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر، والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة، والدعة، وانغمسوا في النعيم، والترف، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم، وأنفسهم إلي، وإليهم.

- في بعض الأحيان الخطوة الأولى: هي الخطوة الأصعب تقدّم، وأخطوها فقط، وليكن لديك الشجاعة الكافية؛ لأنّ تتبع إحساسك، وحاستك السادسة.

- عندما تُدافع عن أفكارك أمَام العامة يجب عليك أنْ تكون قويًا، وشجاعًا للعيش مِن أجلها. الجبناء يهربون من الخطر، والخطر يفر من وجه الشجعان.

-الشجاعة لا تعرف المستحيل.

- في الأخطار العظيمة تظهر الشجاعة العظيمة.

- الشجاعة بلا حذر حصان أعمى.

- ليست الشجاعة أن تقول ما تعتقد، إنّما الشجاعة أن تعتقد كل ما تقول.

- الشجاعة تقود إلى النجوم، والخوف يقود إلى الموت. الجريء ينتصر على الخطر قبل أن يراه.

- تظهر الشجاعة عند المخاطر الكبرى.

- وما في الشجاعة حتف الشجاع.

- ولا مد عمر الجبان الجبن.

- الشجاعة مصدرها التفكير.

- ثلاثة لا يعرفون إلّا في ثلاثة: الشجاع في الحرب، والكريم في الحاجة، والحليم عند الغضب.

- ولا الشجاعةُ عن جسمٍ، ولا جَلَدٍ... ولا الإمارةُ إرثٌ عن أبٍ فأبِ لكنها هممٌ أدتْ إلى رِفَعٍ... وكلُّ ذلك طبعٌ غيرُ مكتسبِ.

- وليس يُعابُ المرءُ من جُبْنِ يومهِ... وقد عُرِفَتْ منه الشجاعةُ بالأمسِ.

- يرى الجبناءُ أن العجزَ فخرٌ... وتلكَ خديعةُ الطبعِ اللئيمِ، وكُلُّ شجاعةٍ في المرءِ تُغْنِيْ.. ولا مثلَ الشجاعةِ في الحكيمِ.

- لا يَذْهَبَنَّ بكَ الترددُ... إن عَزَمْتَ على عَمَلْ ما أخطأَ العلياءَ من... ركِبَ الشجاعةَ والأَمَلْ. شجاعٌ إذا ما أَمْكَنَتْني فرصةٌ... وإلا تكنْ لي فُرْصَةٌ فجبانُ.

- إن الشجاعةَ في القلوبِ كثيرةٌ.. ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلًا إن الشجاعَ هو الجبانُ عن الأذى... وأرى الجريئ على الشرورِ جبانًا.

- وإذا وجدتَ المرءَ في إقدامِه... نقصٌ فلا يُرْجَى هناك تمامُ
كيف الذي تخذَ الحياةَ وسبيلةً... وسماله فوقَ الحياةِ مرامُ.
ومن الدليلِ على الشجاعةِ للفتى... أثرُ الجراحِ بوجهِه المقدمِ.

- الأبطال يموتون واقفين دائمًا.

- وإذا لقيتَ كتيبةً فتقدمنْ... إن المقدمَ لا يكونُ إلا خيبًا تلقى التحيةَ، أو تموتَ بطعنةٍ... والموتُ آتٍ من نأى، وتَجَنَّبًا.

- عليك أن تتحلى بالشجاعة الكافية لاستخدام عقلك.

- الفشل لا يهم، فمن الشجاعة أن تجعل من نفسك أضحوكة.

- ظنوا أن النبي لا يحزن، كما ظن قومٌ أن الشجاع لا يخاف، ولا يحب الحياة، وأن الكريم لا يعرف قيمة المال، ولكن القلب الذي لا يعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم، والقلب الذي لا يخاف لا فضل له في الشجاعة، والقلب الذي لا يحزن لا فضل له في الصبر، إنّما الفضل في الحزن، والغلبة عليه، وفي الخوف، والسمو عليه، وفي معرفة المال، والإيثار عليه.

- فقدان الشجاعة يؤلم أكثر من الصبر.

- ستتحقّق كل أحلامك إذا كنت تملك الشجاعة لمطاردتها.

- تعلمت أن الشجاعة ليست غياب الخوف، ولكن القدرة على التغلب عليه.

- سنعمل معاً لدعم الشجاعة حيث هناك خوف، لتشجيع التفاوض عندما يكون هناك صراع، وإعطاء الأمل حيث يوجد اليأس.

- نحن لا يمكن أن نتعلم الشجاعة، والصبر إذا كان كل شيء في العالم مليئًا بالفرح.

- ونحن نقول للشعب الأمريكي أن يكون لديه الصبر، والشجاعة، والعزم، والتصميم.

- كن شجاعًا، لقد رأيت العديد من الكوارث في مجال الأعمال التجارية، دائمًا أمريكا خرجت من هذه أقوى، وأكثر ازدهارًا، كن شجاعًا كما كان آبائك من قبل، كن واثقًا، امض قدمًا.

- رأيت الشجاعة سواء في حرب فيتنام، أو في الصراع لوقفها، تعلمت أن حب الوطن يتضمن الاحتجاج، وليس فقط الخدمة العسكرية. قد يبطئ النصر؛ لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقاتها، ولم تتحفز كل خلية، وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى، واستعدادات...

فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكًا؛ لعدم قدرتها على حمايته طويلًا! قد يبطئ النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزًا ولا غاليًا، لا تبذله هينًا

رخيصًا في سبيل الله... قد يبطئ النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر.. إنّما يتنزل النصر من عند الله عندما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله..

قد يبطئ النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني، وتتألم، وتبذل، ولا تجد لها سندًا إلّا الله، ولا متوجهًا إلّا إليه وحده في الضراء.. وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتهاعلى النهج بعد النصر عندما يأذن به الله.. فلا تطغى، ولا تنحرف عن الحق، والعدل، والخير الذي نصرها به الله.

قد يبطئ النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها، وبذلها، وتضحياتها لله، ولدعوته فهي تقاتل لمغنم تحققه، أو تقاتل حمية لذاتها، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها.. والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله، بريئًا من المشاعر الأخرى التي تلابسه.. وقد سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل شجاعة، والرجل يقاتل ليرى، فأيها في سبيل الله ؟ فقال:"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".

الشهامة، وعزة النفس

الشهامة مصدر شهم، وهذه المادة تدلُّ على الذكاء.

والشهم: الذكي الفؤاد المتوقد، الجلد، والجمع شهام... وقد شهم الرجل، بالضم، شهامة، وشهومة إذا كان ذكيًّا، فهو شهم أي جلد.

وقيل: الشهم معناه في كلام العرب: الحمول، الجيد القيام بما يحمل، الذي لا تلقاه إلا حمولًا، طيب النفس بما حمل.

قال ابن مسكويه: "الشهامة هي: الحرص على الأعمال العظام توقعًا للأحدوثة الجميلة".

وقيل الشهامة هي: "الحرص على الأمور العظام؛ توقعًا للذكر الجميل عند الحقِّ، والخلق".

وقيل هي: "عزة النفس، وحرصها على مباشرة أمور عظيمة، تستتبع الذكر الجميل"

أولًا: في القرآن الكريم:

– قال تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى

يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" [القصص: ٢٣- ٢٤] .

قال ابن عطية: "استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب، أو مضطهد، أو من يشفق عليه، أو يأتي بمنكر من الأمر، فكأنه بالجملة في شر فأخبرتاه بخبرهما" [المحرر الوجيز].

قال الحجازي: "فثار موسى، وتحركت فيه عوامل الشهامة، والرجولة، وسقى لهما، وأدلى بدلوه بين دلاء الرجال حتى شربت ماشيتهما" [التفسير الواضح، للحجازى محمد محمود].

ثانيًا في السنة النبوية:

- عن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فزِع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتًا، قال : فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ، وهو متقلِّد سيفه، فقال: لم تراعوا ، لم تراعوا، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: وجدته بحرًا، يعني الفرس" [رواه البخاري، واللفظ له، ومسلم].

قال القرطبي: "في هذا الحديث ما يدل على أن النبي– صلى الله عليه وسلم – كان قد جمع له من جودة ركوب الخيل، والشَّجَاعَة، والشهامة، والانتهاض الغائي في الحروب، والفروسية، وأهوالها، ما لم

يكن عند أحد من الناس، ولذلك قال أصحابه عنه : إنه كان أشجع الناس، وأجرء الناس في حال الباس، ولذلك قالوا: إن الشجاع منهم كان الذي يلوذ بجنابه إذا التحمت الحروب، وناهيك به؛ فإنه ما ولَّى قطُّ منهزمًا، ولا تحدث أحد عنه قط بفرار" [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم].

الشهامة من مكارم الأخلاق الفاضلة كما إنها من صفات الرجال العظماء، وهي أيضا تشيع المحبة في النفوس، وكذلك تزيل العداوة بين الناس.

قسوة القلب، و الأنانية، وخذلان المسلمين، واللامبالاة بمعاناتهم من الأمور التي لا تمنح هذه الصفة لمن يحملها إنَّ خذلان المسلم لأخيه المسلم أمر تنكره الشريعة، وإن من حق المسلم على المسلم أن لا يخذله (وهو إن حدث ذريعة لخذلان المسلمين جميعًا حيث تنتشر عدوى الأنانية، وحب الذات، وإيثار الراحة، والمصلحة الخاصة على مشاركة الغير آلامهم، وآمالهم، فيكثر التَّنصل من المسؤولية بين المسلمين، حتى يقضي عليهم أعداؤهم واحدًا تلو الآخر، فتموت فيهم خلال الآباء، والشهامة، ونجدة الملهوف، وإغاثة المنكوب، وسوف يجنح المظلوم، والضعيف إلى الأعداء طوعًا، أو كرهًا، لما يقع به من ضيم، وما يصيبه من خذلان من إخوانه ثم ينزوي بعيدًا عنهم، وتنقطع عرى الأخوة بينه، وبين من خذلوه، وأسلموه للأعداء) [الموالاة، والمعاداة فى الشريعة الإسلامية، لمحماس الجلعود] وكذلك الجبن،

والبخل، فالشهامة إنما تقوم على الشَّجَاعَة لنجدة المحتاج، والكرم لإعانة أصحاب الحاجات، فمن فقدهما ضعفت شهامته، وماتت مروءته.

من الوسائل المعينة على اكتساب صفة الشهامة الصبر الشَّجَاعَة علو الهمة وشرف النفس العدل، والإنصاف.

نماذج من حياة النبي صلى الله عليه وسلم:

عن أبي إسحاق قال سأل رجل البراء رضي الله عنه، فقال يا أبا عمارة أَوَلَّيتم يوم حنين ؟ قال البراء، وأنا أسمع : "أما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُوَلِّ يومئذ، كان أبو سفيان بن الحارث آخذًا بعنان بغلته، فلما غشيه المشركون نزل، فجعل يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" [رواه البخارى].

نماذج من الصحابة رضي الله عنهم في الشهامة:

– عن عبد الرحمن بن عوف قال: "إنِّي لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني، وعن يساري فَتَيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل. فقلت: يا ابن أخي، وما تصنع به ؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه، فقال لي الآخر سرًّا من صاحبه مثله، فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء" [رواه البخارى].

قال ابن حجر: "قوله الصقرين... شبههما به لما اشتهر عنه من الشَّجَاعَة، والشهامة، والإقدام على الصيد، ولأنه إذا تشبث بشيء لم يفارقه حتى يأخذه" [فتح الباري شرح صحيح البخارى].

– وعن أسلم، مولى عمر قال: "خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي، وترك صبية صغارًا، والله ما ينضجون كراعًا، ولا لهم زرع، ولا ضرع، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم. فوقف معها عمر ولم يمض، ثم قال: مرحبًا بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطًا في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعامًا، وحمل بينهما نفقة وثيابًا، ثم ناولها بخطامه، ثم قال : اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها ؟ قال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه، وأخاها، قد حاصرا حصنًا زمانًا، فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه" [رواه البخارى].

يتمتَّع البشر بالكثير من الصِّفات التي تعدُّ حكرًا عليه وحده، وتميِّزه عن باقي الكائنات، حتى لو ظهرَت هذه الصِّفات في بعض الكائنات الأخرى أحيانًا فهي تظهر على أنها تَجَلٍّ غريب لدى إحدى الكائنات، وليس بشكل تامٍّ غالبًا؛ أي: إنَّها تظهر بنِسَب معيَّنة لا تضاهي تلك التي لدى البشر، ويمتاز الكائن البَشري بجمعه لكلِّ الصِّفات داخل مَنظومته الشعوريَّة، والعقليَّة، وفي بعض الأحيان يظهر أحدها على

حساب الآخر؛ فمثلًا من الممكن أن نجد أن صفة الإيثار موجودة لدى فرد من البشر، وفي فرد آخر تتجلَّى صِفة الأنانية، وذلك يعود لعدَّة عوامل؛ أهمُّها التربية والبيئة الاجتماعية، والصِّفات الشخصية التي يصقلها المرء في ذاته، ويعمل على تَنميتها.

وقلنا: عوامل بيئية، واجتماعية؛ لأنَّ الإنسان عَبر التاريخ في مجتمعاته دائمًا ما يكون هناك صِفات سائدة يشتهر بها مجتمعٌ ما على حساب صِفات أخرى؛ فمثلًا يشتهر المجتمع الألماني بعمليَّته، ونشاطه، والتزامه تجاه عمله، ومجتمعه، بينما يشتهر الياباني بأخلاقه العالية التي عملَت على بِناء دولةٍ عظيمة بعد كارثةٍ لا يمكن توقُّع أن تقوم بعدها دولة؛ ألا، وهي الحرب التي تعرَّضَ فيها هذا البلد لظلمٍ هائل أدَّى إلى دمارها تمامًا، فضلًا عن الزَّلازل التي تحصل فيها، والأعاصير، والكوارث الطبيعيَّة بشكل عام، بينما يَمتاز العربي بصِفات عدَّة كأيِّ مجتمع آخر؛ منها الإيجابية، ومنها السلبية، ويستمد كل مجتمع صِفاته من ظروف عيشه، ومعتقداته، وما يمرُّ به من تجارب تجعله يصوغ قوانينه.

وبما أنَّ العرب في بداياتهم عاشوا في مجتمعاتٍ بدوية وصحاري؛ أي: إنَّهم عاشوا حياةً صعبة نِسبة إلى غيرهم من المجتمعات؛ فقد تربَّت لديهم بعض الصِّفات المميَّزة؛ كالكرم، والشَّهامة، والنَّخوة والشَّجاعة، وهذه الصِّفات ظهرَت نظرًا لصعوبة العيش؛ بحيث اكتشف الإنسان العربي أنَّ عليه أن يساعِد غيرَه ليحصل على المساعدة، ويستمر في البقاء هو، وغيرُه.

وفيما بعدُ تمَّ توارث هذه الصِّفات حتى أصبحَت عاداتٍ متعارَفًا عليها، ويشتهر بها العرب؛ فمثلًا أي زائر غريب لمجتمع عربي يلاحِظ أنَّ هذا المجتمع بالحدِّ الأدنى يمتلِك صفةَ النَّخوة، وهي عِبارة عن صِفة يكون فيها الفرد قابلًا لتقديم المساعدة دون أي مقابل، ويقوم بنصر المظلوم، ولو على حِساب نفسه، وهي تشبه صِفةَ الإيثار، بينما هي بالمعنى الأشمل لها تحتوي على الإيثار، والشَّهامة في نفس الوقت، وهي صفةٌ جيدة يمتدح كل مَن يحملها، ويتم تعزيزها دائمًا لدى الفرد.

ومن أهمِّ الصِّفات العربية الأصيلة، والأخلاق الإسلامية التي تُميِّز المجتمع، والتي نحن بصدد الحديث عنها: النخوة، والشهامة، فما هي؟

- قال ابن مسكويه: الشَّهامة هي: "الحرص على الأعمال العِظام؛ توقُّعًا للأحدوثة الجميلة، وقيل: الشَّهامة هي: الحِرص على الأمور العظام؛ توقعًا للذِّكر الجميل عند الحقِّ، والخلق".

- وقيل هي: "عزَّة النَّفس، وحرصها على مباشرة أمور عظيمة، تَستتبع الذِّكر الجميل".

- والنَّخوة: اسم، والجمع: نَخَوات ونَخْوات، مصدر نخا.

- النَّخوَة: الحماسة، والمُروءة.

- النَّخوَة: العظمةُ، والتكبُّر.

كم هي جميلة لغتنا العربيَّة! وكم من كلمة يتداولها ملايين البشر من العرب عبر أصقاع الوطن العربي بشكلٍ متكرِّر دون محاولة منهم لتفسيرها؛ فهم يفهمون ما يقصدون، ولكن إذا أردنا التعريفَ الدَّقيق للكلمة؛ فهذا يزيدنا متعةً بلغتنا العربيَّة التي تحتوي كل أسرار الرَّوعة، والإبداع.

مَن منَّا لم يسمع بكلمة "نخوة"، فإذا حصلَت مصيبة قال فلان: أنا أعِين أصحاب تلك المصيبة على مصيبتهم، فيجيبه رفيقُه: والله إنَّك فعلًا رجل عندك نخوة، وإذا ما تقاعس فلان آخر من النَّاس عن مساعدة أناسٍ هو قادر على مساعدتهم قيل له: أليس عندك نخوة يا رجل؟! عيبٌ أن تقِف مكتوفَ اليدين فلا تساعدهم، فما المعنى اللُّغوي الدَّقيق لكلمة "نخوة"؟

والنَّخوة على أكثر الأقوال رجوحًا عند أهل اللُّغة مختصَّة بالرِّجال دون النِّساء، فهي تعتبر من تمام الرُّجولة، بل قد يعتبرها الكثيرون أنَّها هي ميزان الرجولة؛ فالنَّخوة هي كل ما تحمله النَّفس من طبائع حميدة تحمل صاحبها على أفضل الأخلاق، وأحسن العادات، وأطيب الكلام، وهي تؤدِّب صاحبها بكلِّ أدب رفيع، وهي أيضًا هبته لنصرة كل حق.

النَّخوة: هي مقياس الرُّجولة عند الكثير من شعوب الأرض، ولذا خُصَّ بها الرجال دون النِّساء، وهي خُلُق عربيٌّ أصيل منذ فجر التاريخ، وقد حث الدِّين الإسلامي الحنيف على كل خُلق كريم، وكلما زادت

أخلاقُ المرء، وعاداته الطيبة زادَت نخوته، فالنَّخوة هي التطبيق العملي حين الحاجة لِما هو مخزون في النفس من صلاحٍ في الأخلاق.

إنَّ اختصاص النَّخوة بالرجال إنَّما هو اختصاص لعِلَّة الملازمة بين التطبيق العملي حين الحاجة، وبين أن يكون المطبِّق رجلًا؛ حيث إنَّه يفترض بالرجل أن يكون أكثر جرأة، وأعلى صوتًا، وأبلغ حجَّة، وأقوى عضلًا، وأشد شكيمة، وهذا لبِنْيَة خَلقه، فاختصاصها بالرجال لعِلَّة الملازمة، ولكن لا يَعني ذلك عدم، وجود تلك الصِّفات الحميدة – من عدم السكوت على الظُّلم، والنصرة للحقِّ، وغيرها – في الإناث، ولكن لأنَّ طريق الأنثى في التَّعبير يكون ألطف من الرَّجل، وسبيلها غير سبيله، فلذلك قال العرب: رجل ذو نخوة، وقَلَّ – أو ندر– استعمال العرب للتعبير: (امرأة ذات نخوة).

كان للنبيِّ – صلى الله عليه وسلم – النَّصيبُ الأوفى من هذه الصِّفة، فكان صلوات الله وسلامه عليه أحسَنَ النَّاس، وأجودَ الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فَزِع أهلُ المدينة ليلة سمعوا صوتًا، قال: فتلقَّاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم على فرَس لأبي طلحة عري، وهو متقلِّد سيفه، فقال: "لم تراعوا، لم تراعوا"، ثمَّ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "وجدتُه بحرًا"؛ يعني: الفرس.

وعن أبي إسحاق قال سأل رجل البراءَ رضي الله عنه، فقال: "يا أبا عمارة أَوَلَّيتم يوم حنين؟ قال البراء، وأنا أسمع: أما رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم لم يُوَلِّ يومئذٍ، كان أبو سفيان بن الحارث آخذًا بعنان بغلته، فلمَّا غشيه المشركون نزل، فجعل يقول: "أنا النبيُّ لا كَذِب، أنا ابن عبدالمطَّلب".

• حادثة تبيِّن لنا شهامةَ عثمان بن طلحة رضي الله عنه، تقول أمُّ سلمة رضي الله عنها: "... وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرّق بيني، وبين زوجي، وبين ابني، قالت: فكنتُ أخرج كلَّ غداة فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنةً، أو قريبًا منها، حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عمِّي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تُخرِجون هذه المسكينة، فرَّقتم بينها، وبين زوجها، وبين ولدها، قالت: فقالوا: الحقي بزوجك إن شئتِ، قالت: وردَّ بنو عبدالأسد إليَّ عند ذلك ابني، قالت: فارتحلتُ بعيري ثمَّ أخذتُ ابني فوضعتُه في حجري، ثمَّ خرجتُ أريد زوجي بالمدينة، قالت: وما معي أحدٌ مِن خلق الله، قالت: قلتُ: أتبلَّغ بمن لقيتُ حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنتُ بالتنعيم لقيتُ عثمانَ بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبدالدار، فقال: أين يا بنت أبي أميَّة؟

قالت: أريد زوجي بالمدينة، قال: أوما معك أحد؟ قلتُ: لا والله إلَّا الله وابني هذا، قال: والله ما لك من مَتْرَكٍ، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي به، فوالله ما صحبتُ رجلًا من العرب قط أرى أنَّه كان أكرمَ منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثمَّ استأخر عنِّي، حتى إذا نزلنا استأخر ببعيري فحطَّ عنه، ثمَّ قيَّده في الشجرة، ثم تنحَّى إلى شجرة فاضطجع

تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثمَّ استأخر عنِّي، فقال: اركبي، فإذا ركبتُ فاستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاد بي حتى ينزل بي، فلم يزل يَصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلمَّا نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية – وكان أبو سلمة بها نازلًا – فادخليها على برَكة الله، ثمَّ انصرف راجعًا إلى مكَّة، قال: وكانت تقول: ما أعلم أهلَ بيتٍ في الإسلام أصابهم ما أصاب آلَ أبي سلمة، وما رأيتُ صاحبًا قط كان أكرمَ من عثمان بن طلحة".

الشهامة في شعر العرب:

قال أوس:

حتى أُتيحَ له أخو قَنَصٍ ... شهمٌ، يُطِرُّ ضَوارِيًا كُثُبَا.

– وقال ابن سيده:

شهمٌ إذا اجتمع الكماةُ، وألهمَتْ ... أفواهها بأواسطِ الأوتارِ..

– وقال الشاعر:

شهمُ الفؤادِ ذكاؤُه ما مثلُه ... عندَ العزيمةِ في الأنامِ ذكاءُ.

– وقال الشاعر:

يابسُ الجنبين مِن غيرِ بُؤسٍ ... ونَدِي الكفين شهمٌ مدِلّ.

- وقال ابن هرمة:

حَيِـيٌّ تقـيٌّ سـاكنُ الطيـرِ وادعٌ   إذا لـم يُتَـرْ، شـهمٌ إذا تِيـر مـانعُ.

- وقال الشاعر:

- جميعُ الكتبِ يدركُ مَن قراها.

- فتورٌ أو كلالٌ أو سآمَةْ.

- سوى القرآنِ فافهمْ، واستمعْ لي.

- وقول المصطفى يا ذا الشهامةْ.

- وقال آخر:

لك في الشَّهامةِ، والصرامةِ موقفٌ   لصــفاته إعجــازُ كــلِّ مفــوَّهِ.

- رسالة المتنبي الأخيرة إلى سيف الدولة"

- تأبى الرجولة أن تدنس سيفها قد يغلب المقدام ساعة يغلب.

- في الفجر تحتضن القفار رواحلي، والحر حين يرى الملالة يهرب.

- قال خالد أبو حمدية.

– الرجولة ظل.

– والأنوثة مظهر لوضوح الظلال.

***

– الأنوثة غاية.

وسيلتها المرأة.

" إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق "

أما عن الأخلاق فهى كما ذكرت فى المقالات السابقة هي المنظم الأساسي للمجتمع، والتى إن تم استدعائها من مخابئها، واستعادتها، وتفعيلها من جديد ستكون بلا شك المنقذ الوحيد، والمخرج الآمن للوطن من عنق الزجاجة الذى اختنق به سنوات طويلة عندما بدأت الأخلاقيات، والقيم، والتقاليد في التلاشي، والحفظ فى ألبومات للذكريات فحسب!

وقبل أن أتطرق للقيمة الأخلاقية التى يختص بها مقال اليوم، وهى "الشهامة، والمروءة" أود عرض قواعد السعادة السبع لأمير المؤمنين "علي بن أبى طالب"، فما هي إلا مجموعة من الأخلاقيات الحميدة:

١– لا تكره أحدا مهما أخطأ فى حقك.

٢- لا تقلق أبدا مهما بلغت الهموم.

٣- عش فى بساطة مهما علا شأنك.

٤- توقع خيرا مهما كثر البلاء.

٥- أعط كثيرا، ولو حرمت.

٦- ابتسم، ولو القلب يقطر دما.

٧- لا تقطع دعاءك لأخيك

لا شيء فى الطبيعة يعيش لنفسه.

- **النهر لا يشرب ماءه •**
- **الأشجار لا تأكل ثمارها •**
- **الشمس لا تُشرق لذاتها •**
- **الزهرة لا تعبق لنفسِها •**

"فلنعيش لبعضنا"

- فنكون عونا لبعض، ولا نكون سببا لتعاسة بعضنا البعض.

- إذا لم تنفع فلا تضر.

أما عن الشهامة، والمروءة فكل منا يعرف هاتان الكلمتان جيدًا، ولكننا قد لا نعرف عن معانيهم الكثيرة سوى أنهم رمزان للجدعنة، والنخوة مع الآخرين بالمعنى الشعبى الشائع.

ولكن للشهامة، والمروءة تعريفات مفصلة قد لا يعرف معظمنا عنها أي شيء، وإليكم بعض المعلومات عنهما كما يلى:

"الشهامة":

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - رغم عداوة قريش، وإيذائها للمؤمنين، لما جاءه أبو سفيان يطلب منه الاستسقاء لم يرفض لحسن خلقه، وشهامته، ورغبته في هدايتهم، فإنَّ الشهامة، ومكارم الأخلاق مع الأعداء، لها أثر كبير فى ذهاب العداوة، أو تخفيفها.

لذا فالشهامة من مكارم الأخلاق الفاضلة، وهي من صفات الرجال العظماء. تشيع المحبة فى النفوس. تزيل العداوة بين الناس. فيها حفظ الأعراض، ونشر الأمن في المجتمع. إنَّها علامة على علو الهمة، وشرف النفس.

ومن الوسائل التي تعين المرء على اكتساب صفة الشهامة: "الصبر": قال الراغب الأصفهاني: الصبر يزيل الجزع، ويورث الشهامة المختصة بالرجولية.

(الذريعة إلى مكارم الشريعة) للراغب الأصفهاني (ص ١١٥).

أما " المروءة" فهى:

صدقٌ في اللسان ، واحتمال للعثرات، وبذل للمعروف، وكف للأذى، وكمال في الرجولة، وطلاقة للوجه، المروءة من خصال الرجولة فمن كانت رجولته كاملة كانت مروءته حاضرة.

– فالمروءة مع الله تعالى: بالاستحياء منه حق الحياء، وأن لا يقَابَل إحسانه، ونعمته بالإساءة، والكفران، والجحود.

– المروءة مع النفس: بحملها على ما يجمّلها، ويزينها، وترك ما يدنّسها، ويُشينها، والارتقاء بها إلى مراتب الحكمة.

– المروءة مع الخلق: بالسعى في قضاء حاجاتهم، وبشاشة الوجه، ولطافة اللسان، وسعة الصدر، وسلامة القلب، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك.

كما أن لنا في قصة موسى عليه السلام التي وردت فى القرآن الكريم، أسوة حسنة فى ما يخص فضيلتي الشهامة، والمروءة:

قال تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى

يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَي مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" [القصص: ٢٣– ٢٤].

أما عن الشهامة، والمروءة في العصر الحديث ، فبالكاد تجدهما، ولكن بعد تظن كل الظن أنه لم يعد لهما أي وجود!

فقد تربينا بمجتمعات شرقية تحترم الأديان، وتقدس العادات، والتقاليد، وتتكاتف عندما تحل الشدائد، والملمات، ويتكأ كلُ منا على الآخر عندما يضيق به الحال، وهو مطمئن القلب.

أين ذهبت تلك الفضائل، ومن ذا الذي أطاح بها لصالح أخرى دخيلة لا نعرفها، ولا تعرفنا، ولا تليق بنا؟

أين الأمان، والاطمئنان عندما كانت الفتاة تخرج ذهابًا، وإيابًا دون خوف، أو جزع، فإن حدث لها مكروه، أو تعرض لها أحد بسوء، تجد عشرات بل مئات المدافعين ممن لا تعرفهم، ولا يعرفونها، ولكنها الشهامة، والمروءة التي كان يتحلى بها المصريون إلى زمن ليس ببعيد!

أما في تلك السنوات الصعاب لا يأمن المرء جاره، أو صديقه، أو حتى أحد أقاربه فى بعض الأحيان!

فبات أمرًا مألوفًا عاديًا أن تتعرض الفتيات، والسيدات للتحرش، وربما الاغتصاب، وفي أماكن مكتظة بالآخرين الذين يسلكون آنذاك منهج (لا أسمع، لا أرى، لا أتكلم)، وأضيف عليهم (لا أتدخل)!

فكم من مرات سمعنا عن مواطنين تعرضوا للسرقة، والضرب، وربما القتل فى بعض الأحيان، ذلك في وضح النهار، وعلى مرأى، ومسمع الجميع ممن تواروا خلف أتربة الخيبة، والضعف، والخذلان لأنفسهم قبل أن يكون للآخرين!

وفى ذلك حديث عائشة أمِّ المؤمنين في بداية نزول الوحى، والذي فيه قول خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

"كلَّا، واللَّه ما يخزيك اللَّه أبدًا، إنَّك لتصل الرَّحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضَّيف، وتعين على نوائب الحقِّ... ".

و"عن أبى ذرٍّ رضي اللَّه عنه قال: سألت النَّبى صلى اللَّه عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: إيمان باللَّه، وجهاد فى سبيله. قلت: فأى الرِّقاب أفضل؟ قال: أعلاها ثمنًا، وأنفسها عند أهلها: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق. قال: فإن لم أفعل؟ قال: تدع النَّاس من الشَّرِّ، فإنَّها صدقة تصدَّق بها على نفسك".

– وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النَّبى صلى الله عليه وسلم قال: "السَّاعى على الأرملة، والمسكين، كالمجاهد فى سبيل اللَّه، وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر، وكالصَّائم لا يفطر".

– وعن سهل رضى اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: "أنا، وكافل اليتيم في الجنَّة هكذا، وأشار بالسَّبَّابة، والوسطى، وفرَّج بينهما شيئًا".

الرجولة، وصراع الحياة

هي أن يكون الرجل في أفضل صفاته، وأن يحارب من أجل الحياة الفاضلة، والأخلاق، والشرف، والعز في كل مناحي الحياة، وأن يقوم بدوره كرجل بشكل كامل سواء كأب، أو كأخ، أو كزوج، أو كصديق، أو كمواطن.

تبدأ الرجولة من ثقة الرجل بنفسه، وبقدراته العقليّة، وفهمه للحياة، حيث إنّ هذه الصفات تُغيّر حتى من طريقة مشيته فتجعله يمشي رافعاً لرأسه، فالرجل الواثق من نفسه لا يخشى مواجهة أي تحدّي من تحديات الحياة، ولا يسعى لجذب النساء؛ لأنّهنّ سينجذبن تلقائيًّا له، ولشخصيّته الواثقة.

الرجل الحقيقيّ يتّجه نحو ما يحبّ، ويرغب، ويراه صحيحًا، ولا يهتمّ بالقيام بالأشياء في سبيل إبهار الناس بل يقوم بها لنفسه بما أنّها لا تؤذي أحدًا، فعلى سبيل المثال إذا اتّجه نحو العمل في مجال معيّن يعمل في هذا المجال؛ لأنّه يحبّه لا للفت النظر.

الرجل الحقيقيّ لا يكذب، ويعرف الجميع بأنّه مخلص، وأمين، ويحبّون أن يجلسوا معه، وأن يتعاملوا معه، ولا يخجل الرجل الحقيقيّ من

طلب النصيحة من الغير فهي لا تقلّل من ثقته بنفسه، وعادة ما يكون مخلصًا في الحب، ولا يهمّه الماضي عند بداية علاقة حب جديدة.

يعرف الرجل الحقيقيّ كيف يحترم، ويعامل الآخرين من الكبار، والصغار، والأصدقاء، فتجده يمسك الأبواب مثلاً حتى يدخل الآخرين، وتراه يتخلّى عن مقعده ليجلس الآخرين، ويصافح الناس باحترام، ويحبّ والديه، ويزورهما، ويتصدّق، ويعمل الخير دون أن يكون هدفه لفت الانتباه.

- السيطرة على النفس يتمالك الرجل الحقيقيّ أعصابه، ويسيطر على نفسه في الخلافات، والأوقات الصعبة، فتجده يحاور، ويناقش بدلًا من توجيه الإهانات، أو الأحكام، أو استعمال العنف مع الآخرين.
- غير تقليديّ الرجل الحقيقيّ ينفّذ قرارته الشخصيّة، ويقوم بعمل الأشياء التي يهتمّ بها، ويحبّها دون الاهتمام لنمطيّة المجتمع، والعادات، وما سيقوله الناس ما دامت قراراته لا تؤذي أحدًا، كما أنّه يتحمّل المسؤوليّة إذا أخطأ، ويعترف بذلك، ولا يلقي اللوم على الآخرين لتبرئة نفسه.

قل للمرء أنه شجاع، وسوف تساعده على أن يصبح كذلك.

لابد أن يدرك الرجل حقيقة هامة ألآ، وهي أن الرجولة أفعال، وليست أقوال. أشجع الناس من قاوم هوى نفسه، وحبسها عن الدنيا.

- لا تتحدى إنسانًا ليس لديه ما يخسره. ليست الشجاعة أن تقول ما تعتقد، إنما الشجاعة أن تعتقد كل ما تقول.

- إذا لم تستطع الاختيار بين طريقين متساويين للتصرف اختر الأجرء. الشجاعة هي ما أن تقف، وتتحدث، وهي أيضا أن تجلس، وتستمع.

- وليس يعاب المرء من جبن يومه، وقد عرفت منه الشجاعة بالأمس.

- الرجل الشجاع هو من يتحمل نتائج عمله.

- قال ابن القيّم، ومن أسباب السعادة الشجاعة فإن الله يشرح صدر الشجاع بشجاعته، وإقدامه.

- هناك وفرة في الذكاء في العالم لكن الشجاعة في عمل الأشياء بشكل مختلف قليلة الوجود.

- ستتحقق كل أحلامك إذا كنت تملك الشجاعة لمطاردتها. الرجل الصالح هو الذي يحتمل الأذى، لكنه لا يرتكبه.

- إذا خانتك قيم المبادئ فحاول ألا تخونك قيم الرجولة. لو عرف الرجال عظمة رجولة تعترف بالخطأ؛ لتجملوا بالاعتذار.

- القدرة على الرفض هي المعيار الحقيقي للرجال. خلف كل رجل عظيم امرأة خلته يطلع همه في الشغل.

- زينة المرأة عفافها، وزينة الرجل شخصيته. مجد المرأة جمالها، ومجد الرجل قوته. المتاعب، والآلام هي التربة التي تنبت فيها بذور الرجولة، وما تفتقت مواهب العظماء إلا وسط ركام المشقات، والجهود.

- الرجولة: هي الذراع التي تمتدّ لتحمي، والعقل الذي يفكر ليصون، والقلب الذي ينبض ليغفر.

- فن أن تكون مرة شجاعًا، ومرة حذرًا، وهو فن النجاح.

- عيش يوم واحد كالأسد خير من عيش مئة سنة كالنعامة.

- الجبناء يهربون من الخطر، والخطر يفر من وجه الشجعان.

- إن الجبان يموت آلاف المرات، ولكن الشجاع لا يذوق الموت إلا مرة واحدة. الشجاعة أهم الصفات الإنسانية؛ لأنها الصفة التي تضمن باقي الصفات.

- أخذ خطوة جديدة، ونطق كلمة جديدة هو أكثر شيء يخافه الناس.

– من لا يجد في نفسه الشجاعة الكافية للمخاطرة لن يحقق شيئًا في حياته.

– إذا كان صاحب البيت جبانًا، واللص جريئًا، فالبيت ضائع لا محالة. الشجاعة: هي الصبر الجميل على الشدائد.

– ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب، والموت واحد. عندما تدافع عن أفكارك أمام العامة، يجب عليك أن تكون قويًا، وشجاعًا للعيش من أجلها.

كثيرًا ما يتملكنا شعور بالخوف من أشياء، أو مواقف معينة، فلا يمكن إزالة هذا إلا بالخوف من الله سبحانه، والتوكل عليه.

حتى الذين أضحت شجاعتهم مضرب المثل، لا يمكنهم الإدعاء أن الخوف لم يتطرق إلى قلوبهم.

– ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة : الشجاع في الحرب، والكريم في الحاجة، والحليم عند الغضب. الشجاعة تقود إلى النجوم، والخوف يقود إلى الموت.

– أهم شيء هو ألآ تخاف، فعدوك الذي يجبرك على التراجع يخافك في تلك اللحظة ذاتها.

– ومن يتهيّب صعود الجبال يعش أبد الدّهر بين الحفر. الجبن، والشّجاعة غرائز، وأخلاق، فالجبان يفر عن عرسه، والشجاع يقاتل عمّن لا يعرفه.

– تعلمت أن الشجاعة ليست غياب الخوف، ولكن القدرة على التغلب عليه. عندما تتحقق من أن القوة الوحيدة التي تمتلكها للسيطرة على نفسك هي إيمانك بها عندئذ يمكنك أن تسمو فوق كل السلبيات، وسوف تصبح حرًا إذا جربت هذه الحقيقة، وطبقتها على نفسك.

– تعلمت عبر التاريخ أنه إذا كان الشخص مصممًا على شيء فإن هذا يهزم الخوف، ومعرفة ما يجب فعله تلغي الخوف.

– ابتعدي عن رجل لا يملك شجاعة الاعتذار حتى لا تفقدي يومًا احترام نفسك، وأنت تغفرين له إهانات، وأخطاء في حقك، لا يرى لزوم الاعتذار عنها، سيزداد تكرارًا لها، وإحتقارًا لك. الشجاعة التي نريدها، ونكافئ عليها ليست شجاعة الموت بطريقة مشرفة، بل شجاعة الحياة برجولة.

– الشجاع من يخلق من اليأس أملًا؛ لأن اليأس فيه طعم الموت، ولأن الشجاعة معنى الحياة. إن العواصف تجعل جذور الأشجار تتمسك بالتربة فتصبح جذورها أعمق في باطن الأرض.

- الرجولة لا تحتاج إلى برهان بينما الإنسانية تحتاج؛ لأن نبرهن عليها في كل لحظة. إن الشعوب كالأشخاص في طور الطفولة تميل إلى التحطيم، وفي طور الرجولة تنصرف إلى الإنشاء. صرخت سوريا أين الرجولة فأجابت الرجولة مشغولة حاليا بضرب نساء العائلة، وإصدار الأوامر.

- علينا أن نقدم الاعتذار بنية صادقة معترفين بالأذى الذي وقع على الآخر، كلنا نخطئ، ولكن حينما نخطئ، ونعرف خطأنا يجب علينا المسارعة بالاعتذار، فذلك دليل الشجاعة، والمحبة، والثقة بالنفس، وقوة الشخصية. الفشل لا يهم، فمن الشجاعة أن تجعل من نفسك أضحوكة.

- نحن لا يمكن أن نتعلم الشجاعة، والصبر إذا كان كل شيء في العالم مليئًا بالفرح. البحث عن المصائب ليس شجاعة، وإنما غباء الشجاعة هي الاستعداد لمواجهة المصائب التي لا مهرب منها برباطة جأش.

- اتخاذك الوضع الدفاعي يشير إلى قوة غير كافية، بينما الهجوم يستلزم توفر القوة الزائدة.

مع مرور الزمن نضحك على ما كنا نخاف منه سابقًا. هناك ثقافة واحدة هي ثقافة القوة حين أكون قويًا يحترم الناس ثقافتي، وحين أكون ضعيفًا أسقط أنا، وتسقط ثقافتي معي. متى فقدت المهابة فقدت

الرجولة، والأنوثة معًا، إذ لا أنوثة بلا رجولة؛ لأن الرجولة هي الهيبة، والقبض، والأنوثة هي الأنس، والبسط.

- هربت كما يهرب جميع الرجال الرجولة، أو ما نسميه رجولة، هي الهرب فداخل الهوبرة، والتشبيح، والكلام الكبير، هناك الهرب من مواجهة الحياة. في بعض الأحيان الخطوة الأولى هي الخطوة الأصعب تقدم، وأخطوها فقط، وليكن لديك الشجاعة الكافية؛ لأن تتبع إحساسك، وحاستك السادسة.

- وقد كانت رجولة محمد عليه الصلاة، والسلام في القمة بيد أن قواه الروحية، وصفاءه النفسي جعلا هذه الرجولة تزداد بمحامد الأدب، والاستقامة، والقنوع.

- متى نفهم أن الرجولة هي الجلد على العمل، وحمل المسؤولية، والصمود للعقبات الجسام، والبطولة في الميدان، وفداء الأوطان، وأن المجد الحقيقي ليس مكانه مخادع الغواني، وإنما المعامل، والمصانع، والحقول، وميادين القتال.

- إن الرجل سر حياة الأمم، ومصدر نهضاتها، وإن تاريخ الأمم جميعًا إنما هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس، والإرادات، وإن قوة الأمم، أو ضعفها إنما تقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذين تتوفر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة.

- أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر، والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة، والدعة، وانغمسوا في النعيم، والترف، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم، وأنفسهم إليّ، وإليهم.

- إنما الرجولة في خلال ثلاث: غمل الرجل على أن يكون في موضعه من الواجبات كلها قبل أن يكون في هواه؛ وقبوله ذلك الموضع بقبول العامل الواثق من أجره العظيم.

- والثالثة: قدرته على العمل، والقبول إلى النهاية. هناك حكمة تقول: فعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل، ومعناها أن الأفعال أقوى تأثيرًا من الكلام فلو أن رجل فعل موقف أخلاقي يدل على الأمانة مثلًا سيكون أقوى بشدة في آلاف الناس من ألف محاضرة يلقيها إنسان عن الأمانة.

- ربّ رجل وسيم غير محبوب، وربّ رجل وسيم محبوب غير مهيب، وربّ رجل وسيم يحبه الناس، ويهابونه، وهو لا يحب الناس، ولا يعطف عليهم، ولا يبادلهم الوفاء، أما محمد عليه السلام فقد استوفى شمائل الوسامة، والمحبة، والعطف على الناس فكان على ما يختاره واصفوه، ومحبوه، وكان نعم المسمى بالمختار.

- الرُّجولة نفتقدها في واقعِ أمتنا؛ لأنه، وعند الأزمات تشتد الحاجة لوجود الرجال الحقيقيين... سيُحيطُ بنا العدو من كلِّ مكان... سنمر بأعسر لحظاتنا... سيعتري واقِعنا شدّةٌ شديدة... وفقط عند الشدائد تُعرفُ معادنُ الرِّجال.

- وجدتُ معنى الرجولة في سورة النور : "رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ" (٣٧). رجالٌ مكان نشأتهم في المساجد قد تعلقت قلوبهم بها... لا تلهيهم عن الصلاة تجارة، ولا بيع، ولا ربح.

وجدتُ الرجولة أيضًا في، قال تعالى:"مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ" في سورة الأحزاب آية(٢٣)... عاهدوا الله ثم صدقوا في الوعد، صدقوا ما عاهدوا الله على هذا المنهج، استمروا عليه، تشبثوا به، وساروا غير مضطربين، ولا متحيرين، لا تعيقهم العوائق، ولا تقف أمامهم الصعوبات، ولا الشهوات، ولا الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام.

وجدتها أيضًا في سورة يس، وفي القصص، وفي التوبة، وفي النحل، وفي الكهف... وجدتها في قصة يوسُف عليه السلام حين أبى الفتنة، واستعصم، وصبر فمكن الله له في الأرض ، وجدتها في قصة موسى عليه السلام حين سقى للفتاتين بكل شهامة، وأدب ، وجدتُ

الرجولة في كل ركن من أركان القرآن... وجدتُ الرجولة في قول أبي بكرٍ رضي الله عنه لخالد حين حاصر بلاد الحيرة: يا خالد أرسلت لك رجلا بألف رجل... وكان القعقاع بن عمرو التميمي.

وجدتها حين جلس أمير المؤمنين عمر – رضي الله عنه – يوما مع أصحابه فقال لهم: تمنوا ، فقال الأول: أتمنى لو أن لي دار مملوءة ذهبا أنفقه في سبيل الله، وقال الثاني : أتمنى لو أن لي دارا مملوءة لؤلؤًا، وجواهرًا أنفقها في سبيل الله، فقالوا له، وأنت يا أمير المؤمنين ماذا تتمنى؟ فقال – رضي الله عنه –: أتمنى لو أن لي رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة فاستعين بهم على إعلاء كلمة الله.

وجدتها في ذلك الصغير حين كان أمير المؤمنين عمر – رضي الله عنه – يمر في طريق من طرقات المدينة على أطفال يلعبون فلما رأوه هرولوا، ولم يبق منهم إلا واحدا، وهو عبد الله بن الزبير فقال له عمر: لم لم تهرب مع أصحابك؟ فقال الطفل الذي تلمع فيه حياة الرجولة يا أمير المؤمنين: لم أفعل ذنبا فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقة، فأوسعها لك.

الرُّجولة كلمة عظيمةٌ واسعةُ المعاني... تتألقُ معانيها بحضور الإسلام، وتزهر.

الرُّجولة نفتقدها في واقعِ أمتنا لأنه، وعند الأزمات تشتد الحاجة لوجود الرجال الحقيقيين... سيُحيطُ بنا العدو من كلِّ مكان... سنمر

بأعسر لحظاتنا... سيعتري واقِعنا شدّةٌ شديدة... وفقط عند الشدائد تُعرفُ معادنُ الرِّجال... كثيرًا ما كانت جدتي تقول: "الشدّة بتصنع رجال" وفعلًا هي على حق، لا تفوح رائحةُ العود إلا حين يحترق ، ولا ينضجُ الخبزُ إلا حين يسكنُ الفرنَ زمنًا ما...

الرجل أيضًا هو مَن يغار على زوجته، وابنته، وأخته فلا يسمح لها بالخروج دون حجابها الشرعي، أو متبرجة... لأنه برأيي البيت الذي تخرج منه الفتاة متبرجة هو بيت لا رجال فيه؛ لأن الرجل غيور على محارم الله، وحدوده.

الرُّجولة التي أتحدثُ عنها تلك التي ازدانَ بها رسولنا مُحمَّد- صلَى الله عليه وسلم -واقتفى أثرها أصحابه... كان رسولنا أبًا ناجحًا وزوجًا حنونًا صبورًا، وأخًا وصاحبًا، وفياً ورَجُلَ دولةٍ محنَّكًا، وفارسًا ذكيًا سريعَ البديهة... كان عنوانًا للرحمة وحسن الخُلُق... وبه اقتدى صحابته الكرام، وكل من أراد أن يكون رجُلًا مسلمًا مؤمنًا.

الرَّجُل في نظري من اقتدى برسول الله، من كان همُّ فكره في معالي الأمور لا في سفاسِفها.. من جعلَ رضا الله مبتغاه فحاربُ هواه، ونفسه في سبيل الله فهو جهادُ نفسٍ قبل أن يكون جهاد عدو... الرجلُ في نظري ذلك الجاد في مواضع الجد... الرحيم الحنون في مواضع اللين...لأن لكل مقامٍ مقال... وهو ذلك الذي يبتعد عن الميوعة، ويعتز بشخصيته المسلمة... ذلك الشهم الذي يُكرمُ المرأة في إطار حقها

المشروع في الدين دون أن يكبتها كبتًا بلا نفس، ودون أن يتركها تركض بلا رقيبٍ لها يحفظها من دعاة حرية المرأة المزعومة التي تخالف ما جاء به إسلامنا... فإسلامنا منح المرأة حرية، وحقوقًا كاملة لم يمنحها إياها دعاة تحررها من حيائها، ودينها.

الرجل أيضًا هو مَن يغار على زوجته، وابنته، وأخته، فلا يسمح لها بالخروج دون حجابها الشرعي، أو متبرجة... لأنه برأيي البيت الذي تخرج منه الفتاة متبرجة هو بيت لا رجال فيه... لأن الرجل غيور على محارم الله، وحدوده.

لا أرسم صورة خيالية مثالية لمعنى الرجولة فهي باختصار اتبّاع لتعاليم الإسلام، وتحرٍّ شديد لاجتناب المعاصي، واقتداء برسول الله، وصحابته... هذا باختصار دون إطالة في الوصف، والكلام... فهل ننظر للرُّجولةِ من هذا العمق يا تُرى؟

قد تمر بالإسلام أزمات، قد تمر بالمسلمين شدائد، وضائقات، قد يمر بالمسلمين عسر شديد، تنقطع بهم السبل فيتحير الناس، ويضطربون، ويميدون، ويحيدون عن شرع الله، فترى الناس متفرقين شذر مذر، لا يرى أحدهم الحق، ولا يتبعه، حيرتهم فتن الحياة الدنيا، فاضطربوا اضطرابًا شديدًا، وتبعثروا وتفرقوا، من الذي يثبت في هذه الحالة؟ من الذي يقوم بواجب التثبيت في هذه الحالة التي تقع فيها الفتن بالمسلمين، نحتاج إلى عناصر مثبتة، تثبت المسلمين على المنهج

الرباني، من الذي يثبت؟ في حالة الأزمات تكتشف أنت معادن الرجال، يفضي كل رجل إلى معدنه الخالص؛ ليستبين أمام الناس هل هو من أهل العقيدة أم لا؟ هل هو رجل عقيدة، أم لا؟ في حالة الأزمات يتبين الرجال الذين يقفون على منهج الله بأقدام راسخة.

قال الله تعالى: "قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" سورة المائدة:٢٣. موسى عليه السلام يأتي ببني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة، ويعدهم بنصر الله تعالى، ويبشرهم، ويقول: إن الله معكم، هيا فقاتلوا هؤلاء الكفرة الذين احتلوا تلك الأرض المقدسة، بنو إسرائيل الذين ما عرف عن طبعهم إلا الغدر، والخيانة، إلا النكوص عن شرع الله، وطريقه، ماذا قالوا؟ كلمة قبيحة جداً قالوا: "فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" سورة المائدة: ٢٤.

أنت، وربك يا موسى قاتلا، نحن ننتظر النتيجة؛ إن انتصرتم جئنا، ودخلنا المدينة، إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَبكل وقاحة، موسى نبي الله ليس معه أحد، كل القوم نكصوا، "قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي" سورة المائدة:٢٥.

موقف صعب، موقف شديد، تخلا القوم عن نبيهم، تركوه وحيدًا أمام الأعداء، هذه أزمة، أليس كذلك؟ من الذي يقوم الآن في هذه الأزمة، ويثبت الناس، ويقول لهم: يا أيها الناس، اثبتوا على شرع الله،

اثبتوا على الطريق، لا تنهزموا أمام الأعداء، النصر قادم بإذن الله، تمسكوا بشرع الله، والله ينصركم، "إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ" سورة محمد:٧.

قام هؤلاء الرجلان: "قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا بنعمة الإيمان والإسلام والثبات، قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ، اقتحموا؛ إنهم جبناء، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" سورة المائدة:٢٣.

أيها الإخوة، هذه النوعية التي نحتاجها حقيقة اليوم في وسط الأزمات التي تعصف بالمسلمين، الأزمات، والفتن التي تجعل الحليم حيران، نحتاج إلى رجال يبصرون الناس بالدين، إلى رجال يكونون قدوة للناس، إلى رجال يثبتون الناس على شرع الله.

الثَّرْثرةُ، وآفات اللسان

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ التي يقع فيها كثير من الناس، وقَلَّ مَنْ يسلم منها، ومع ذلك فهي من أخطر آفات اللسان على صاحبها، فالثرثار من أبغض الناس لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كذلك من أبعد الناس عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم.

والثَّرْثَرَةُ مِنْ أسباب دخول النار، وسبب قسوة القلب، وسقوط صاحبها من أعين الناس، وقلة هيبته، ودليل قلة العقل، والبعد عن الإيمان.

الثَّرْثَارُونَ أَبْغَضُ الناس لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، وَأَبْعَدهم مِنْ مَجْلِسِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

أما دليل كون الثرثار من أبغض الناس لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، و من أبعد الناس عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ما روي عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ

وَالْمُتَفَيْهِقُونَ". قَالُوا يَارَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ قَالَ: "الْمُتَكَبِّرُونَ".

الثَّرْثَرَةُ مِنْ أسْبَابِ قَسْوَةِ القَلْبِ:

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي".

وإنما كان الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب؛ لأن القلب لا يلين إلا بذكر الله تعالى كما قال تعالى: "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ". سورة الرعد آية(٢٨).

فذكر الله تعالى هو غذاء القلب، ومصدر قوته، وترياقه الشافي له من الشهوات والشبهات، وبل هو حياة القلب، فإذا انقطع ذلك عنه ضعف القلب، وتمكنت منه أمراض الشهوات، والشبهات فقسى، فاستحق البعد عن رحمة الله تعالى، أعاذنا الله من الخزي، والخذلان.

وروى مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَانَ: "يَقُولُ لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ. وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ وَانْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلًى وَمُعَافًى فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ".

الثَّرْثَرَةُ من صفات المنافقين:

فإذا كانت الثرثرة مشتملة على السخرية، والاستهزاء بشيء من الشرع، أو بالمؤمنين فإن ذلك دليل على النفاق، وسوء الطوية.

قال تعالى: "وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ". سورة التوبة (٦٥).

وقال تعالى: "إِنّ الّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الّذِينَ آمَنُواْ يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ". سورة المطففين آية (٢٩/ ٣٠).

وقد أثنى الله تعالى على من أعرض عن اللغو وأخبر أن الإعراض عنه من صفات المؤمنين، قال الله تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ". سورة المؤمنون آية (٣:١).

وقال الله تعالى: "فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ". سورة الطور آية(١٢:١١).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ أَمْرِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ نُورٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَنَورٌ فِي الأَرْضِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: لا تُكْثِرِ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيُذْهِبُ نُورَ الْوَجْهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ

فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهُ مَرَدَّةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: صِلْ قَرَابَتَكَ وَإِنْ قَطَعُوكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: لا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: تُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ لا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ".

الثَّرْثَرَةُ دليل سوء الخلق:

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّى أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّى مَسَاوِيكُمْ أَخْلاَقًا الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ".

قال الشيخ ملا علي القاري رحمه الله: وهو يعني قوله: "الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ" إما بدل من مساويكم أخلاقا فيلزم أن تكون هذه الأوصاف أسوء الأخلاق؛ لأن المبدل كالتمهيد، والتوطئة، وإما رفع على الذم فإنه خبر مبتدأ محذوف فيكون أشنع، وأبلغ، وفي النهاية الثرثارون هم الذين يكثرون الكلام تكلفا، وخروجا عن الحق من الثرثرة، وهي كثرة الكلام، وترديده.

ومما يدل على أن الثرثرة من مساوئ الأخلاق، ومن قبيح الصفات، ما حكاه الله تعالى عن حال الشعراء، قال تعالى: "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ". سورة الشعراء آية (٢٢٥:٢٢٤).

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ" سورة الشعراء آية(٢٢٥).

يقول: في كل لغو يخوضون، ولا يتبعون سنن الحق، لأن من اتبع الحق، وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت، ولم يكن هائمًا يذهب على وجهه لا يبالي ما قال.

الثَّرْثَارُونَ شِرَارُ الناس:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، وإِنَّ شِرَارَكُمُ الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ".

وإذا كان الثرثارون أقبح الناس أخلاقا كانوا من شرار الناس؛ وإذا كانوا من شرار الناس، كانوا أقبح الناس أخلاقا لقبح صفاتهم، وسوء أفعالهم.

الثَّرْثَرَةُ مِنْ أسْبَابِ الحسرة يوم القيامة:

من أسباب الحسرة يوم القيامة أن يجلس العبد مجلسا ثم يقوم ولم يذكر الله تعالى فيه، ولو لم يكن فيه شئ من الكلام الحرام، فكيف الحال إذا كان المجلس كله خوض في الباطل، أو وقوع في الغيبة، والنميمة، والبهتان، والسخرية، والاستهزاء نسأل الله تعالى السلامة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ رَأَوْهُ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ".[١٦]

وكما لا يجوز الخوض في الباطل لا يجوز سماع الباطل، ومجالسة من يخوض فيه، فإن المستمع شريك المتكلم.

قال الله تعالى: "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ". سورة الأنعام آية (٦٨).

قال أبو حيان: "حكم تعالى بأنهم إذا قعدوا معهم، وهم يكفرون بآيات الله، ويستهزئون بها، وهم قادرون على الإنكار مثلهم في الكفر، لأنهم يكونون راضين بالكفر، والرضا بالكفر كفر. والخطاب في أنكم على الخلاف السابق أهو للمنافقين؟ أم للمؤمنين؟ ولم يحكم تعالى على المسلمين الذين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين بمكة بأنهم مثل

المشركين، لعجز المسلمين إذ ذاك عن الإنكار بخلاف المدينة، فإن الإسلام كان الغالب فيها، والأعلى، فهم قادرون على الإنكار، والسامع للذم شريك للقائل".

الثَّرْثَرَةُ مِنْ أسْبَابِ دخول النار:

من أسباب دخول النار عياذًا بالله أن يخوض العبد مع الخائضين، فإذا تكلموا في الدنيا تكلم معهم، وإذا ولغوا في أعراض الناس ولغ معهم، وإذا سخروا، واستهزؤوا سخر واستهزأ معهم، وإذا خاضوا في آيات الله تعالى خاض معهم، فاستحقوا بذلك النار؛ لأن هذه صفات المجرمين.

قال الله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ". سورة المدثر آية (٣٨:٤٥).

قال الطبري رحمه الله: "أي وكنا نخوض في الباطل، وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه".

وقال ابن كثير رحمه الله: "أي نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة رحمه الله: كلما غوي غاو غوينا معه".

الله عز وجل يكره الثرثرة:

فعَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ".

وَقَالَ أَبو عُبَيْدٍ: جَعَلَ الْقَالَ مَصْدَرًا كأَنه قَالَ: نَهَى عَنْ قيلٍ وقوْلٍ، وَهَذَا التأْويل عَلَى أَنهما اسْمَانِ، وَقِيلَ: أَراد النَّهْيَ عَنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ مُبتدئاً ومُجيباً، وَقِيلَ: أَراد بِهِ حِكَايَةَ أَقوال النَّاسِ وَالْبَحْثَ عَمَّا لَا يُجْدِي عَلَيْهِ خَيْرًا وَلَا يَعْنيه أَمرُه؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَلا أُنَبِّئُكم مَا العَضْهُ؟ هِيَ النميمةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ أَي كَثْرَةُ القَوْلِ وإِيقاع الْخُصُومَةِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَحْكِي البعضُ عَنِ الْبَعْضِ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: فَفَشَتِ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ.[٢٠]

- وما أحسن ما قال الشاعر:

- وسمعك صن عن سماع القبيح.

- كصون اللسان عن النطق به.

قال ابن عطية: "وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر" من المقارنة كقول الشاعر:

- عن المرء لا تسأل، وسل عن قرينه.

فكل قرين بالمقارن يقتدي.

– وقال تعالى: "وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا". سورة النساء آية (١٤٠).

قال ابن كثير:أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله، ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ﴾ في المأثم".

فكل من جلس في مجلس معصية، ولم ينكر عليهم، يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية، وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ صلى الله عليه وسلم عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ، فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ".

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ".

وعن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: "قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أحنف من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه".

ثرثرةُ المقهى ودُخانه لا تُقِيم كِتابًا، ولا تؤسس كَاتِبًا. الثرثرة تحافظ – فقط – على الوجود الجسدى للمثرثر قبل أن يبلى، ويزول.

والثرثرة أمر مذمُوم فى كل الثقافات، والحضارات، والأديان، وهناك آلاف الأمثلة التى خلقها العقل الجمعي للشعوب التي تبرز مساوئ المثرثرين، وتبين قبح الثرثرة كفعل إنساني كريه، وغير مُستحب؛ لأن الثّرثرة التي هي اللغو لا اللغة، وأشباه الجُمل، والكلام، لا الجُمل، والكلام، وكثرة الكلام بلا طائل، ولا فائدة، فأعتبرها من سوء الخُلق، وقديمًا قال العلماء: "لا أدلَّ على نقص العقل ورقّة الدّين من الثّرثرة".

والثرثرة شهوةٌ أكثر فتكًا من بقية شهوات المرء؛ لأنها خوضٌ فى الباطل، ووقوعٌ فى الغيبة، والنميمة، والبهتان، والسخرية، والاستهزاء، وهي في الأساس ناتجة عن قلة عقل، وفراغ رُوح، ونقص معرفة؛ لأن

الممتلئ لا يثرثر بكلامٍ أجوف، ولا يتكلم كثيرًا، بل هو إلى الصمت أقرب.

وابن المقفع (١٠٦– ١٤٢ هجرية / ٧٢٤ – ٧٥٩ ميلادية) ذكر فى كتابه «الأدب الصغير»: "إنّ كلمةً واحدةً من الصّواب تصيب موضعَها خيرٌ من مائة كلمة تقولها فى غير فرصها، ومواضعها".

وفي فترة من حياتي كنتُ أكثِّف وجودى في منطقة وسط القاهرة، لكنَّنى من فرط خوفي من مرور الزمن عليّ دون أن أقدِّم شيئًا فى الكتابة، وأنا القادم من الريف، ومأخوذ أسرًا، وارتعادًا، وخوفًا من فتك القاهرة المتوحشة بغريبٍ مثلى، لا ظَهر له سوى القراءة، والكتابة، والاستمرار في الإجادة، والإعادة، والمحاولة، والتجريب.

ولأن الثرثرة داءٌ، ومرض مزمن، وليست مجرد عيب، فقد أصابت فئات كثيرةً من الرجال الذين من المفترض أن يأخذ الناس عنهم العلم، والثقافة، لكنَّهم– للأسف– بلا معرفةٍ، ولقد عرفتُ بشرًا كالقطط يموءون كثيرًا– ليلا، ونهارًا– ولا يُخصِّصون وقتًا للقراءة، والتأمُّل، والبحث، والاستقصاء، ومُساءلة النفس، والفعل الإبداعى؛ ولذا لا أرى فئرانًا يصطادونها، حيث يعودُون في آخر الليل فرادى مُنكَّسى الرؤوس، وهم ممتلئون أكثر بالفراغ، وينطبق عليهم المثل الروسى "قطة كثيرة المواء، قطة لا تلتقط الفئران".

وهؤلاء وأولئك الذين يتكلمون كثيرًا، ويثرثرون على مقاعدهم البالية، هم قليلو المعرفة، لكنَّهم كثيرو الكلام، ويدركون ما قاله الأولون، الذين كانوا يكرهون الثرثرة، وحضُّوا في أقوالهم، وأفعالهم على تركها، وقالوا إنه "بتركِ الفضُول تكمُل العقول"، حيث إنه "لا خير فى فضُول الكلام"، فالمثرثر صاحبُ لسانٍ غير مستقيم، ومعناه أن قلبه غير مستقيم، وليس لديه رقيب عتيد، يوقفه بل يلجمه عن مواصلة اللغو، وتعكير الماء الصافى بثرثرته. فهو لا يقتصد فى الكلام، ولا يؤثِر الصمت، وقديمًا قال جمال الدين القاسمي الدمشقي (١٢٨٣ هجرية / ١٨٦٦ميلادية – ١٣٣٢ هجرية / ١٩١٤ميلادية)

في «جوامع الآداب فى أخلاق الأنجاب»: "إيّاك، وفضولَ الكلام؛ فإنّه يُظهر من عيوبك ما بَطَنَ، ويُحرّك من عدوّك ما سَكَنَ، فكلامُ الإنسان بيانُ فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل".

المثرثرون جُهلاء مُعادُون للوعي، والمعرفة، وهؤلاء ينال كثيرون منهم حظوظًا من خُبز السلطة، التي عادةً لا تريد مثقفًا صاحب رأى ورؤية، بل تبحث– بإبرةٍ– عن الأجوف، الذي ينفخ بوقه في قلبها الأجوف أيضًا، وهذا أمرٌ يتكرَّر مع كل عهدٍ وعصر، وسلطة تكره الثقافة، وتزدري المثقفين، وفى ظلها يعلو السلفي على الفيلسوف، والمُكفِّر على المفكِّر، خصوصا في الدول التي يطل فيها الاستبداد من كل نافذة، ويمشي مُختالا فى كل شارع.

وقد وصَّف طه حسين الثرثار بقوله: "فَلَمْ يَسْتَطِعْ إلاَّ أنْ يَكُونَ ثَرْثَارًا مِكْثَارًا مِهْذَارًا"، وهو نفسه الذى سيكتب إهداء مدهشًا، وجديدًا، وصادمًا للمثرثرين الذين لا يعملون، فى الصفحة الأولى من كتابه «مع أبي العلاء في سجنه»: "إلى الذين لا يعملون، ويؤذى نفوسهم أن يعمل الناس... أهدى هذا الكتاب".

ولأن الثرثرة لا تسدِّد الضرائب كما يقول المثل الإنجليزى، فهي كلامٌ نافلٌ، أي ليس فرضًا، والثرثرة أراها كسلا، وتساهلا، وبلادة، واستهبالا في أغلب الأحيان، إذ كيف تنتظر من مثرثرٍ وهب وقته لرعاية الفراغ، وهش الذباب على المقهى أن يكتب كتابًا ذا قيمة، فالمثرثر نادرًا ما يتورَّط في شراء كتاب، بل ينتظر أن يأتيه، وإن جاءه هدية من صاحبه، أو ناشره لا يقرؤه، فهو بالتخصُّص كارهٌ للقراءة، منصرفٌ عنها، لكنه يكتب، وينشر، ويدلي برأيه فى سين، وصاد من الشعراء، والكتَّاب، وكذلك فى أعقد المسائل، والقضايا، وهو هنا «مثقف بالشفاهة» أي أن كل ما لديه كلام متداول، ومتاح على المقاهي، فيه من العناوين أكثر ما فيه من المتن.

والمثرثرون الذين لا يعرضون عن اللغو "وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ" سورة المؤمنون آية (٣).

يجهلون قول عمرو بن العاص:"الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع، وان أكثرت منه صدع".

وينطبق عليهم قول الله سبحانه، وتعالى: "وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" [سورة الإسراء: الآية ٣٦].

وقد جاء في حديث النبي محمد: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ".

فالثرثرة إسالةٌ لدم الوقت، وإهدارٌ للطاقة، وعبثٌ باللغة العربية التى بدلا عن أن تكون لغة أدب، وفلسفة، وبناء، تصير– على أيدى المثرثرين – مِعْوَلَ هدمٍ، وتخليطًا، وجعجعة عند المثرثرين الذين قال فيهم عمر بن الخطاب: "ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه"، وهؤلاء لا يقولون خيرًا، ولا يصمتون "فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ". و"كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ"، ومن ترك فضُول الكلام، وانتبه إلى روحه يكلمها بعمق، مسائلا ذاته عن هدفها، حاز رأس الحكمة، وعلا شأنه. وعلي بن أبى طالب يقول: "إذا تَمَّ العَقْلُ، وكَمُلَ نَقَصَ الكَلام".

الغدر، والخيانة في الميزان

حقا إنني أعيش في زمن أسود... الكلمة الطيبة لا تجد من يسمعها... الجبهة الصافية تفضح الخيانة... والذي ما زال يضحك لم يسمع بعد بالنبأ الرهيب... أي زمن هذا

كم مرة هزمتنا الخيانة دون قتال.

- الخيانة لا تزدهر لأنها إذا ازدهرت فلن يجرؤ أحد على تسميتها خيانة.

- جون هارينغتون: "الإخلاص لا يطلب، إن في طلبه استجداء، ومهانة للحب فإن لم يكن حالة عفوية، فهو ليس أكثر من تحايل دائم على شهوة الخيانة، وقمع لها"... أي خيانة من نوع آخر.

سئل تشرشل مرة عن رأيه بالشعوب فقال جملة تاريخية: "إذا مات الإنكليز تموت السياسة، وإذا مات الروس يموت السلام، وإذا مات الأميركان يموت الغنى، وإذا مات الطليان يموت الإيمان، وإذا مات الفرنسيين يموت الذوق، وإذا مات الألمان تموت القوة، وإذا مات العرب تموت الخيانة".

- أكيس الكَيْس التقوى، وأحمق الحَمَق الفجور، وأصدق الصِدْق الأمانة، وأكذب الكذِب الخيانة.

- في الحب تخلص المرأة؛ لعجزها عن الخيانة أما الرجل فيخلص؛ لأنه تعب من الخيانة.

- أصعب الألم.. أن ترسم الضحكة على شفاهِك، وداخلكَ ينتحب، أن تجامل من حولك بالفرح، والحزن يبني حضارةً في صدرك، أصعب الألم... أن تثق بالحُب في زمن الغدر، وتثق بالحياة في زمن الشقاء، وتثق بالصوت في زمن الصمت، والجريمة.

- قال أبو ذر لمعاوية بن أبي سفيان حين رآه يبني قصرًا باذخًا: "إذا كان هذا من مالك فهو الإسراف، وإن كان من مال الأمة فهي الخيانة".

- من ضيّع الأمانة، ورضي بالخيانة فقد تبرّأ من الديانة.

- الخيانة كالموت لا تسمح البتة بالفوارق.

- الخائن يكرهه الجميع.

- ما ركبَ الخائنُ في فعلِه.

- أقبحَ مما ركبَ السارقُ.

- هذي طباعُ الناسِ معروفةٌ.

- فخالطوا العالمَ أو فارقوا.

- تولتْ بهجةُ الدنيا.

- فكُلُّ جديدِها خَلَقُ.

- وخانَ الناسُ كُلُّهمُ.

فما أدري بمن أثقُ.

- لا تأمَنَنَّ امرأً خانَ امرأً أبدًا.

إِن من الناسِ ذا وجهين خوَّانا.

- الراعي الذي يفتخر بالذئب لا يحب الخراف.

- نكران الجميل خيانة للشرف، والأمانة.

- من الأفضل أن يكون أمامك أسد مفترس على أن يكون وراءك كلب خائن.

- مثل الذي خان وطنه، وباع بلاده مثل الذي يسرق من مال أبيه؛ ليطعم اللّصوص، فلا أبوه يسامحه، ولا اللّص يكافئه.

- أُعَلِّمُه الرمايَةَ كُلَّ يَومٍ فَلَمّا اشتدَّ ساعِدهُ رَماني.

- وَكَم علمتُه نظمَ القوافِي فَلما قالَ قافيةً هجاني.

- أَعلَّمه الفُتُوَّة كل وَقتٍ فَلَمّا طَرَّ شارِبُه جَفاني.

- الخيانة تنشأ من الثقة.

- الخيانة لا تنجح أبدًا؛ لأنها حين تنجع نعطيها اسما آخر.

- الحب يتحمل الموت، والبعد أكثر مما يتحمل الشك، والخيانة.

- نبذل في بعض الأحيان مجهودًا جبارًا؛ لكي نعاني من الخيانة، ونتمكن من ذلك في آخر المطاف.

- يستطيع الكذب أن يدور حول الأرض في انتظار أن تلبس الحقيقة حذاءها.

- لا فرق بين خيانة الضمير، وخيانة الواقع إلّا التنفيذ.

- لَمْ يَفِ بِعَهدِهِ مَعْهَا فبَاتت تَعْتقِد بِأنَّ كُلِ مَن عَلي هَذِه الأرْضِ يَخْون.

- أعرف كل شيء عن الخيانة، فقد تزوجت ستة زيجات ناجحة جدًا.

- أفضل الخدع، وأسلمها هي الحقيقة البحتة، فلا أحد يصدقها.

- إذا خانك الشخص مرّة فهذا ذنبه، أما إذا خانك مرتين فهذا ذنبك أنت.

- إن الخيانة في حد ذاتها ميتة حقيرة.

– حقيقة الخيانة عمل من اؤتمن على شيء بضد ما اؤتمن لأجله، بدون علم صاحب الأمانة.

– لقد علمتني حياة الكتابة أن أرتاب من الكلمات، فأكثرها شفافيةً غالبًا مايكون أكثر خيانة.

– صارت الخيانة لعب هذه الأيام، وغربة الوطن هواية إجبارية.

الخيانة سلوك سيء، ولا أخلاقي، ويجعل صاحبه قبيح في أعين الناس، وعديم الثقة، فما أصعب أن تأتيك سكين الغدر؛ لتطعن بك، وتقتل ثقتك بالناس، عمومًا لن نطيل الحديث عن الغدر لأنّنا لخّصنا لكم أفضل الحكم، والأمثال، والتي نقدمها من خلال هذا الموضوع:

– الوفاء من شيم الكرام، والغدر من صفات اللئام.

– يقف مكتوف الأيدي، ورغم ذلك يمسك العصا بذراعه.

– من كافأ الناس بالمكر كافاؤه بالغدر.

– بعد أنْ غدر بها حبيبها... قالوا لها: كيف لم تكتشفي أنّه كاذب... مخادع.. قالت لهم: كُنت أُبصر، ولا أرى.

– اتّق شر من أحسنت إليه.

– إذا كان الغدر في الناس موجودًا فالثقة بكل أحد عجز.

– لقد كنت المتآمر لفترة طويلة لدرجة أني صرت لا أثق بمن حولي.

– الأسود عندما تأتي للشرب تفسح لها الغزلان الطريق لكنها لا تفر إذ إنّ للافتراس وقتا، ونذرًا، وللحياة العادية وقت، ونذر، ويبدو أنّ الغدر شيمة بشرية محضة.

– الغدر: هو أحقر الجرائم الإنسانية، وأكثرها خسة؛ لأنّ الإنسان يستطيع دائمًا أن يفعل ما يريد في مواجهة الآخرين، وليس من خلفهم.

– والغدرُ في الناسِ طبعٌ لا تثقْ بهم.

وإن أبيتَ فخُذ في الأمنِ، والوَجَلِ.

– ولا يغرنكَ من مرقىً سهولتُهُ.

فربما ضِقْتَ ذرعًا منه في النُّزلِ.

– يغدرُ الخلُّ إن تكفل يومًا.

بوفاءٍ، والغدرُ في الناسِ طَبْعُ.

– قالوا غَدَرْتَ فقلتُ إنَّ وربما.

نالَ المنى، وشَفَى الغليلَ الغادرُ.

لو كان الاستبداد رجلًا، وأراد أن يحتسب بنسبه لقال: أنا الشرّ، وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي المسكنة، وعمي الضر، وخالي الذل، وابني الفقير، وابنتي الحاجة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب.

- الغدر لما حكم، صبح الأمان بقشيش.

- والندل لما احتكم يقدر، ولا يعفيش.

- خيانة الصديق لا تغتفر، وتترك جرحًا كبيرًا في قلب صاحبها، هنا بعض العبارات التي تصف حال أمر طبيعي أن يطعنك أحدهم في ظهرك إن كنت في المقدّمة، لكن الصدمة أن تلتفت فتجده أقرب الناس إليك.

- الخائن يمضي أكثر من نصف عمره في البحث عن الأعذار قال علي بن أبي طالب "من ضيّع الأمانة، ورضي بالخيانة فقد تبرّأ من الديانة".

- هجرها، ونقض عهده معها، فباتت تعتقد أن كلّ من على الأرض يخون.

يقول مثَل إيرلندي: "من الأفضل أن يكون أمامك أسد مفترس على أن يكون وراءك كلب خائن".

- أصعب شيء في حياتنا غدر الأصدقاء، وطعنهم لنا.

- يقول مثل عربي: الثقة هي منبع الخيانة.

- يقول مثل فرنسي: ليس من الخطإ أن تصادق الذئاب ما دام فأسك مُستعدّا.

- لا تحزن إذا حذفك أحدهم من حياته، فلربما لم يتحمّل مرافقة الملوك، فقرّر المشي مع أمثاله.

- لا تيأس من وحدتك، فهي المكان الوحيد الذي تضمن فيه عدم خيانتك.

- إذا لم تجد من يصونك، فحاول أن تصون نفسك، وإذا كان كل البشر يخون، فكن أنت من يصون مُؤسف جدّا أن تبحث عن الوفاء في عصر الخيانة، وعن الحب في قلوب جبانة.

- قمة الخيانة أن تعطيني بظهرك، وأنا في أمسّ الحاجة إلى قبضة يَدك.

عرفت الكلب كيف يصون، وعرفت الصديق كيف يخون، فكلما زادت معرفتي بالناس زاد حُبّي للكلب.

- الغدر من الصفات السيئة جدًا، ويجب علينا الابتعاد عنها، وخصوصًا مع أقرب الناس إليكم، وهم الأصدقاء.

- إليك صديقي الخائن... كنت أظن أن الصديق وقت الضيق كما يقال... لكن اكتشفت أنه سبب الضيق لماذا؟!... لم أفعل له شيئًا أهكذا يرد الجميل.

- كيف يمكنك أن تخدعني كيف يمكنك أن تجرحني بعدما أخبرتك أسراري بعدما أخبرتك لك عن أخباري.. أنت كنت صديق عمري أنت كنت مالك عقلي... أنت كنت عيني، وعقلي الذي أرى به، وأفكر فيه... لماذا جرحتني جرح الأيام بعدما جرحتنى الدنيا جرح الزمان... أنظر لما حولي، وأسئلهم هل في أحد إتجرح مثلي؟!

- كل الأيام تعدي مثل بعضها، والألم يكبر معها، ويزداد ما أصعب الحياة عندما تكون قسوتها من أقرب الناس إليك... مؤلمة حد الموت عندما يكون الطعن في الظهر.. قاسية عندما تكون الجراح من يد من يملك الدواء.

- منذ نعومة أظفارنا، ونحن نسمع عن الصداقة، وقوتها، والأخوة، وصدقها، والحب، وعذريته يا لها من كلمات جميله تذهل السامعين لكن للأسف كله حلم صعب المنال ما تلبث أن تصحو منه على طعنات غادرة، أو كذبة لا تلبث إلا أن تذهب أدراج الرياح.

- الصداقة، والأخوة كليمات ساحرة تختفي خلفها الأنياب الحادة، والخناجر المسمومة صداقة، وأخوة سنين تتبدد في ثواني معدودات... يالها من صداقة، ويا لها من أخوة حلم... ولن يطول الاستمتاع به تصلك الطعنات ممن كان يحمي ظهرك، ويحرسه ممن كان في يوم يدعي الصداقة، والأخوة.

- إذ هو أقرب الناس إليك يطعنك في ظهرك بخنجر مليئ بالنقوش المزخرفة، والكلمات المذهبة الصداقة... وتمضي بابتسامة مصطنعة، والذئاب تنهش من لحمك.

- سحقًا.. لكل من غدر، وخان، واستهان بمشاعر إنسان...

- سأكون أول من يؤيد قانون الغابة؛ لأن من وضع قانون البشر لم يكن يعلم بوجود أناس ترفض الكلاب أن تكون مثلها.

- عندما نفتقد أغلى الناس، عندما تتركنا أرواحنا جسد بلا روح.

- عندما كان لك طريق في الحياة، شيء تسعى، وتجتهد للوصول إليه، شي يعطي له نفسك، وروحك.

وفجأة... وبدون مقدمات، يتركك وحيدًا.. تقف تائه... أم تبكي... تقف حزين... أم حائر... مهموم. أن يطعنك أحدهم في ظهرك فهذا أمر طبيعي، ولكن أن تلتفت، وتجده أقرب الناس إليك... فتلك هي الكارثة.

- من المؤسف حقًا أن تبحث عن الصدق في عصر الخيانة، وتبحث عن الحب في قلوب جبانة.

- أكثر الناس حقارة هو ذلك الذي يعطيك ظهره، وأنت في أمس الحاجة إلى قبضة يده. لا تسألني عن الخيانة... فأنا لا أعتقد أن هناك كلمات قادرة على وصفها.

- كل خائن يختلق لنفسه ألف عذر؛ ليقنع نفسه بأنه فعل الصواب.

- ذكرى مؤلمة إذا عرفت أن صديقك، وحبيبك خانك ذكرى مؤلمة إذا عرفت كم من الوقت المبذول للتفكير في هذا الصديق، والحبيب الخائن.

- لقد سمعت عنه الكثير، والكثير لكني أغلقت قلبي، وفكري، وأغلقت أذني عن سماع كلمة تسيء إليه.

- وكم من ندامة خلفتها وراء هذا الصديق، وكتبت من صميم فؤادي، وصديد قلبي. لذلك المنسي... نعم منسي... لقد نسيته حتى آخر حرف من هذه الكلمات.

- خيانة الصديق سكين تصيب القلب فلا يبرأ.

- يظل في آلامه يتقلب، ويتقلب فلا هو بالغفران شفي، ولا بالنسيان هودي.

- هي جرح تعيد الأيام آلامه، وأوجاعه أضعافًا مضاعفة.

- وكلما أشرقت شمس يوم جديد، أو غربت يعتصر الفؤاد حزنًا، ويمتلىء القلب الجريح شعورًا بالوحدة فينكسر الأمل... ويفقد الشعور بالفرح، وتظل الخيبة، والألم الرفيق الدائم للقلب المغدور.

- لو صاحبك خانك... اعتبر أنّه قد مات... أفضل من التفكير بأنّه خانك... اعتبره قد مات.

- الخيانة كالهواء تدلف إلى منازلنا بمجرد فتح الباب.

- وإياك تخون إلا إذا كان امتحانك اللي جاي في الخيانة.

- ما أبشع أن تخون صديقا، ولكن الأبشع أن تجد الخيانة سهلة.

- النقد ليس خيانة... الخيانة أن تزيّن القبح، وتصفق للأخطاء، وتتعامل مع وطنك كأنه راتب آخر الشهر.

- من ضيع الأمانة، ورضي بالخيانة فقد تبرأ من الديانة.

- الخيانة كالموت لا تسمح البتة بالفوارق.

- الخائن يكرهه الجميع.

- ما ركبَ الخائنُ في فعلِه.

- أقبحَ مما ركبَ السارقُ

- هذي طباعُ الناسِ معروفةٌ.

- أُعَلِّمُه الرمايَةَ كُلَّ يَومٍ

- فَلَمّا اشتدَّ ساعِدهُ.

- وَكَم علمتُه نظمَ القوافِي

فَلما قالَ قافيةً هجاني.

- أَعلَّمه الفُتُوَّة كل وَقتٍ

فَلَمّا طَرَّ شارِبُه جَفاني.

- الخيانة تنشأ من الثقة.

- الخيانة لا تنجح أبدا؛ لأنها حين تنجع نعطيها اسما آخر.

- الحب يتحمل الموت، والبعد أكثر مما يتحمل الشك، والخيانة.

- نبذل في بعض الأحيان مجهودًا جبارصا لكي نعاني من الخيانة، ونتمكن من ذلك في آخر المطاف.

- لا خير في عيش تخوننا أوقاته، وتغولنا مدده.

- من المؤلم أن الخيانة التي لا تنجح لا يجرؤ أحد على تسميتها خيانة.

-كم خائن اليوم لا يشنق بل يشنق الآخرين.

- إن الخيانةَ ليس يغسِلُها..

من خاطئٍ دمعٌ، ولا ندمُ.

- أدِّ الأمانةَ، والخيانةَ فاجتنبْ..

واعدلْ، ولا تظلمْ يطيبُ المكسبُ.

- وسوء ظنِّكَ بالأدنين داعيةٌ..

لأن يخونكَ من قد كانَ مؤتمِنا.

- يخونُكَ ذو القربى مرارًا، وربما..

وفي لك عند العهدِ من لاتناسبُهُ

- ولاخيرَ في قربى لغيركَ نفعُها..

ولا في صديقٍ لاتزالُ تعاتبهْ

- وحسبُ الفتى من نصحهِ، ووفائِه..

تمنيه أن يؤذي، ويسلمَ صاحبهْ.

- لا تأمننَّ على النساءِ، ولو أخا..

ما في الرجالِ على النساءِ أمينُ

- إِن الأمينَ، وإِن تَعَفَّفَ جُهْدَهُ..

لا بُدَّ أن بنظرةٍ سيخونُ القَبْرُ.

- أو في من وَثِقْتَ بعَهْدِهِ..

ما للنساءِ سوى القُبورِ حُصونُ.

- ولا خيرَ في خلٍ يخونُ خليلَه..

ويلقاهُ من بعدِ المودةِ بالجفا.

- يخونُكَ من أَدى إليك أمانةً..

فلم ترعهُ يوماً بقولٍ، ولا فِعْلِ.

- فَأَحْسِنْ إلى من شِئْتَ في الأرضِ أو أسيءْ..

فإنكَ تُجْزى حذوكَ النعلَ بالنعلِ.

- من كثرت شكوكه فإنه يدعو إلى خيانته.

جرب صديقك قبل أن تثق به.

- إذا طعنت من الخلف فاعلم أنك في المقدمة.

- تصادق مع الذئاب.. على أن يكون فأسك مستعدًا.

- الحبّ الصادق كالقمر عندما يكون بدرًا، والكسوف هو نهايته عندما يلاقي غدرًا.

- الحبّ كالزّهرة الجميلة، والوفاء هي قطرات النّدى عليها، والخيانة هي الحذاء البغيض الّذي يدوس على الوردة فيسحقها.

- إذا لم تكن أهلاً لقول كلمة أحبّك فلا تقلها؛ لأنّ الحبّ تضحية، وصبر، وتعب.

- أن يطعنك أحدهم في ظهرك أمر طبيعي، لكن أن تلتفت، وتجده أقرب النّاس إليك فهذه هي الكارثة.

- من المؤسف حقًّا أن تبحث عن الصّدق في عصر الخيانة، وتبحث عن الحبّ في قلوب جبانة. إن كان هناك من يحبّك فأنت إنسان محظوظ، وإذا كان صادقًا في حبّه فأنت أكثر النّاس حظًا.

- أكثر النّاس حقارة هو ذلك الّذي يعطيك ظهره، وأنت في أمسّ الحاجة إلى قبضة يده.

- لا يوجد أسوأ من إنسان يسألك عن اسمك الّذي طالما كان يقرنه دائمًا بكلمة حبيبي.

- لا شكّ أنّك أغبى الناس إذا كنت تبحث عن الحبّ في قلبٍ يكرهك.

- الخيانة في بعض الأحيان تكون الشعور الأجمل، إذا كان الشّخص المغدور يستحقّها.

- الحب الحقيقي لا ينتهي إلّا بموت صاحبه، والحبّ الكاذب يموت عندما يحيا صاحبه.

– كل خائن يختلق لنفسه ألف عذر، وعذر، ليقنع نفسه بأنّه فعل الصّواب.

لو كانت كل قصّة حب تنتهي بالخيانة، لأصبح كلّ الناس مثلك أيّها الخائن.

– الحبّ هو حياة القلوب الميّتة.

– إذا لم تكن أهلًا لكلمة أحبّك فلا تقلها؛ لأنّ الحبّ تضحية، وصبر، وتعب.

– لا تسألني عن الخيانة، فأنا لا أعتقد أنّ هناك كلمات قادرة على وصفها. إذا كنت تحبّ بكلّ صدقٍ فتوكّل على الله، ولا تفقد الأمل، وإذا كنت كاذبًا فارحل، وتحدّث عن القضاء، والقدر.

– الوفاء عملة نادرة، والقلوب هي المصارف، وقليلة هي المصارف التي تتعامل بهذا النوع من العملات.

– يقول القلب الصّادق أنا أحبّك، إذن فهو مستعدٌّ لفعل أيّ شيء من أجلك.

– أرجوكم أقنعوني بأيّ شيء إلّا الخيانة؛ لأنّها تحطّم القلوب، وتنزع الحياة من أحشاء الرّوح.

- إذا كنت تحبّ بصدق فلا تتخاذل؛ لأنّ التّخاذل هو الخيانة، ولكن بحروفٍ مختلفة.

- الحبّ الجميل الصادق تبقى ذكراه إلى الأبد، والحبّ الكاذب ينتهي إلى آخر نقطة في قاع الجرح.

- إذا مزّقت قلبي فلا تتحدّث عن الحبّ؛ لأنّ الحبّ بريء من الخونة.

- لو كان في قلبك ذرّة واحدة من الحب، فتأكّد بأنّ آخر ما كنت ستفكّر فيه هو الابتعاد عنّي.

- ألا تخجل من التحدّث عن الحب، وأنت الّذي زرعت في قلبي أكثر الجروح آلامًا. إذا كنت تحبّني فربّما أحبّك، وربّما لا أهتم لك، ولكن إذا كنت تكرهني فتأكّد أنّ الكراهيّة لا تقتل سوى قلب صاحبها.

- لا يمكن للدّنيا أن تدوم جيّدةً لأحد، فإنها لا تصفو لأحدٍ، وتغدر بآخر، فهي متقلّبة غير مستقرّة، وبها كتب الشّعراء آراءهم، ووصفوا شعورهم، وأحاسيسهم.

- شعر عن غدر الزّمان:

- ولعلّ أفضل من قال الشّعر في هذا المجال هو الإمام الشّافعي، فقال:

"لا تأسفنّ على غدر الزّمان لطالما.

رقصت على جثث الأسود كلاب".

– لاتحسبنّ برقصها تعلو على أسيادها.

تبقى الأسود أسودًا، والكلاب كلاب.

– تموت الأسود في الغابات جوعًا.

– ولحم الضّأن تأكله الكلاب.

– وذو جهل قد ينام على حرير.

– وذو علمٍ مفارشه التّراب.

*** الدّهر يومان ذا أمن، وذا خطر.**

والعيش عيشان ذا صفو، وذا كدر.

– أما ترى البحر تعلو فوقه.

جيف، وتستقرّ بأقصى قاعه الدّرر.

– وفي السّماء نجوم لا عداد لها.

وليس يُكسف إلّا الشّمس، والقمر.

– نعيب زماننا، والعيب فينا.

وما لزمانا عيب سوانا.

- ونهجو ذا الزّمان بغير ذنب.

نطق الزّمان لنا هجانا.

- وليس الذّئب يأكل لحم ذئب.

ويأكل بعضنا بعضًا عيانا.

- دع الأيام تفعل ما تشاء.

وطب نفسًا إذا حكم القضاء.

- ولا تجزع لحادثة اللّيالي.

فما لحوادث الدّنيا بقاء.

- وكن رجلًا على الأهوال جَلدا.

وشيمتك السّماحة، والوفاء.

- وإن كثُرت عيوبك في البرايا.

- وسَرَّك أن يكون لها غطاء.

تستّر بالسّخاء فكلّ عيب.

كثُرت القصائد في هذا الموضوع، وتسابق الشّعراء للمشاركة بمشاعرهم، وتجاربهم، ومنها نذكر القصائد الآتية:

- لا تأمننّ غدر الزَّمان العادي.

من بعد نازلةٍ بخير عماد.

– هيهات أن يصفو الزّمان، وخلقه.

سقم الكرام، وصحة الأوغاد.

– وإذا صفا لذوي المكارم صبحه.

أمسى فرنق صفوه لنكاد.

– عادي الكرام من الأنام كأنّه.

والحتف قد كانا على ميعاد.

– شُلّت يد الدّهر الخؤون.

فإنّها ذهبت من العلياء بالأمجاد.

– بمحمد أودى الرّدى فكأنّما.

أودى الوجود بمقلة الإيجاد .

– وإنجاب عن أفق الهداية بدرها الـ

موفي السّنا فخبا ضياء النّادي.

الفهرس